



وَزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ  
الْمَدْرَسَةُ الْعِلْمِيَّةُ لِلْإِسْلَامِ بِبُورْزِيَّةِ  
الْعَلَّامَةُ الشَّيْخِ مُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْرَاهِيمَ الْمِيلِي الْجَزَائِرِيِّ  
مُخْبَرُ الدِّرَاسَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الْمُعَاَصِرَةِ



# التُّرَاثُ العِمْرَانِيُّ فِي الْجَزَائِرِ عَبْرَ العُصُورِ

دراسات في النمط، المنشآت، والتأثيرات

التَّحْرِيرُ وَالْمُرَاجَعَةُ

أ.د. (ة) نَفَيْسَةُ دَوَيْدَة

1447 هـ | 2025 م

الإشراف العام

أ.د. بُوَيْعَبَّاشُ مِرَالِي  
مُدير المخبَر

بُورْزِيَّةُ



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة



العلامة الشيخ مبارك بن محمد ابراهيمي الميلي الجزائري

مخبر الدّراسات التّاريخية المعاصرة ببوزريعة

كتاب جماعي محكّم بعنوان:

# التّراث العمراني في الجزائر عبر العصور:

## دراسات في النمط، المنشآت، والتأثيرات

جمع وتنسيق ومراجعة:

أ.د. (ة) نفيسة دويذة

الإشراف العام:

أ.د. بوعباش مراد

مدير المخبر

كنوز الحكمة للنشر والتوزيع

إصدار 1447هـ - 2025م



التراث العمراني في الجزائر عبر العصور:  
دراسات في النمط، المنشآت، والتأثيرات



تأليف:

جمع وتنسيق ومراجعة:

أد. نفيسة دويذة

الإشراف العام:

أد. بوعباش مراد

رقم الإيداع القانوني: ديسمبر 2025

ردمك ISBN 978-9947-60-593-6

العنوان: حي المجاهدين رقم 32 ج - بن عكنون- الجزائر

الجوال: 00213556013602

الموقع الإلكتروني: [www.kounouzelhikma.com](http://www.kounouzelhikma.com)

البريد الإلكتروني: [kounouzelhikma@yahoo.fr](mailto:kounouzelhikma@yahoo.fr)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## كلمة التقديم:

يأتي هذا الكتاب الجماعي المحكّم ليسلّط الضوء على مسار العمارة في الجزائر عبر العصور، بوصفها شاهداً مادياً على تاريخ طويل ومتنوع يمزج بين التأثيرات المحلية والمتوسطية والإفريقية والإسلامية والأوروبية. فقد عرف المجال الجزائري تعاقب حضارات تركت بصمات معمارية واضحة، بدءاً من الإرث البوني والليبي في أفريقيا البروقنصلية، ومروراً بتطور أنماط التخزين التقليدية والحضرية في الفترة القديمة، وصولاً إلى العمارة الدينية المسيحية التي ما تزال بعض آثارها بارزة. كما سلط هذا الكتاب الضوء على الدور المركزي الذي أدّاه الوقف في تشكيل المشهد العمراني والمعماري للجزائر عبر العصور، ولا سيما في الفترة العثمانية، حيث أسهم الوقف في تنظيم النسيج الحضري للمدن الكبرى مثل مدينة الجزائر، وفي تأسيس وبناء مساجدها الجامعة التي تكشف الشواهد الأثرية والمعطيات التاريخية عن تطورها ووظائفها. ويتطرق الكتاب كذلك إلى المعالم الدينية التي شكّلت قلب الحياة العمرانية بالمدينة العثمانية، اعتماداً على الرصيد الأرشيفي المحلي الثري.

ولا يُغفل هذا العمل العمارة التقليدية للمدن العتيقة، بما في ذلك القصور الصحراوية والجبليّة التي تعد نموذجاً فريداً للهندسة الملائمة للمحيط الطبيعي والاجتماعي، فضلاً عن إبراز الهوية العمرانية المتعددة الأعراق في مناطق مثل تمنطيط، والمعالم المعمارية التي تجسّد خصوصية المدن الصحراوية كمدينة قمار، حيث يتكامل التراث المعماري مع التنوع الثقافي والعرقى للسكان. كما يناقش الكتاب الإرث الثقيل لبعض الملامح

السلبية للعمارة الكولونيالية التي حاولت محو الخصوصية المحلية وإعادة تشكيل المجال العمراني بما يخدم الأهداف الاستعمارية؛ وهو ما يجعل القصور الصحراوية اليوم أرشيًا مفتوحًا في مواجهة محاولات التزييف وإعادة القراءة المنحازة للتاريخ المعماري للجزائر.

إن هذا الكتاب، بتنوع مقارباته التاريخية والأثرية والمعمارية، يقدم مساهمة علمية نقدّر أنها مهمة لفهم تطور العمران الجزائري عبر الأزمنة، ويفتح آفاقًا جديدة للبحث الأكاديمي حول الهوية المعمارية للجزائر وسبل صونها وترقيتها.

وفي الأخير لا يعني إلا إسداء آيات الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور مصطفى بن حموش على ترحابه بمشروع الكتاب ودعمه الدائم، وكذا خالص الامتنان لإدارة المدرسة العليا للعلوم الإسلامية بجامع الجزائر على فتح مجالات التعاون العلمي، ووافر المحبة لكل الباحثين المشاركين.

أ.د/ نفيسة دويدة

## فهرس المحتويات

الصفحة	المؤسسة الجامعية	عنوان المقال	اسم الباحث
09	المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة	العمران البوني والليبي في أفريقيا البروقنصلية من خلال المصادر الرومانية: سالوستيوس وبلينوس الكبير نموذجا	د.وافية نسيغاوي
28	جامعة الجزائر 2	المخازن التقليدية والمخازن الحضرية في الجزائر في الفترة القديمة	ط/د نوال بوغابة
59	جامعة الجزائر 2	تاريخ العمارة الدينية خلال الفترة المسيحية بالجزائر (مدينة جميلة الاثرية كنموذج)	ط/د. عائشة بن عفري
95	دار القرآن – المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية جامعة سطيف	دور الوقف في تطور العمارة الجزائرية عبر العصور	ط/د. نور الإسلام بوراس د. صابر بن عائشة
124	المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة	الوقف ومسألة التنظيم العمراني للجزائر في الفترة العثمانية (مدينة الجزائر نموذجا)	د. صليحة بوزيد

150	جامعة خميس مليانة	تأسيس مساجد مدينة الجزائر الجامعة على ضوء المعطيات التاريخية والشواهد الأثرية. محاولة تاريخية	د. أمين محرز
189	جامعة تيارت جامعة المسيلة	الهيكلية العمرانية والمعمارية للمدن العتيقة بالجزائر: حالة القصور الصحراوية والجبلية	د.برغوية فاطمة الزهراء أ.د. خلف الله بوجمعه
215	جامعة بسكرة	المعالم المعمارية التي تبرز هوية المدن الصحراوية مدينة قمار انموذجا	عبد الله لمحنط
236	دار القرآن – المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية	بعض الملامح السلبية للعمارة الكولونيالية في الجزائر	ط/د. سارة حُمورة
268	جامعة مستغانم	القصور الصحراوية أرشيف مفتوح يواجه التزييف	د. عبد الحميد خليفه
286	دار القرآن – المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية	الهوية العمرانية والتعدد العرقي في تمنطيط (قراءة في التراث المعماري والتنوع الثقافي والعرقي)	ط د/ مريم زمام أد بن حموش مصطفى

326	جامعة سطيف 2	ملامح التنظيم العمراني والمعماري للمدينة في المغرب الأوسط	د. حفيظة هادي
359	جامعة خميس مليانة	المنشآت الدينية بمدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال الرصيد الارشيفي المحلي - مساجد المدينة نموذجا	د. مهديّة طبي
396	دار القرآن المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية	تجليات الهوية الجزائرية في عمارة المسكن (قراءة في القيم الإسلامية والأبعاد الثقافية)	ط د/ عييش أمنية

# العمران البوني والليبي في أفريقيا البروقنصلية من خلال النصوص الأدبية:

سالوستيوس و بليينوس الكبير نموذجا

د/ وافية نسيغاوي

المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة

## مقدمة:

من أهم الإشكاليات التي تطرح في دراسة الحياة العمرانية السابقة للاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم هي ما مدى وجود موضوع العمران السابق للاحتلال الروماني في المصادر الإغريقية والرومانية التي تناولت التاريخ القديم لبلاد المغرب، إضافة إلى ما مدى مصداقيتها في المعلومات التي احتوتها حول المدن. هذا وتعتبر مقارنة المعلومة المصدريّة بما يوجد في الواقع وما أسفرت عنه الحفريات، من أهم المشاكل التي يصادفها المؤرخون، كذكر تلك النصوص لأسماء مدن لا توجد في الواقع أو العثور على مدن لا يوجد لها ذكر في تلك النصوص.

أولاً: أهم الإشكاليات حول أصل ونشأة العمران في بلاد المغرب القديم

تعتبر الحياة العمرانية أو الحضريّة في بلاد المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني، من بين أهم المواضيع التي حظيت بقسط وافر من الدراسات والأبحاث خصوصاً في وقتنا هذا. وهي دراسات بنيت على آخر الأبحاث

والتنقيبات في مختلف المناطق، وذلك من أجل رسم صورة للحياة فيها. و أسفرت التنقيبات الأثرية عن المئات من النقائش وأطلال المدن، ظهر من خلالها المغرب القديم وخصوصا المناطق الشرقية منه، في أوج العمران والتحضر خلال الاحتلال الروماني، ودعمت تلك البقايا الأثرية، الفرضية التي تقول بأن العمران بدأ منذ فترة الاحتلال الروماني<sup>1</sup>. غير أن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام: ما مدى صحة الفرضية السابقة؟ وهل كان في بلاد المغرب القديم حياة عمرانية سبقت الاحتلال الروماني؟ وإن وجدت تلك الحياة كيف كان شكلها و كذا طبيعتها؟، وما هي المصادر التي تحدثت عن ذلك؟ إلى غيرها من الأسئلة التي تطرح نفسها على المهتمين بالتاريخ العمراني للمنطقة.

وفي هذا السياق، كان لابد علينا من إلقاء نظرة حول الحياة العمرانية في بلاد المغرب عامة وأفريقيا البروقنصلية خاصة عشية الاحتلال الروماني وذلك من أجل مناقشة أهم الإشكاليات التي طرحت حول الموضوع ثم التعرف على مصادر معلوماتنا و كذا الوقوف على أهم المدن السابقة للاحتلال الروماني. وعند تصفحنا للعديد من الدراسات الجادة، صادفتنا العديد من الإشكاليات التي طرحت حول الحياة العمرانية السابقة للاحتلال الروماني، ينتظر الكثير منها لإجابات ومزيد من الأبحاث والتنقيبات الأثرية العلمية الجديدة. هذا ويمكننا عرض أهم تلك الإشكاليات فيما يلي:

---

<sup>1</sup> - A. Mahjoubi, villes et structures urbaines de la province romaine d'Afrique,

2<sup>ème</sup> édition revue et augmentée, centre de publication universitaire, Tunis,

2011

## 1- حجم معارفنا حول الحياة العمرانية السابقة للاحتلال الروماني :

إذا ما تفحصنا المصادر الأدبية الكلاسيكية الإغريقية والرومانية، نصادف غموضاً يعتري موضوع العمران البوني وعدم وضوحه في داخلها. ويبدو أن السبب في ذلك ليس العمران نفسه، وإنما نجد نفس الغموض يدور حول كل ما يتعلق بالدولة القرطاجية وإدارتها وعمرانها وكذا علاقتها برعاياها وكذا حقوقهم وواجباتهم.

وامتد ذلك الغموض إلى المدن التي كانت موجودة خلال الفترة القرطاجية سواء داخل التراب القرطاجي أو خارجه<sup>1</sup>. وبالتالي فإن المعلومات العامة حول العمران والحياة العمرانية السابقة للاحتلال الروماني سطحية في تلك المصادر مقارنة بالعمران بعد الاحتلال. حيث ركزت النصوص الإغريقية واللاتينية على بعض النواحي السياسية والعسكرية للدولة القرطاجية ولم تهتم بالنواحي الأخرى مثل العمران<sup>2</sup>. وترجع أسباب ذلك إلى الظروف التي كانت تحيط بالكتابات التاريخية الإغريقية واللاتينية التي أرخت للدولة القرطاجية، كان من بين أهمها الخلفية الثقافية والحضارية لتلك النصوص. إضافة إلى كون أصحاب تلك النصوص أجانب عن المنطقة مما أثر على حجم المستوى المعرفي لهم لكل ما يتعلق

---

<sup>1</sup> - S.Crouzet, « Les statuts civiques dans l'Afrique punique, (De l'historiographie moderne à l'historiographie antique) », MEFR, 115, 2, (2003), pp. 655-703

<sup>2</sup> - A.Mahjoubi, « L'urbanisme de l'Afrique antique à l'époque préromaine. », op.cit.



بالأمور الداخلية للدولة القرطاجية البعيدة عن السياسة العسكرية والحروب التي خاضتها قرطاج ضد الرومان كالحروب البونية.<sup>1</sup>

## 2- أصل العمران في بلاد المغرب القديم وأسباب نشأته:

لم تشر النصوص الأدبية الكلاسيكية إلى أصل المدن السابقة للاحتلال الروماني ولا حتى كيف نشأت. وأمام تلك الثغرة المعرفية، لجأ الباحثون من أجل ملئها إلى المصادر المادية، ولكن واجهتهم صعوبات كبيرة تدور حول معرفة البدايات الأولى للحياة العمرانية في بلاد المغرب القديم. وفي هذا السياق وخلال منتصف القرن الماضي، كشفت أبحاث (G.Villemot) عن وجود بقايا أثرية دلت على وجود تبادلات تجارية في عدة مواقع في سواحل الغرب الجزائري وهي جزيرة رشقون ومرسى مداخل وميناء الأندلسيات، وأيضاً على وجود حياة سكنية أو إقامات سكنية في تلك المواقع تعود إلى القرنين السابع أو السادس ق.م كانت على علاقة مع العالم المتوسطي (الفينيقيون وإيطاليا وشبه جزيرة أيبيريا)<sup>2</sup>. وأعاد فيما بعد الباحث (P.A.Fevrier) عرض الدراسات السابقة بقراءة جديدة ووسعها إلى مناطق أخرى تمتد من سواحل المغرب الأقصى إلى السواحل الوسطى والشرقية للجزائر، بين من خلالها وجود حياة عمرانية مبكرة تعود إلى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، كما كان لتلك المناطق علاقات تجارية مع الفينيقيين

---

<sup>1</sup> - S.Crouzet, op .cit., pp.655-703

<sup>2</sup> - G.Villemot, Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie, Autun, Musée Rollin, 1965 .,

وصقلية و بلاد الإغريق وكذا إيطاليا<sup>1</sup>. وعلى الرغم مما سبق نشره من الباحثين السابقين، وعلى الرغم من وجود بقايا أثرية مدعمة لاستنتاجاتهما، إلا أنه ظلت هناك فجوات تتعلق بأصل العمران و شكله الأول في تلك المواقع. ولهذا السبب اختلفت وجهات النظر ما بين العديد من المؤرخين، فالكثير منهم من نظر إلى تلك المواقع على أنها بونية من تأسيس الفينيقيين، أسست لأسباب متعلقة بتوفر الخلجان الطبيعية و ضرورة استراحة السفن إلى غيرها من الأسباب الخارجية دون أن يطرحوا على أنفسهم تساؤلات يبدو لنا أنها في غاية الأهمية كونها قد تؤدي إلى إيجاد إجابات حول إمكانية وجود حياة عمرانية محلية ليبية<sup>2</sup>. ومن بين تلك التساؤلات نذكر:

- هل كانت تلك المواقع عبارة عن مجرد محطات لاستراحة السفن الفينيقية، أم تعدى أمرها بأن تحولت إلى مصارف (Comptoirs)؟ وإن نحن تقبلنا وجود مصارف فهذا يعني وجود تبادلات تجارية كما ورد عند هيرودوت الذي تحدث عن المساومة الخرساء بين الليبيين والفينيقيين. وهذا يعني بالضرورة وجود ديناميكية معينة نشأت بين الوافدين الجدد وبين المجتمع المحلي الذي كان موجودا بالتأكيد في تلك المواقع.

إن وجود مثل تلك "الديناميكية" حسب رأي "فيفري" يؤدي حتما إلى تقبل فكرة الدور الذي يكون قد لعبه الليبيون في تلك المواقع الساحلية،

---

<sup>1</sup> - P.A.Fevrier, « Les origines de l'habitat urbain en Maurétanie césarienne. », Journal des savants, (1967), pp.107-123.

<sup>2</sup> - P.Cintas, Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, Paris, 1954 .

أي الدور الذي لعبوه في نشأتها و تطورها إلى مراكز عمرانية ومدن فيما بعد ومن ثم يمكننا تسمية تلك المراكز العمرانية بمراكز عمرانية ليبية بونية عوض تسميتها مراكز فينيقية أو قرطاجية فقط كما ورد في الكثير من المصادر والأبحاث القديمة.<sup>1</sup>

ومن هنا، يجب الاعتماد على كل الشواهد المادية والأثرية من أجل التعرف على الوجود الأول للحياة العمرانية في تلك المراكز الساحلية، وذلك من أجل التعرف على دور الليبيين في نشأتها وتطورها قبل الاحتلال الروماني، ذلك الدور الذي إن عرف فسيكون الدليل على وجود امتزاج حضاري ليبي فينيقي في تلك المراكز الساحلية كبعض الطقوس الليبية التي أثبت وجودها في تلك المراكز مثل عادات حرق الموتى<sup>2</sup>. ولا تعتبر ظاهرة الامتزاج الحضاري بين اللوبيين والفينيقيين أمرا نادرا في ربوع المغرب القديم حيث وصلت تلك الظاهرة إلى مناطق داخلية كثيرة وأثبتتها الأبحاث الأثرية وأصبحت في وقتنا الحاضر أمرا لا يحتاج إلى نقاش. فلقد انتقلت إشكالية معرفة أصل المراكز العمرانية إلى صعوبة التعرف على أسباب نشأة الكثير منها خاصة المدن التي يعتقد أنها مدن بونية، حيث أقر الكثير

---

<sup>1</sup> - P.A.Fevrier, « Urbanisation et Urbanisme de l'Afrique romaine », A.N.R.W, 1982. p. 331

<sup>2</sup> - طرح كامبس نظرية حول عادة حرق الموتى وإمكانية وجودها عند الليبيين منذ العصر الحجري الحديث. أنظر:

-G.Camps, Aux origines de la berbérie, monuments et rites funéraires prothohistoriques, Paris, 1961, pp.503-504

من الباحثين بصعوبة معرفة إن كانت تلك المدن أسست بسبب تجارة الفينيقيين أم أسست بسبب سياسة الاستيطان القرطاجية فيما بعد.

ويقودنا هذا التساؤل إلى مشكل آخر لا يقل أهمية وهو الكشف عن تاريخ المدن السابقة للاحتلال الروماني وكذا عن تاريخ تطورها وكذا الأسباب والعوامل المساعدة على ذلك. وتعتبر قضية معرفة أسباب وعوامل تطور المدن قضية مهمة جدا، خصوصا إذا أخذنا المدن الداخلية البعيدة عن التأثيرات القرطاجية، والتي يمكن أن تختلف من مدينة إلى أخرى مثل التجارة أو التطور الذاتي أو الاستيطان الأجنبي<sup>1</sup>

### 3- الامتداد العمراني في بلاد المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني:

إذا اقترن العمران السابق للاحتلال الروماني بالوجود البوني فهذا يعني أن المراكز العمرانية انتشرت على السواحل فقط. ولكن هل هذا صحيح أم أنها انتشرت في مناطق داخلية بعيدة عن التأثيرات القرطاجية الفينيقية وبعيدا عن تأثيرات حضارات أخرى متوسطة كالإغريقية. ويبدو أن المناطق الداخلية بدورها عرفت حياة عمرانية منذ أزمنة موعلة في القدم تمتد إلى فجر التاريخ عندما عرف الإنسان هناك حياة الاستقرار وبنى المقابر الحجرية وصنع الفخار اللبي المقلوب خصوصا في المناطق الشرقية. وهكذا بدأت منذ تلك الأزمنة، الحياة العمرانية المحلية في المناطق الداخلية في شكلها البدائي بعيدا عن التأثيرات الخارجية الفينيقية على الخصوص، لتكون بالتالي القاعدة الحضارية والعمرانية للممالك النوميدية -الشرقية

---

<sup>1</sup> - P.Fevrier, « Urbanisation et urbanisme de l'Afrique romaine », op.cit., pp. 329-335

على الخصوص- وأيضا قاعدة للمجال العمراني الكثيف الذي ستعرفه المنطقة خلال الاحتلال الروماني فيما بعد. والتي ستكون فيما بعد المقاطعات الرومانية الشرقية التي ضمت أفريقيا البروقنصلية ونوميديا<sup>1</sup>. ومن هنا نكون قد قدمنا لمحة عن أهم الإشكاليات التي طرحت حول العمران والحياة العمرانية السابقة للاحتلال الروماني. ولقد استخرجناها من أهم الأبحاث والدراسات التي تناولت التاريخ العمراني لبلاد المغرب القديم ابتداء من المدرسة الاستعمارية إلى وقتنا الحالي. وجد البعض منها إجابات، في حين ينتظر البعض الآخر المزيد من الأبحاث والدراسات الجادة.

### ثانيا: العمران البوني و الليبي في النصوص الأدبية:

ذكرت عدة نصوص أخبارا عن عمران بلاد المغرب القديم كوصف السواحل الذي ورد عند هيكاتي الميليقي ورحلة حنون وكذا رحلة سيلاكس، حيث وردت فيها أسماء لمدن يبقى الكثير منها غامضا سواء أَسْمَاؤها أو مواقعها. أما أحسن تلك المصادر في هذا الموضوع هم بوليبيوس وديودور الصقلي وتيتوس ليفيوس الذين أَرخُوا خلال الحروب البونية أي

---

<sup>1</sup> - استطاع الباحثون أن يقارنوا بين خريطة توزيع الفخار المقولب الليبي الأصل و مقابر الدولن و البازيناس مع خريطة انتشار المدن الرومانية في بلاد المغرب فوجدوا أن الخريطتان تتطابقان في الجزء الجنوبي منهما و هي نفس المنطقة التي ستأسس عليها فيما بعد المملكة النوميديّة. مما يدعو إلى الاعتقاد أن حضارة عمرانية ليبية محلية نشأت في المناطق الداخلية و هي التي حضرت للمدن الرومانية فيما بعد. الخريطة الأولى وضعها غابريال كامبس، أما القراءة فهي ل "فيفريه" أنظر:

217-216.G.Camps, Monuments et rites funéraire,...op.cit . , pp-

- P.A.Fevrier, « Les origines de l'habitat... » op.cit., p. 122

خلال قوة قرطاج. وقد أورد أصحاب النصوص الثلاثة معلومات عن الإدارة القرطاجية و امتداد دولتها وكذا مدنها مثل دوقة و هيكاتومبيل وسيكا مع ارتكابهم أخطاء تمثلت في سوء تبين علاقة تلك المدن بقرطاج و نوع تبعيتها لها. حيث رأوا قرطاج بعين رومانية و لم يكتروا بها كثيرا. وتبقى تلك المصادر مهمة لنا في التعرف على أسماء المدن المنتشرة في التراب القرطاجي أو النوميدي، وكذا عددها. حيث ذكر ديودور حوالي 200 مدينة، لكن الغموض يحيط بمواقع الكثير منها. كما وردت معلومات عن مدن نوميديّة مثل سيرتا عاصمة الماسيليين عند تيتوس ليفيوس وعند سترابون، هذا الأخير الذي ذكر حوالي 300 مدينة تقع كلها في ليبيا وكانت قرطاج تسيطر عليها في بداية الحرب البونية الثانية، كما ذكر تيتوس ليفيوس أن مسينيسا أخذ من قرطاج حوالي 70 مدينة وقرية، بينما ذكر أبيانوس أن عدد المدن التي أخذها ريغولوس كان 200 مدينة. هذا وقد تناولت نصوص أخرى موضوع العمران بعد سقوط قرطاج في الفترة التي تقهر فيها العمران البوني بسبب الحروب مثل حرب يوغرطة و الحرب الأفريقية، على غرار المؤرخ سالوستيوس، حيث ظهرت عنده نظرة سوداء حول انكماش للمدن وقلة عددها. رغم ذلك نجد نصوصا أخرى مهمة لا غنى لنا عنها مثل نصوص بليينوس الكبير الذي وضع قائمة مهمة للمدن التي كانت موجودة في عهد أغسطس في أفريقيا البروقنصلية، ويشاركه في ذلك صاحب كتاب "الحرب الأفريقية". فما هو يا ترى حجم معارفنا حول العمران السابق للاحتلال الروماني من خلال هذين المصدرين المؤرخ الروماني سالوستيوس والجغرافي بليينوس الكبير حيث أرخ الأول لنهاية الجمهورية الرومانية وعكست معلوماته الحياة العمرانية في أفريقيا خلال

تلك الفترة و بالتالي اختلفت معلوماته تلك عن المصادر السابقة . أما بليينوس الكبير الذي خصص الجزء الخامس من موسوعته للتحدث عن بلاد المغرب القديم، فقد وصف أفريقيا البروقنصلية ومدنها ووضع تصنيفا للمراكز العمرانية فيها. وعلى الرغم من أن بليينوس الكبير يعتبر من المصادر المتأخرة عن الفترة البونية باعتباره من مؤرخي الفترة الإمبراطورية، إلا أن قائمة المدن التي وضعها تعتبر من بين أهم القوائم والمصادر المهمة للباحثين من حيث المعلومات المهمة التي احتوت عليها رغم ما فيها من أخطاء تاريخية ومعلومات لا تتلاءم مع الفترة الزمنية التي عاش فيها.

1- سالوستيوس (87-35) ق.م : هو كايوس سالوستيوس كريسيبوس، من الكتاب الذين أرخوا لعصر الجمهورية الرومانية. كان ينتمي إلى أسرة من العامة، ويناصر الحزب الديمقراطي وعلى رأسه يوليوس قيصر. شغل عدة مناصب سياسية كمنصب محامي للعامة وعضوا في مجلس الشيوخ الروماني من سنة 51 إلى 46 ق.م. و عند عودته من مقاطعة أفريقيا الجديدة أين شغل هناك منصب بريطور سنة 46 ق.م، أتهم بنهب الولاية، فاعتزل السياسة وتفرغ للكتابة انتقاما من الطبقة النبيلة. أهم مؤلفاته: "حرب يوغرطة" و"مؤامرة كاتيلينا"<sup>1</sup>. وقد جمع في كتابه "حرب يوغرطة" عدة معلومات، منها ما يخص الحرب في حد ذاتها، وكذا إشارات إلى أصل الليبيين التي رأى فيها الباحثون نسجا من الخيال لا يستند إلى الحقيقة التاريخية. أما بالنسبة لموضوع العمران، ورغم أن سالوستيوس متأخر عن الفترة البونية، وكتب بعد سقوط قرطاج سنة 146 ق.م، إلا أنه يمكننا

---

<sup>1</sup> - عبد اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، بيروت، 1970، ص. 13-14

الاستفادة من كتاباته، حيث أورد معلومات مهمة حول بعض المدن التي كانت موجودة أثناء الفترة التي دارت فيها حرب يوغرطة، والتي دارت فيها معارك بين الملك النوميدي يوغرطة وبين الرومان. وفي هذا السياق، ذكر سالوستيوس أنه كانت هناك الكثير من المدن المحصنة وقلع عديدة، محصنة بأسوار ومحاطة بعدة قرى زراعية توجد في منطقة باجة<sup>1</sup>. كما أشار أيضا إلى أن العديد منها دمر أثناء حرب يوغرطة، مثل مدينة سوتول (Suthul)، التي من المرجح أن يكون موقعها في التل التونسي. كما ذكر أيضا مدينة "تالة Thala"، التي عرف فيما بعد أنها نفس المدينة التي وجدت في الفترة الإمبراطورية جنوب مدينة قفصة والتي دمرت من طرف يوغرطة<sup>2</sup>. ومن جهة ثالثة، ذكر سالوستيوس أن مدينة قفصة كان قد دمرها الرومان خلال حرب يوغرطة. وأضاف أيضا أنها كانت مدينة كبيرة، يمكن أن تكون خاضعة للقرطاجيين نظرا لموقعها الإستراتيجي في مفترق الطرق، وغناها بالمياه. وقد تأثرت مدينة قفصة بالحضارة البونية، نظرا لنظام الأشفاط وهو نظام حكم بوني استمر فيها إلى غاية الاحتلال الروماني وبالضبط إلى غاية عهد الإمبراطور تراجان<sup>3</sup>.

وفي الأخير يمكننا القول أن المعلومات السابقة لسالوستيوس، عكست الحياة العمرانية في المغرب القديم خلال القرن الأخير من الجمهورية

---

<sup>1</sup> - A.Mahjoubi, Villes et structures urbaines..., op.cit. p.23

<sup>2</sup> - J.Toutain, « Les progrès de la vie urbaine dans l'Afrique du Nord sous la domination romaine » dans, Mélanges Cagnat, Paris, 1912

. p.322

<sup>3</sup> - ST.Gsell, HAAN, T.II, pp. 98-99



الرومانية. ويبدو حسب كتابات سالوستيوس أن تلك الحياة اختلفت عن القرون السابقة عندما كان عدد المدن في الدولة القرطاجية يقارب المائتي مدينة. وقد ظهر صدى تلك المعلومات في نصوص أخرى مثل نصوص سترابون و بومبونيوس ميلا وبلينيوس الكبير التي تحدثت عن تقهقر العمران البوني في القرن الأخير من الجمهورية الرومانية وبداية الإمبراطورية بسبب الحروب التي عرفتھا المنطقة خصوصا في شرق المغرب القديم، وكان من بينها حرب يوغرطة والحرب الأهلية بين قيصر وخصومه في أفريقيا. وبذلك ذكرت تلك النصوص أن معظم المدن تركزت في السواحل أو في المناطق التلية وأبعد المدن الداخلية كانت سيرتا و الكاف وزاما ولارس<sup>1</sup>. ويبدو أن تلك النظرة السوداء حول حالة العمران البوني قبيل الإمبراطورية الرومانية إن لم تكن حقيقية فهي تعكس نظرة النصوص الرومانية للدور الحضاري الروماني في بلاد المغرب القديم ودور الرومان في بعث الحياة الرومانية من جديد. وقد استغل مؤرخون كثيرون فيما بعد تلك المعلومات ليبعدوا عن بلاد المغرب القديم السابق للاحتلال الروماني كل مظاهر الحياة الحضرية والمدنية التي ستبدأ من وجهة نظرهم مع الاحتلال الروماني.

---

<sup>1</sup> - J.Toutain, « Les progrès de la vie urbaine... », op.cit. , pp. 319-325

2-بليينوس الكبير(Pline l'ancien) (: (23 – 79) م: هو عالم موسوعي، عاصر الإمبراطور فسباسيان وكان مقربا منه. بلغ عدد مؤلفاته حوالي 102 مؤلف لكنها ضاعت ولم يصلنا منها سوى موسوعة "التاريخ الطبيعي" التي كتب فيها عن علوم الجغرافيا والأجناس والسلالات البشرية وعلوم الحيوان والنبات والصيدلة والمعادن والتعدين. وقد خصص بليينوس الجزء الخامس من موسوعته تلك للتحديث عن بلاد المغرب القديم، وركز معلوماته حول جغرافية المنطقة وعن وديانها وعن الحدود بين الممالك النوميديّة. كما أشار إلى منطقة الميتاغونيتيس التي جاءت في المصادر التي سبقته، ووضح أنها تمتد غرب رأس بوقرعون ولم يوضح أين تنتهي<sup>1</sup>. هذا وقد أفرد بليينوس الكبير قسما من كلامه لوصف أفريقيا البروقنصلية وبلدنها، والأهم من ذلك أنه وضع تصنيفا لتلك المراكز العمرانية الموجودة في المنطقة.<sup>2</sup>

وعلى الرغم من أن بليينوس الكبير يعتبر من المصادر المتأخرة عن الفترة البونية باعتباره من مؤرخي عهد الإمبراطورية، إلا أنه اعتمد في تدوين معلوماته عن مدن أفريقيا البوقنصلية على مصادر تعود إلى حكم الإمبراطور أوكتافوس أغسطس أي إلى بداية الإمبراطورية الرومانية.<sup>3</sup> وبذلك تعتبر قائمة المدن التي وضعها بليينوس الكبير، من أهم القوائم والمصادر المهمة للباحثين من حيث المعلومات المهمة التي احتوت عليها، رغم

<sup>1</sup> - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص. 110

<sup>2</sup> - S.Aounallah, Pagus, Castellum et Civitates, étude d'épigraphie et d'Histoire sur le village et la cité en Afrique romaine, Paris, 2010 . pp. 44-45

<sup>3</sup> - Ibid, p. 44

ما فيها من أخطاء تاريخية خصوصا في عدم تلاؤم التصنيف القانوني للمدن الذي وضعه بليينوس الكبير، مع الفترة الزمنية التي كان يعيش فيها و ذلك لاعتماده على مصادر تعود إلى فترات زمنية سابقة لعصره. وليس موضوعنا هو مناقشة الأخطاء التي جاءت في تلك القائمة بقدر ما هو استغلال لها للتعرف على أسماء المدن التي كانت موجودة في عهد أغسطس، لأنه وحسب الأبحاث والدراسات، تبين أنه خلال القرن الأول من الاحتلال الروماني إلى غاية عهد أغسطس، لم تستجد أمور في ميدان التمدين وخصوصا خلق أو بناء مدن جديدة. وبالتالي فإن قائمة بليينوس مهمة لنا للتعرف على المدن البونية خلال بداية الاحتلال الروماني، التي يبدو أنها تقريبا نفس المدن البونية السابقة للاحتلال بدليل أن أسماء المدن التي ذكرها بليينوس الكبير هي نفس الأسماء التي ذكرتها المصادر السابقة له والتي أرخت للفترة ما قبل 146 ق.م<sup>1</sup>. وإذا عدنا إلى قائمة بليينوس الكبير، نجده قد ذكر حوالي 53 مدينة مصنفة إلى: المستعمرات في المرتبة الأولى، وفي المرتبة الثانية نجد الأوبيدا (oppida) هذه الأخيرة التي يصنفها إلى أربعة أصناف ثم في المرتبة الثالثة وهي الأكبر حجما تضم أغلب المجموعات السكانية في أفريقيا وأطلق عليها بليينوس مصطلح (nationes)<sup>2</sup>. وقد وجد الباحثون صعوبة كبيرة في تطبيق قائمة بليينوس على الواقع المزامن له، وأيضا في تفسير عدد من المصطلحات التي استعملها مثل كلمة (populi) وكلمة (oppidum)، وكذا في معرفة السبب الذي جعله لا يستعمل مصطلحات قانونية أكثر دقة كانت موجودة في عصره مثل مدينة

---

<sup>1</sup> - Ibid, pp.48-57

<sup>2</sup> - Pagus, Castellum et Civitates..., op. cit, p.44

أجنبية أو بلدية ذات قانون لاتيني أو روماني أو مصطلح باجي<sup>1</sup>(Pagus). وبالرغم من ذلك، ورغم اختلاف المصطلحات القانونية التي ذكرها بليينوس الكبير، يبقى مصطلح مدينة (Civitas) هو المهم بالنسبة إلينا، مثل سيرتا و سيكا (الكاف) و قرطاج وماكسولا وطبرقة وأوتيكا وغيرها كثير.

- الأوبيدوم حسب بليينوس الكبير: ذكر بليينوس الكبير في الفقرة الأولى من كتابه الخامس مصطلحي أوبيدوم (Oppidum) وكاستيلا و (Castella) على أن لهما نفس المفهوم العمراني ولم يفرق بينهما: "إن أسماء الشعوب والأوبيدا التابعة لها كلها وعلى الخصوص صعبة النطق إلا من من طرف الأهالي، هؤلاء الذين يسكنون مجرد كاستيلا بسيطة".<sup>2</sup> ومن جهة ثانية، ذكر كذلك بليينوس الكبير في قائمته أن هناك مدنا تحمل مصطلح (Oppida Civium Romanorum)، و أوضح أنها مدن تحوي داخلها ما يعرف بـ (Conventus) أي مجموعة من المواطنين الرومان أنشئت من القائد الروماني "ماريوس" ويضرب مثالا على ذلك (Uchi Maius).

---

<sup>1</sup> - يفسر الباحث "عونالله" ذلك وبصفة أقرب إلى الإقناع أن المصادر التي استعملها بليينوس الكبير هي السبب في ذلك، لأنها تعود إلى بداية عهد الإمبراطور أغسطس عندما لم يتم بعد تنظيم السكان والمراكز العمرانية في أفريقيا البروقنصلية. وبالتالي فإن كلمة أوبيدوم تعني عند بليينوس: مجموعة سكنية أو تجمعاً سكانياً رومانياً أو محلياً أو لاتينياً لم يضبط أو لم يحدد وضعه القانوني بعد. لمزيد من المعلومات أنظر:

- S.Aounallah, Pagus, Castellum et Civitates..., op. cit., p.46-47

<sup>2</sup> -- Plin l'Ancien, Histoire Naturelle, Livre V, Par.I, Trad. J.desanges, Paris 1980.

غير أن الأبحاث التاريخية أثبتت عدم صحة معلومات بليينوس الكبير، لأن الموقع السابق الذكر حمل كذلك مصطلحات عمرانية أخرى وهي: باجوس (Pagus) وأحيانا أخرى قلعة (castellum). كما لا يمكن القول أن الأوبيدا (Oppida) هي نفسها (Conventus)، لأن هذا المصطلح الأخير له معنى آخر وهو مواطنون رومان استقروا في مدينة أجنبية. وذكر بليينوس الكبير كذلك نوعا آخر من المدن أطلق عليه اسم المدن المحصنة الحرة (Oppida Libera) كان لها نظامها الخاص، وكانت لها إمكانية انتخاب حكامها وتسيير نفسها بقوانينها الخاصة. و يذكر قائمة لتلك المدن مثل حدرموت و بوللاريجيا، وليبتيس مينوس وزاما وتابسوس، ويضم إليها مدنا يقول أنها حرة ولكن حقيقة الأمر هي مستعمرات قيصرية. مثل قليبية ونابل و (Curubis) .

-المفهوم العمراني للأوبيدوم وعلاقته بالمراكز العمرانية الأخرى: يمكننا طرح عدة افتراضات حول نص بليينوس الكبير: فالمدن الحرة يطلق عليها بليينوس الكبير اسم (Oppida). هل كان بليينوس الكبير يقصد من مصطلح (Oppidum) مدينة ليس لها قانون روماني؟ وبالتالي فإن أصولها البونية لا تغير من الأمر شيئا. وكذلك الأمر إن كان بليينوس الكبير يقصد من المصطلح مجموعة من المواطنين الرومان الذين استقروا في تلك المدن البونية؟ لأن المعروف عن مصطلح "أوبيدوم" هو المكان الذي سكنه مواطنون رومان في انتظار قانون ونظام نهائي. ومن جهة ثانية، عندما وضع بليينوس الكبير مصطلحي "أوبيدوم" و"كاستيلا" في نفس المرتبة العمرانية فكلامه صحيح كون الأوبيدا (Oppida) تشبه الكاستيلا (Castella) في

كونهما أماكن محصنة. غير أن الشيء الذي لم يوضحه بليونس الكبير يكمن في أن الكاستيلا تشبه أكثر تنظيم الباجي (les Pagi)، وذلك في كونهما تابعين لمستعمرة ما. كما أن الأوبيدا (Oppida) تتميز عن الباجي في أنها مراكز عمرانية استقرت بها مجموعات من المواطنين الرومان بشكل عفوي و غير منظم.<sup>1</sup> كما تمتعت تلك المجموعات داخل مراكزها العمرانية باستقلالية معينة، وأعطت لنفسها تنظيما إداريا مشابها لتنظيم البلديات، وذلك في انتظار قانون نهائي. وفي الأخير يمكننا القول أن مصطلح أوبيدا (ppida0) هو المصطلح القاعدي الذي لا يملك معنى إداري محدد مثل المصطلحات الأخرى، وليس له قانون ولا حقوق محددة ولا مؤسسات معينة.

#### الخاتمة:

في الأخير نستنتج أن موضوع العمران البوني أو العمران بصفة عامة وخصوصا المدن، قد ورد في النصوص الإغريقية واللاتينية التي أرخت للحروب البونية في زمن القوة القرطاجية وكذا في زمن ضعفها وبداية الاحتلال الروماني للمنطقة. وقد تنوعت تلك المعلومات ما بين أسماء المدن التي كانت منتشرة على سواحل المغرب القديم وكذا المدن الداخلية سواء الموجودة في التراب القرطاجي وكذا المدن النوميدية. وقد ذكرت تلك النصوص أعداد تلك المدن في عدة مناسبات وكذا أسماؤها وفي بعض الأحيان علاقتها بالدولة القرطاجية. ولكن تبقى تلك المعلومات سطحية

---

<sup>1</sup> - M.Benabou, La résistance africaine à la romanisation, Paris, 1974, pp. 410-

وغامضة في الكثير من الأحيان مثل مواقع البعض منها أو علاقتها بالدولة القرطاجية إن كانت تابعة أو حليفة أو غيرها. ومهما يكن من أمر فإن تلك المصادر كانت عوناً لنا في التعرف على أسماء المدن التي كانت موجودة قبيل الاحتلال الروماني مع تميز تلك المعلومات أحياناً بالغموض والسطحية في ظل غياب المصادر المحلية.

## القائمة الببليوغرافية المعتمدة :

- عبد اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، بيروت، 1970
- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، باتنة، 2003
- S.Aounallah, Pagus, Castellum et Civitates, étude d'épigraphie et d'Histoire sur le village et la cité en Afrique romaine, Paris, 2010
- M.Benabou, La résistance africaine à la romanisation, Paris, 1974
- G.Camps, Aux origines de la berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques, Paris, 1961
- P.Cintas, Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, Paris, 1954 .
- S.Crouzet, « Les statuts civiques dans l'Afrique punique, (De l'historiographie moderne à l'historiographie antique) », MEFRA, 115, 2, (2003).
- P.A.Fevrier, « Les origines de l'habitat urbain en Maurétanie césarienne. », Journal des savants, (1967).
- P.Fevrier, « Urbanisation et Urbanisme de l'Afrique romaine », A.N.R.W, 1982
- ST.Gsell, HAAN, T.II, Paris, 1918.
- A. Mahjoubi, villes et structures urbaines de la province romaine d'Afrique, 2<sup>ème</sup> édition revue et augmentée, centre de publication universitaire, Tunis, 2011
- Plinie l'Ancien, Histoire Naturelle, Livre V, Par.I, Trad. J.desanges, Paris 1980.
- J.Toutain, « Les progrès de la vie urbaine dans l'Afrique du Nord sous la domination romaine » dans, Mélanges Cagnat, Paris, 1912
- antique) », MEFRA, 115, 2, (2003), pp. 655-703.... -G.Villemot, Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie, Autun, Musée Rollin, 1965, 456



# المخازن التقليدية والمخازن الحضرية في الجزائر في الفترة القديمة

ط د/ نوال بوغابة.

جامعة الجزائر 02-معهد الآثار.

## مقدمة:

يرتبط تنظيم المجتمع في شمال إفريقيا بفكرة الملكية والاستغلال والتوزيع الجماعي للثروات والعمل والفضاء العمومي، ويتجلى ذلك في تخصيص مبنى عمومي لكل نشاط، ومن بينها المخازن ذات الملكية الجماعية. فما هو هذا النوع من المباني؟ ما هي مكانته ودوره في النمط المعيشي والتنظيمي لمجتمع شمال إفريقيا؟ وتم اختيار هذا النوع من العمارة، باعتبارها من بين أهم المباني والمنشآت التي يتجلى دورها كمركز للتنظيم الاقتصادي وعامل للاستقرار وأمن كل سكان المناطق الحضرية والريفية. وتم اختيار هذا الموضوع لأهمية "البعد الهوياتي" لهذا النوع من العمارة، كون هذه الأخيرة هي جزء من التراث المادي في أغلبية مناطق الجزائر وجنوب غرب تونس وشمال غرب ليبيا، وهي تتجاوب مع النمط الاقتصادي الريفي والحضري في هذه المناطق منذ فجر التاريخ إلى غاية الفترة الحديثة. لم تكن من أكبر المباني لكنها من أهم ما بقي من المباني العمومية لكون أمن سكان المدينة أو القرية مرتبط بها، فهي تحظى بعناية أمنية وقانونية خاصة من طرف سلطات المدينة لدرجة أنها أدرجت من بين

المباني المقدسة. وعليه سنركز في هذه الورقة البحثية على إبراز نوعين من المخازن وهي المخازن التقليدية نجد شواهد آثارها في المناطق الجبلية المنيع من الأطلس الصحراوي، والمخازن الحضرية توجد شواهد آثارها في المواقع الأثرية للمدن القديمة، إذ لا يوجد موقع أثري من الفترة القديمة سواء النوميديّة وخاصة الرومانية دون أن يحتوي على مبنى مخصص لتخزين الموارد الغذائية. ومن خلال هذه المعطيات السريعة سوف نبين ما هي المخازن التقليدية الريفية ونظيرتها الحضرية وعرض الجانب المادي والجغرافي لكل نوع مع تسليط الضوء على رمزية هذه المباني في الهوية الشاوية قديما وحديثا، ودورها الحقيقي الثابت في صنع النمط المعيشي لسكان إفريقيا رغم تعاقب عدة حضارات فيها.

## 1. مفهوم المخازن:

استعمل الرومان كلمة أوريوم (Horreum جمعها أوريا) horrea (لتسمية المخزن، وارتبط تعريفها مباشرة بمخازن الحبوب (les greniers) لأنها كانت في الأصل لا تخزن فيها إلا الحبوب. ومع تطور أهمية التخزين وتوسع قائمة المواد المخزنة، ظهرت تقسيمات حسب المادة الأساسية المخزنة في كل نوع<sup>1</sup>، على سبيل المثال ظهرت مخازن المواد المصنعة (Horreum candelarium) مخصصة للشموع والشحوم المستعملة في الإضاءة، ومخازن القمح (Horreum frumentarium) ومخازن الكروم

---

<sup>1</sup> Carre. M-Br, Les réseaux d'entrepôts dans monde romain. Javier Arce et Bertrand Goffaux. Horrea d'Hispanie et de la Méditerranée romaine, Casa de Velazquez, pp. 23-39, 2011, Collection de la casa de Velazquez ; 125. Hal Id : halshs-00710806. P. 24.

<sup>1</sup> Horreum vinarium، كما استخدمت (horrea subterranea) لتخزين الأعمال الفنية والسلع الأساسية من المنتجات الغذائية.<sup>2</sup>

## 2. أهميتها في استقرار المناطق الحضرية في إفريقيا شمال أفريقيا:

بعدما تحولت مناطق شمال إفريقيا إلى مقاطعات رومانية وتوسيع القدرة الإنتاجية لأراضيها الزراعية التي ورثتها من الممالك المحلية، تطلب الأمر ضرورة بناء "مخازن الحبوب" للإمبراطورية الرومانية. ومن جراءها انتعشت الحركة التجارية، وكان القمح في صدارة قائمة السلع الموجهة لروما، مما أدى إلى زيادة أهمية المخازن ودورها الحيوي في الجانب الاقتصادي. ونتج عن إنشاء المخازن العمومية للتخزين استحداث تنظيمات احترافية وتجمعات حرفية رسمية تدعى "فرومنتاري والمنسوراس" لتكوين محترفين في ضمان أمن المخازن وإدارة توزيع محتوياتها أثناء دخولها، إيداعها، وأثناء عملية توزيعها. كان كيانو القمح من الفاعلين الأساسيين في هذه الأنشطة، حيث قاموا بمراقبة المخزونات وتسجيلها بدقة.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> Otto. Claude, Horreum Miscellanea Etymologica, Bulletin de l'Association Guillaume Budé, tome 1, 2017, p. 123, 124.

<sup>2</sup> Pline le Jeune, Epist. VIII. 18.

<sup>3</sup> Tran. Nicolas, le rang social des collegiati en Italie et en Gaules sous le Haut-Empire, In. Les Membres Des Associations Romaines, Ecole française de Rome, Rome, 2016, Deuxième partie, p. 241-294.

ويعتبر المخزن مركز لمصادر الغذاء لكل مدينة وتجمع حضري، حيث تخدم أسواق المدن الرومانية والأسواق المحلية<sup>1</sup>، ويعتمد عليها كل من الخبازين وملاك المطاعم والمخامر في اقتناء القمح والزيت والملح والتوابل على ما توفره لهم تلك المخازن، وبدونها تتوقف هذه النشاطات. بالإضافة إلى ذلك يوجد في كل مدينة نخبة إدارية وعمال ووكلاء الإمبراطور وأعضاء الفرق المختلفة من أجهزة الأمن والتجار وعمال النظافة والمحاجر كلهم يتلقون حق قوتهم من تلك السلع.

ازدادت أهمية المخازن مع تطور المدن القديمة فكانت بدايتها مخصصة لتخزين وتوزيع المواد الغذائية الأساسية وبالدرجة الأولى القمح كونه كان ضروريا لصناعة الخبز. وبعدها أصبحت تخزن فيها مواد أخرى من بينها زيت الزيتون والذي يأخذ هو الآخر أهمية كبرى لأنه كان يستعمل في ميادين كثيرة أكثرها الإنارة والطبخ والتداوي، كما أصبحت المخازن تخصص فيها مستودعات لحفظ النبيذ والذي يعتبر منتج جد مهم في الثقافة الرومانية، والمؤن وحتى الملابس كانت تخزن استجابة لمتطلبات واحتياجات السكان، بالإضافة إلى المواد الخام مثل الرخام والمعادن<sup>2</sup>. كما كانت الأطعمة وحوايات مرق السمك (Garum) والملح أيضا من المنتجات الشائعة التي تم تخزينها في هذا النوع من المنشآت<sup>3</sup>. وكانت المخازن همزة وصل بين كل مدينة ومحيطها الحيوي، لذلك تم ربط أماكن التخزين بأماكن الإنتاج

---

<sup>1</sup> Carre. M-Br, Art.cit, p. 23.

<sup>2</sup> Lawrence Richardson, A New Topographical Dictionary of Ancient Rome, JHU Press, 1992, p. 193.

<sup>3</sup> Carre. M-Br, Art.cit .p. 24.

وأماكن التصدير إلى مواني روما وتخصيص مخازن في محطات استراحة التحميل<sup>1</sup>. هذا التطور في أهمية المخازن جعل من الضروري بناء شبكة من المخازن خارج المناطق العمرانية، والتي كانت بمثابة شبكة إمداد للمخازن الحضرية. بنيت بالقرب من مراكز الإنتاج ومراكز الأمن والجيش وعلى جانب الطرقات لتقليل من تكاليف النقل. بالإضافة إلى ذلك كانت هناك مخازن في الفيلات الريفية وأماكن استراحة التحميل<sup>2</sup>.

لقد ساهم تكوين المخازن في عملية التحكم في إدارة توزيع الغذاء عند الرومان. وبفضل المخازن تمكن عمال الأنونة (Annonae) من مراقبة كل مراحل العملية من الجمع إلى التوزيع. وكانت الحل الوحيد لمواجهة صعوبات النقل، خاصة كلما ابتعدنا عن البحر والممرات المائية<sup>3</sup>، كما ساهمت في التحكم في توفير الغذاء خلال فترات الجفاف والكوارث الطبيعية وفترات الحروب، وفي تنظيم مواسم النقل البري والبحري. وساعدت المخازن على ضمان تدفق مستمر للسلع<sup>4</sup> وتوفير المنتجات والموارد الأساسية لتحقيق رفاهية المجتمع ككل. كانت مخازن شمال إفريقيا تلعب دورا حيويا في توفير البضائع والسلع، لا سيما الحبوب وزيت الزيتون والنبيد. غالبا ما تقع مواقع هذه المباني بالقرب من الموانئ والطرق لتسهيل التجارة البحرية والإمدادات والنقل، وكانت جزءا من شبكة هرمية

---

<sup>1</sup> Ibid, p. 23.

<sup>2</sup> Ibid, p. 37-39.

<sup>3</sup> Carre. M-Br, Art. Cit, p. 37-39.

<sup>4</sup> Bonifay. M., « La céramique africaine, un indice du développement économique », Revue Antiquité Tardive, vol. 11, 2003. p. 113-128.

استجابت لاحتياجات تخزين ونقل المنتجات الزراعية إلى روما ومناطق أخرى.<sup>1</sup>

### 3. تسيير وتنظيم المخازن:

كانت المخازن العمومية جزءا أساسيا من النظام الاقتصادي والسياسي للإمبراطورية الرومانية. وكان أفراد من القادة السياسيين وكبار مسؤولين في السلطة الإدارية الإقليمية والمركزية هم من يملكون تلك المخازن الخاصة. تم ضمان مسؤوليتهم عن سلامة الاحتياطات الموجودة في المخازن من خلال التفتيش على نشاطات البناء للمباني والمنشآت الحضرية وكذا مراقبة تطبيق القوانين التي تنص على سلامة المخازن والأنونا.<sup>2</sup> وبعد الفترة الرومانية تواصل استعمال مباني التخزين في مجتمعات البحر المتوسط التي سبقت الثورة الصناعية<sup>3</sup>، وفي شمال إفريقيا لغاية القرن الماضي. واستخدمت في تنظيم وتسيير هذه المباني طرقا مرنة تجمع بين التخزين والتوزيع والبيع، وأحيانا السكن ضمن نفس المبنى، وهذا ما يتناقض مع

---

<sup>1</sup> Carre. M-Br, Art. cit. 24-25.

<sup>2</sup> Hamrouni. M-R, « servitudes et préoccupations de construction des horrea publica en Afrique » : Apport des sources juridiques et de l'archéologie, actes du septième colloque international ; Villes et archéologie urbaine au Maghreb et en méditerranée, Monastir 10- 12 Avril, 2018, p. 249.

<sup>3</sup> Ubaldo Bernardos Sans. J et Catherine Virlouvet, « Formes et fonctions : essai de Typologie », In. Entrepôts et trafics annonaires en Méditerranée. Antiquité-Temps modernes, Coll. E.F.R., 522, Rome, 2016, p. 69.

الفكرة الشائعة عن التخصص المفرط<sup>1</sup>. غالبا ما يتم تمويلها من قبل السلطة أو الأسر الغنية أو المسؤولين الإداريين والسياسيين في إطار الهبات، مما عزز المكانة الاجتماعية والاقتصادية للمتبرعين. هذا النوع من الدعم سمح بتحقيق دخل من هذه الهياكل في مقابل استفادتهم من الاعتراف العام<sup>2</sup>. وغالبا ما كانت تدار المخازن من خلال عقود إيجار، مما يسمح باستخدام فعال للمساحة لأصناف مختلفة من السلع. كما كانت تستخدم كمواقع للبيع بالتجزئة والجملة والائتمان، وتشارك في الدورات الاقتصادية<sup>3</sup>. يتم إدارتها ومراقبتها من قبل الإدارة والتسلسل الهرمي الإداري والعسكري بأكمله<sup>4</sup>.

تسير المخازن خلال حالات الأزمات الكبرى مباشرة من طرف السلطة الإقليمية. وفي هذا السياق يظهر الإجراء الطارئ الذي اتخذته حاكم إفريقيا يوليوس فيستوس هيميتيوس في سنوات 366-368م على أهمية هذه المخازن<sup>5</sup>. حيث قرر ترخيص بيع كمية معينة من القمح المسحوبة من مخازن الأنونا بالعاصمة الإفريقية بسبب نقص القمح في قرطاجنة. وعندما

---

<sup>1</sup> Virlovet. Catherine, « Entrepôts de stockage, entrepôts et marchés dans l'Afrique du Nord antique », *Antiquités africaines*, Vol. 43, 2007, p. 166.

<sup>2</sup> Virlovet. Catherine, *Bâtiments de stockage et circuits économiques du monde romain*, (édité.) Véronique Chankowski et Xavier Lafon. Dans. « Stockage et distribution : un enjeu dans les circuits économiques du monde grec et romain », *Ecole Française d'Athènes*, 2018, p. 43-60.

<sup>3</sup> Ibid, p. 43.

<sup>4</sup> Hamrouni. M-R, Art-cit, p. 248.

<sup>5</sup> Ibid.

استقرت الأوضاع، سارع الحاكم إلى شراء القمح وأمر بتخزين الكميات التي سحها في المخازن المخصصة لروما<sup>1</sup>. وكثيرا ما تعجز المدن او البلدات في جمع الكميات الكافية من القمح لحاجات سكانها فتلجأ إلى طلب الإعانات من الإمبراطور<sup>2</sup>، ويقوم هذا الأخير بالاستجابة وتكليف فرق المراقبة والمتابعة في عملية الإغاثة. وهذا لتفادي الغش والمضاربة، وتكون تلك الإعانات إما في إطاريهات أو في إطارقروض.

3. أنواع المخازن: مع تطور أهمية المخازن وتنوع المواد المخزنة فيها وازدياد كمياتها، ظهرت ضرورة تخصيص أو تقسيم المخازن في الفترة القديمة إلى عدة أنواع منها:

أ. التقسيم حسب الملكية: هناك المخازن العامة تابعة لسلطات الضرائب الإمبراطورية، والمخازن الخاصة تكون إما عبارة هياكل مستأجرة يملكها أفراد أو مؤسسات خاصة، أو التي تكون ملاحق للفيالات الريفية، ومخازن التجمعات المحلية وهي مملوكة من طرف المؤسسات الدينية، والتي قد ترتبط بالمراكز الريفية ذات الوضع الأبوشي<sup>3</sup>. أما المخازن العسكرية فهي

---

<sup>1</sup> Picard. G-Ch., La Carthage de Saint Augustin, éd. Fayard, Coll. Résurrection du passé, Paris, 1965, p. 57.

<sup>2</sup> Djidi Houcine, l'Afrique et le blé de Rome aux IV<sup>e</sup> et V<sup>e</sup> siècles, Facultés des sciences humaines et sociales de Tunis, volume 34, histoire, 1990, p. 50.

<sup>3</sup> Marin. B et Virlovvet. C, Entrepôts et trafics annonaires en Méditerranée. Antiquité-Temps modernes, Coll. E.F.R., 522, Rome, 2016, p. 141.



تابعة للقوات العسكرية تستخدم لتلبية احتياجاتهم، وهناك المخازن التابعة للأباطرة.<sup>1</sup>

ب . التقسيم حسب الوظيفة: تضم كل من المخازن المتخصصة في تخزين نوع معين من السلع مثل الحبوب، وغالبا ما تكون على شكل مطامير (Silos). المخازن المتعددة الوظائف تجمع بين عدة استخدامات، مما يسمح بالتخزين والبيع بالتجزئة، وعادة ما تقع في مواقع استراتيجية مثل المدن والموانئ.<sup>2</sup>

ت . التقسيم حسب القدرة التخزينية: ترتبط هذه الصفة بنوع التخزين الذي يكون إما قصير أو متوسط الأمد أو دائما وطويل الأمد، ويمكن أن يتميز فيه نوعين:

-النوع الأول يخص المباني السطحية: ويحدد هذا الشرط أبعاد المبنى بالإضافة إلى علوه، إذ توجد مخازن مبنية على مستوى الأرض وأخرى مرتفعة عنه، وهذا حسب الضرورة والحاجة إلى التحكم في عامل التهوية التي يحتاج إليها كل نوع من السلع المخزنة.<sup>3</sup>

-النوع الثاني يخص المخازن المتعددة الطوابق: تم اكتشافها في الميناء السيفيري للبتيس ماغنا ومخازن ميناء قرطاجة<sup>4</sup> أو تلك الموجودة بأوستيا.

---

<sup>1</sup> Carre. M-Br, Art. cit, p. 37.

<sup>2</sup> Virlouvét. Catherine, « Entrepôts de stockage... », Art.cit, p. 166.

<sup>3</sup> Geraci Giovanni et Marin Brigitte, « Stockage et techniques de conservation des grains », Ecole française de Rome, 2016, p. 83-136.

<sup>4</sup> Hamrouni. M-R, Art.cit, p. 218.

يعتقد أن لهذه الأخيرة ملاحق تتكون من دكاكين مبنية في شكل صفوف متتالية تنفتح حول فناء مركزي. وعن خاصية الفناء المركزي فقد وجدت فقط في مخازن روما وأوستيا<sup>1</sup>، فلم يتم العثور لحد الآن على هياكل مشابهة لها في المقاطعات الرومانية الأخرى<sup>2</sup>. أما عن وظيفة الطوابق فيمكن أن تكون غرف للعمال والمسيرين وحراس المخازن أو غرف لحفظ الممتلكات الثمينة أو المواد التي لا تتطلب حجم تخزين كبير.

4 . المخاطر التي تتعرض لها المخازن: نظرا لدور المخازن الحساس كانت تبني في مواقع بناء مناسبة لخلق ظروف التخزين الملائمة لكل سلعة، وكان تسييرها يكلف إلى عناصر بشرية محترفة في أمن السلع ومراقبة نوعيتها والحرص على الغش والسرقة<sup>3</sup>. رغم تعرض مختلف مباني المدن للمخاطر مثل الفيضانات، الجفاف، الحرائق والزلازل<sup>4</sup>، إلا أن المخازن كانت الأكثر عرضة للحرائق خاصة التي كانت مفتعلة لاستغلالها في إحداث اضطرابات وارتكاب جرائم<sup>5</sup>، كما أنها كانت الأكثر عرضة لمخاطر السرقة مقارنة

---

<sup>1</sup> Patrich. Joseph, « Warehouses and Granaries in Caesarea Maritima », dans Caesarea Maritima : A Retrospective After Two Millenia, Leiden Brill, 1996, p. 149.

<sup>2</sup> Virlouvét. Catherine, « Entrepôts de stockage ... », Art.cit, p. 166.

<sup>3</sup> Hamrouni. M-R, Art-cit, p. 247.

<sup>4</sup> Isaac Moreno Gallo, LIBRATIO AQUURUM. L'art romain de distribuer l'eau, (trad.) Raymond Boutier et Jean-Claude Litaudon, pub. Catalogue de l'exposition AQUARIA, Zaragoza, 2007, pp. 1-29.

<sup>5</sup> Hélène Ménard, l'insécurité de La Rome impériale : p. 618.

بالبناءات الأخرى لأنها كانت الهدف المفضل لعصابات اللصوص<sup>1</sup>، وهذا لكونها تحتوي على الكثير من السلع القيمة، خاصة بعد أن أصبحت تستقبل ودائع الملاك من الممتلكات الثمينة كالأواني الفضية، الحلي والتمائيل<sup>2</sup>. عملت هذه المخازن بشكل عام مثل البنوك الحديثة مما جعلها تجذب اللصوص بصفة دائمة. ويعتبر الليل هو الوقت الأنسب لافتيال ولازكاب الجرائم والسرقة<sup>3</sup>، كما كانت مناسبات إقامة الألعاب والاحتفالات فرصا ثمينة للتعدي على المخازن لسرقتها.

5 . الإجراءات الأمنية في المخازن: يوجد ارتباط كبير بين الشكل المعماري للمخازن ومحيطها العمراني والشروط الأمنية التي يجب أن تتوفر في مختلف جوانبها. ولضمان الأمن، يجب أن تتوفر معايير أمنية محددة داخل كل مخزن.

أ . تأمين الأقسام الداخلية: يراعى في بناء المخازن توافر شروط حفظ السلع والمواد التي تودع فيها، وذلك بجعل كل قسم معزولا بشكل جيد. كما يتم تقسيم المبنى إلى غرف متعددة وذلك وفقا لأنواع المواد المختلفة التي تخزن في كل قسم، حيث تكون هذه الغرف في شكل وحدات مستقلة

---

<sup>1</sup> Digeste, CJ, 4, 65,1(Mosaicarum et Romanarum Legum Callato, 10, 9,1) ; 4, 65,4.

<sup>2</sup> Hélène Ménard, l'insécurité de La Rome impériale : entre réalité et imaginaire, éd, Société Française d'histoire urbaine, N° 2, 2000, p.61. ; Smith. William, A Dictionary of Greek and Roman Antiquities, John Marray, London, 1875, p. 618.

<sup>3</sup> Wilfried Nippel, Public Order in Ancient Rome, Cambridge, 1995, p.97

ولكل واحدة وظائفها الخاصة. بالإضافة إلى ذلك تجهز غرف التخزين بأرضيات مرتفعة وعازلة لخلق فراغات وممرات هوائية، تعمل على تعزيز تدفق التهوية الطبيعية وتقليل مستويات الرطوبة.

ب . تأمين المحيط العمراني: يتطلب اختيار مكان بناء يتوفر فيه طرق أساسية لتسهيل الحركة، وإبعاده عن الوحدات السكنية المجاورة له وحوله. هذا يضمن حصول المبنى على أشعة الشمس والتهوية اللازمة، ويجب أن تكون المسالك المحيطة به واسعة لضمان سهولة النجاة والتدخل الفوري في حالات الطوارئ. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن تفتح أبوابه على الشوارع الرئيسية لتسهيل عملية نقل السلع والأشخاص.

ت . تأمين الهيئة الهندسية: تتمثل في بناء الأسوار الخارجية للمخازن باستخدام مواد عازلة أهمها الآجر والجص وتكون سميكة لتوفير حماية وأمان أكبر للمواد المخزنة وتثبيت درجة الحرارة الداخلية. كما ينبغي أيضا التقليل من استخدام مواد البناء قابلة للحرق للتقليل من مخاطر الحرائق، ويجب توفير وسائل غلق محكمة لمنع دخول القوارض إلى المبنى<sup>1</sup>. كما يتعين تجهيز المباني بمسالك صرف مياه الأمطار لتفادي الفيضانات.

ث . تأمين الإجراءات الصحية: يتم تشديد الشروط على كل شخص يرغب في تخزين المواد الغذائية داخل المخازن بحيث تكون هذه السلع من الجودة العالية وجديدة ولا تحتوي على أي علامات للتلف أو الفساد أو الأمراض أو الجراثيم. ولضمان ذلك، يقوم موظفو إدارة المخزن بإجراء فحص دقيق

---

<sup>1</sup> Ubaldo Bernardos Sans. J et Catherine Virlovet, Art.cit. 61.

وفروض صارمة على صاحب السلع لفرزها وانتقائها ثم غسلها وتجفيفها بشكل جيد. هذا يساهم في منع انتشار الطفيليات والأمراض والجراثيم التي قد تنتقل عبر هذه السلع.

ج . تأمين بصرامة قانونية: نظرا لأن المواد الغذائية التي تخزن في المخازن كانت من أولويات روما وأن سياستها الغذائية تقوم على هذه المباني، فقد سنت الإدارة الرومانية ترسنة من القوانين لحمايتها. تضمنت هذه التشريعات قوانين تلزم مسؤولي كل مدينة بتأمين تلك المنشآت بشكل جيد<sup>1</sup>، وفرض عقوبات قاسية على الجرائم المتعلقة بالسرقة أو الغش أو السطو على المخازن، وكانت هذه العقوبات أشد مما هي عليه في غيرها من الأماكن الأخرى. كما تم تحويل صلاحية تنفيذ الاحكام المباشرة إلى حاكم الفيجيل للمعتدين على المخازن<sup>2</sup>. وبموجب قانون أصدره الإمبراطور قسطنطين الكبير في عام 326 م، نص على ترك مساحة بمقدار 30م تفصل محيط المخازن على المباني الأخرى<sup>3</sup>، كما نص مرسوم القسطنطينية 398 على هدم أي مبان خاصة تلامس أو تجاور تلك المخازن، مع مصادرة الأرض المحيطة بها<sup>4</sup>. ولم تستثنى هذه القوانين إجبارية الاعتناء بالجانب الهندسي للمباني والزامية استخدام مواد قوية تتحمل بناء طوابق علوية، بالإضافة إلى إجراءات لحماية المواد الغذائية من التعفن والحرائق<sup>5</sup>.

---

<sup>1</sup> Hamrouni. M-R, Art-cit, p. 247.

<sup>2</sup> Digeste, I, XV, 3, 1, XLVII, 2.

<sup>3</sup> Hamrouni. M-R, Art.cit, p. 218.

<sup>4</sup> CTH. XV. 1, 38. Janvier. Y, 1969, p. 233.

<sup>5</sup> Hamrouni. M-R, Art.cit, p. 219.

بالإضافة إلى إجراءات وقائية مثل غربلة القمح درسه وتدريبه بعد تقشيره للتخلص من الكائنات الدقيقة التي تعيش في أحادييد الحبوب.<sup>1</sup>

6 . المخازن في شمال إفريقيا: توفر لنا الأبحاث الأثرية مجموعتين من المخازن متشابهتين في دورها وأهميتها في المجتمع، ولكنهما مختلفتين من حيث السياق الثقافي والتاريخي، ونظرا لكثرة شواهدهما الأثرية، سندستعرض بعض الأمثلة لتوفير رؤية أوضح حول هذا الموضوع.

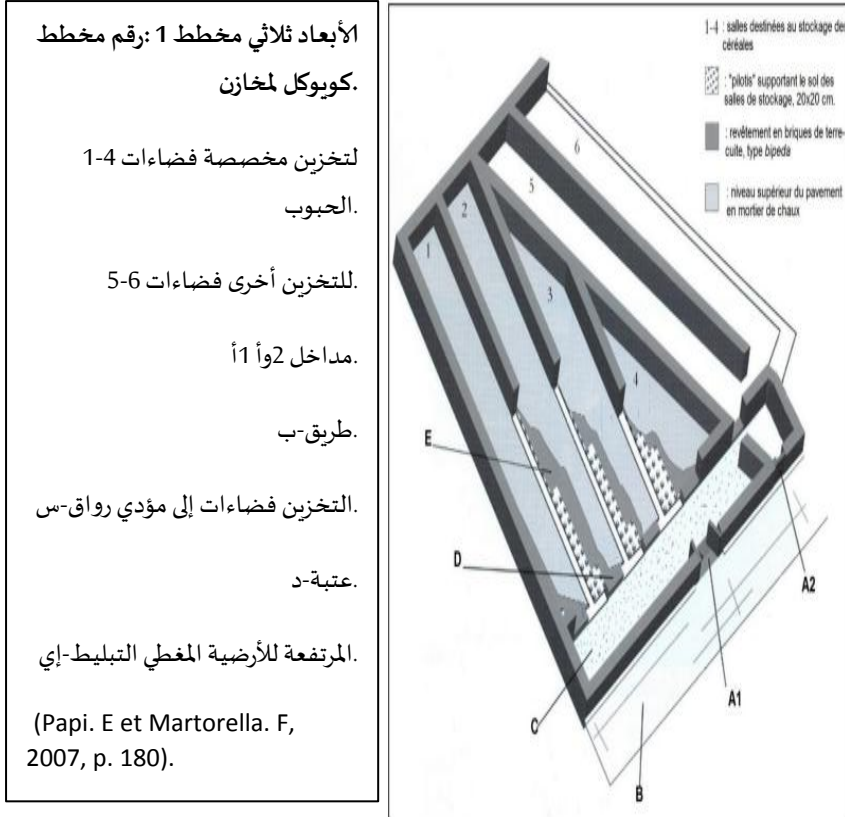
أ . مخازن الفترة الرومانية: نقصد بها تلك التي بنيت في الفترة الرومانية، انتشرت في أغلبية المواقع الأثرية القديمة، وعلى سبيل المثال مخازن موقع كويكول (جميلة). وتم اختيارها لكونها تعد من بين المخازن التي بقيت آثارها محفوظة، وقد خضعت لدراسات أثرية وتاريخية ومعمارية شاملة. تمثل هذه المخازن نموذجا مثاليا للمخازن العامة في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية، كما أن أوصافها الأثرية تتوافق مع أغلبية شروط ومعايير بناء المخازن كاستخدام دعائم من الطوب المشوي لعزل أرضيات غرف التخزين ليتم حفظ الحبوب في أكياس أو على شكل كومات<sup>2</sup>، وبنيت جدرانها الخارجية بجدار مضعف لتحمل ثقل المثونة وضمان عزلتها لتفادي

---

<sup>1</sup> Luraschi. A, I depositi di cereali : parassiti e trattamenti di disinfestazione, Milan, 1937, p. 40-42.

<sup>2</sup> Papi. E et Martorella. F, 2007b, « I grani delle Numidia », dans AA, 43, Journée d'étude, Aix-en-Provence, Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme, Entrepôts de stockage, entrepôts et marchés. Pour une typologie des Horrea dans l'Afrique du Nord antique, 13 octobre 2006, p. 180-182.

الحرائق وتسرب المياه إلى داخلها<sup>1</sup> وتحمل ثقل السقف من جهة<sup>2</sup>، وضمان عازلة جيدة لدرجات الحرارة داخل غرف التخزين من جهة أخرى<sup>3</sup>.



<sup>1</sup> Gros. P., L'architecture romaine, du début du III<sup>e</sup> siècle av. J.-C à la fin du Haut-Empire. 1 Les monuments publics, éd. Picard, Coll. Les manuels d'art et d'archéologie antique, Paris, 1996, p. 471.

<sup>2</sup> Hamrouni. M-R, Art-cit, p. 225.

<sup>3</sup> Bernardos Sanz. J et Virlovvet. C, Art.cit, p. 61-62.

ويعود تاريخ بناءها إلى القرن الثاني للميلاد. فمنذ هذه الفترة إلى غاية القرن الرابع كانت كويكول مركزا مهما في تحصيل الضرائب العينية<sup>1</sup>، مما أدى إلى إقامة مخازن عمومية تقدر مساحتها 500 متر مربع<sup>2</sup> (مخطط رقم: 01). تم اكتشافها والتنقيب عنها في عشرينيات القرن الماضي (1920)<sup>3, 4</sup>.

#### ب. المخازن التقليدية:

تنشتر هذه المخازن في محيط جغرافي واسع يضم كلا من المناطق الجبلية في ليبيا حاليا عند قبائلها<sup>5</sup>، وتوجد أيضا في جنوب تونس وجبال الأوراس وجبال الأطلس الأدنى في المغرب، لكنها تنحصر على المناطق التي يسود فيها مناخ شبه جاف، وفي المحيط الجبلي حيث يسود نمط عيش يعتمد على التنقل الموسمي والرعي كنشاط أساسي، وهذا يعني أيضا أن هذا النمط من التخزين الجماعي أو المشترك بين سكان القرية أو العرش يسود بطرق أخرى عند سكان المناطق الجبلية للأطلس التلي. من الناحية

---

<sup>1</sup> De Romanis. F, « In tempi di guerra e di peste. Horrea e mobilita del grano pubblico tragli Antonini e i Severi », dans AA, 43, Journée d'étude, Aix-en-Provence, Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme, Entrepôts de stockage, entrepôts et marchés. Pour une typologie des Horrea dans l'Afrique du Nord antique, 13 octobre 2006, 2007, p. 190.

<sup>2</sup> Virlovet. Catherine, « Entrepôts de stockage. Art.cit, 168.

<sup>3</sup> Allais. Y, « Les greniers publics de Djemila », Revue Africaine, 74, 1933, p. 259-268.

<sup>4</sup> Hamrouni. M-R, Art.cit, p. 222.

<sup>5</sup> Mattingly. David, nouveaux aperçus sur les Garamantes, un état saharien, Antiquités Africaines, n° 37, 2001, pp. 45-61.



الشكلية يبني المخزن في شكل وحدة معمارية مغلقة عن الخارج، بينما تنفتح كل الغرف على الساحة الداخلية.

كانت أولى الدراسات الميدانية في الجزائر وفي هذا المجال خلال الفترة الفرنسية، وكانت جميعها على يد القادة العسكريين اللذين كانوا يؤدون مهاماً مزدوجة بين الدراسات الاثنوجرافية والعسكرية للمنطقة وسكانها. فكانت أعمال القائد إيميل مسكوراوي<sup>1</sup> الذي خصص لها كتابه وسجل معطيات ميدانية كثيرة. هذا مثال عن مخزن في الجهة الجنوبية من جبال الأوراس تابع لمجموعة عائلية (مخطط رقم: 02). يتكون مخزنهم من 24 وحدة، وكانت 17 منها تابعة لعائلة واحدة، بينما تمتلك العائلة الثانية 5 غرف، وتتقاسم ثلاث عائلات أخرى غرفتين. كانوا يخزنون أصناف متعددة من المنتجات، منها الدهون الحيوانية والعسل، إلى جانب الغلات الزراعية والمواد الحيوانية المهمة في النظام الغذائي لسكان الأوراس مثل لحم وشحم الماعز المجفف وأدوات صناعية ومنتجات حرفية مثل الأفرشة والألبسة الخاصة بالمناسبات.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> Masqueray. E, La formation des citées chez les populations sédentaires de l'Algérie, Paris., Alger, 1879.

<sup>2</sup> Faublée-Urbain M. « Magasins collectifs de l'Oued el Abiod (Aurès) ». In : Journal de la Société des Africanistes, tome 21, fascicule 2, 1951, pp. 139-150.



- A: Logement du gardien.  
B: la tour centrale.  
C: La cour.  
D: la porte secondaire.  
E: Parie des cellules.  
F: cases reservées aux legumes.  
P: Porte principale.*

مخطط رقم: 02. مخطط أفقي لمخزن حبوب في منطقة الأوراس. (Faublée Urbain, 1951, p. 147)

تبنى هذه المخازن في مناطق منيعة وعالية ومشرفة على الأحياء السكنية، ويكون موقع بناءها مرتبط بقبر لوالي صالح أو رجل ذو منزلة شريفة من أهل المنطقة، فينسب إليه اسم سكانها. يطلق على هذا النوع من المباني "تقليعت" من العربية "القلعة". كما أطلق عليها الفرنسيون «Grenier fortifié» والذي يترجم إلى "Agadir" والذي يعني قلعة محصنة، حيث تجمع بين قلعة عسكرية وقلعة مدنية.

لا يقتصر دور هذه المخازن في منطقة الأوراس على حفظ المنتجات والممتلكات، بل كانت أيضا تحتضن نشاطات أخرى. من بينها مواعيد للنشاطات السنوية، حيث يتجمع فيها أفراد كل عائلة مساء موعد

خروجهم في نهاية فصل الربيع، لينطلق كل فرد منهم إلى عمله، منهم من يقصد المزارع في السهول وآخرون إلى المناطق الرعوية-ولا يعودون إلا في فصل الخريف بعد نهاية فصول الحصاد. كما كانت تنظم فيها زيارات للضريح وحفلات زفاف ومآتم، وكلها مصحوبة بالأضحيان وما يرافقها من طقوس.

تتمتع هذه المخازن بقيمة حضارية ورمزية اجتماعية تتمثل في طابعها المقدس، والذي يستمد قداسته من الولي الصالح الذي دفن في ضريح مجاور أو مندمج مع مبنى التخزين. ويرمز المخزن بشكله الكبير إلى مستوى معيشة راقية لأهله وقوة وحركية أعضاء هذا المجتمع، حيث يعتقد أنهم يرعاهم بركة اسم ذلك الولي. ويتم تنظيم وحراسة المخزن والنشاطات التي تجرى فيه من قبل حارس يتم اختياره من العائلات التي لا تمتلك أراضي وذلك لضمان استقراره الدائم. فهو الذي ينظم الحركة البشرية والحيوانية داخل المخازن، ويراقب حالة حفظ المبنى وإزالة الثلوج، ويعلم أهله بالقيام بأعمال الصيانة، كما يحرص على حفظ وسائل الكيل والقياس التي يستعملها السكان خلال تبادلهم السلع، وهو الذي يمنع الغش في المكايل. بالإضافة إلى ذلك يساعد السكان في الشحن والنقل داخل المبنى. وتتمثل الأنماط المعمارية للمخازن التقليدية في المطامير Silos والحفر Fosses والغرف المحكمة الإغلاق Cellules hermétiques والتي يمكن أن تكون مرتفعة عن مستوى سطح الأرض أو مدفونة تحته. يتم ملؤها وإفراغها

بالكامل دفعة واحدة، وهذا لضمان تخزين محكم وآمن<sup>1</sup>. عادة ما تخصص هذه المخازن للاحتياجات الخاصة وتكون من بين ملاحق البيوت. وكانت المطامير المبنية تحت الأرض منتشرة على نطاق واسع زمنيا وجغرافيا في منطقة البحر المتوسط وفي المناطق التي تشتهر بزراعة الحبوب. لا تشكل الرطوبة مشكلة كبيرة في هذه المناطق، وذلك لأن موسم الحصاد يكون دافئا، مما يسمح بتجفيف الحبوب بسرعة وسهولة، وبالتالي الحفاظ عليها. غالبا ما يكون القمح المخزن من أصناف القمح الصلب الذي يتميز بصلابته وقوته، مما يجعله أسهل في التخزين مقارنة بالقمح اللين<sup>2</sup>.

وتشير الأدلة الأثرية المتوفرة إلى أن وجود المطامير في منطقة البحر المتوسط يعود إلى عصور ما قبل التاريخ. وقد كانت شائعة في العصور القديمة، واستمر استخدامها دون انقطاع خلال العصور الوسطى، سواء في المناطق الإسلامية أو المسيحية. يمكن العثور عليها في صقلية، سواء في المناطق الريفية أو الحضرية<sup>3</sup>، وكذلك في جزيرة كريت وشبه الجزيرة الإيبيرية والأراضي العربية وغيرها من المناطق ذات النفوذ الإسلامي<sup>4</sup>. كما تواجدت في شمال إفريقيا منذ القدم. يسلط محمد حسين فنتر الضوء

---

<sup>1</sup> Geraci Giovanni et Marin Brigitte, Stockage et techniques de conservation des grains, Ecole française de Rome, 2016, p. 83-136.

<sup>2</sup> Ubaldo Bernardos Sans. J et Catherine Virlouvet, Art.cit, p. 65.

<sup>3</sup> Bresc. H., « Fosses à grain en Sicile (XII<sup>e</sup>-XV<sup>e</sup> siècle) », dans Gast. M, Sigaut. F (éd.), Les techniques de conservation des grains, I, p. 113-121.

<sup>4</sup> Triantafyllido-Balladie. Y., « Greniers publics et familiaux en Grèce du XIV<sup>e</sup> au XX<sup>e</sup> siècle », dans Gast. M, Sigaut. F (éd.), Les techniques de conservation des grains, I, p. 150-158.

على أنظمة الحفاظ على المواد في منطقة تونس خلال الفترة ما قبل الرومانية، مع التركيز على دور المطامير في التخزين<sup>1</sup>. وتجدر الإشارة أنه ليس من السهل دائما تحديد تاريخ هذا النوع من الهياكل على وجه التحديد، حيث ظل استمراره عبر الزمن أمرا ملحوظا. وعادة ما يتم اختيار مواقع المطامير في المناطق الجبلية، ولا يشترط نوع معين من التربة، حيث يمكن حفرها في كل من التربة الجيرية والطينية. تتكون جدران المطامير عادة من التراب أو الطوب، ويتم تغطيتها تقليديا بالقش لمنع ملامسة الحبوب للأرض أو الجدران مباشرة. من الضروري ملئ المطمور بالحبوب بشكل كامل، دون ترك أي فراغات، حتى فتحة المطمور يجب إغلاقها بإحكام. في بعض الأحيان، يتم حرق كمية صغيرة من القش في الفتحة قبل الإغلاق للتخلص من أي حشرات قد تكون موجودة. هذه الممارسة تقليدية لمكافحة الآفات والحفاظ على الحبوب المخزنة. وعند فتح المطمور، يجب تفرغته بالكامل<sup>2</sup>. وينصح دائما بتخزين الحبوب في أماكن محكمة الغلق، مما يقلل من تدهورها والخسائر عند الرغبة في الحفاظ عليها على المدى الطويل<sup>3</sup>. وقد أطلقت الجزائر برنامجا ضخما لبناء الصوامع لتخزين الحبوب كجزء من

---

<sup>1</sup> Fantar. M., « Silos et entrepôts en Afrique préromaine : des témoignages historiographiques et archéologiques », dans. Antiquités africaines, 43, 2007, p. 231-238. ; Virlovet. Catherine, « Entrepôts de stockage... », Art.cit, p. 168-169.

<sup>2</sup> Ubaldo Bernardos Sans. J et Catherine Virlovet, Art.cit. P. 65.

<sup>3</sup> Geraci Giovanni et Marin Brigitte, Art.cit, p. 83-136.

استراتيجية الأمن الغذائي<sup>1</sup>. وهذا يدل على أن هذه المنشآت لا تزال تلعب دورا مهما في تخزين الحبوب والأمن الغذائي حتى اليوم.

7 . المخازن وعلاقتها بهوية المجتمع الإفريقي: تعتبر المخازن الجماعية التقليدية في شمال إفريقيا جزءا من تراث المنطقة الغني. كانت تدار من قبل رؤساء القبائل وفق قوانين عرفية، مما جعلها رمزا للتعاون المجتمعي والأمن الغذائي. هذا النوع من المخازن يعكس أهميته في الحفاظ على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات الريفية والحضرية عبر التاريخ، حيث لعبت دورا حيويا في توفير الغذاء وتعزيز التضامن الاجتماعي، إضافة إلى ذلك أنها كانت تسهل تخزين المحاصيل وتوزيعها بشكل عادل بين أفراد المجتمع.

فرض وجود المخازن التقليدية فكرة المجتمعات القروية التي تعتمد على الملكية والتسيير المشترك لشؤون القرى. وقد شمل أيضا الاستغلال المشترك للأراضي ومنابع المياه. وتعتبر من بين الحلول المناسبة للتأقلم مع معطيات المحيط الجبلي للأوراس، حيث تتمثل التحديات في انحصار الأراضي المخصصة للزراعة على ضفاف الوديان ومنابع المياه، يتم فيها ممارسة الزراعة المعاشية للبقول والخضر الموسمية، بينما تخصص الأراضي المحيطة بالمنابع للأشجار المثمرة لكون هذه المياه مصادر دائمة، في حين تكون مجاري الوديان غير منتظمة وتجف دائما في بداية فصل الصيف. بالإضافة إلى ذلك يقوم السكان بتوسيع المساحة الزراعية عن طريق بناء مدرجات زراعية. وتبقى الأراضي المائلة والأحراش أملاك مفتوحة

---

<sup>1</sup> <https://alfadj.dz/article/soamaa-tkhzn-alhbob-fr-algzayralrhan-alastratygy>.

للرعي. يقيم سكان هذه المناطق أحياءهم السكنية على التلال القليلة الارتفاع والقريبة من أراضيهم الزراعية، ويتفادون بناء منازلهم بالقرب من مجاري الوديان أو استغلال الأراضي المخصصة الزراعة في البناء. ويتم دمج المباني المخصصة للنشاطات الفلاحية والحرفية في المنازل مباشرة، لكون أغلبية هذه الحرف ميدان مخصص حصريا للنساء. في المقابل يتكفل الرجال أساسا بالعمل الزراعي، إما في ملكيتهم الخاصة أو بالانتقال إلى السهول الكبيرة في شمال الأوراس حيث الحرث والقطف والحصاد. ثم يعودون إلى بيوتهم بشكل موسمي ومعهم احتياجاتهم الشخصية والعائلية. كما يتكفل الرجال أيضا بالعمل الجماعي في إصلاح المباني العائلية والمنشآت الجماعية، مثل منشآت المياه والطرق، بالإضافة إلى تنظيم المواسم والأعياد الاجتماعية والدينية، كما يتجمعون لإصلاح وتهيئة المخازن لكي يتم الادخار فيها للموسم المقبل. وبالإضافة إلى هذا العامل، يتميز مناخ شمال إفريقيا بفترات جفاف شديدة، تتأثر بها المناطق الجبلية بشكل خاص مثل منطقة الأوراس. هذا الوضع يؤدي إلى ظهور حركة السرقة والصراعات القبلية حول الماء والمراعي. وقد كان تاريخ الأوراس حافل بهذه الأحداث منذ فجر التاريخ، حيث كان الجفاف دائما مصدرا للتوتر والصراع في المنطقة. وبالعودة إلى الحديث عن المخازن في الفترة الرومانية، نجد أنها لا تختلف جوهريا في دورها ورمزيتها عن المخازن التقليدية، رغم وجود بعض المميزات الخاصة لكل منهما. ومثالا على ذلك مخازن جميلة، فهو منشأة مرتبطة بجميع سكان المدينة كمصدر أساسي للمواد الضرورية، حيث كان يشرف على تنظيمها عمال وحراس مسؤولون عن حركة دخول وخروج السلع والعربات والأفراد، ومراقبة البضائع

المنقولة<sup>1</sup>. كما كانت المخازن والمواد المخزنة تتطلب مراقبة وصيانة دورية، تتضمن تفريغ وتنظيف المخازن بانتظام بعد كل عملية إخراج للموارد المخزنة وقبل تخزين المحاصيل الجديدة. في كثير من الحالات كانت تبنى أحواض مائية في ساحة المخازن، أو قد يستعاض عنها بئر. في مخازن جميلة يوجد حوض ماء على جانب الشارع مقابل للباب الجانبي للمخازن، نعتقد أنه مسخر للعامة، لسقي الهائم، وكذا الاستعانة به في عمليات التنظيف وإطفاء الحرائق في حالات الطوارئ.

وقد كانت نخبة من المعماريين المحترفين تشرف على تحقيق شروط البناء المتين، حيث يتقنون طرق تطبيق تقنيات متقدمة تتناسب مع الاحتياجات المتغيرة، مما يعزز قدرة هذه المنشآت على الحفاظ على جودة المواد المخزنة وضمان سلامتها<sup>2</sup>. ومن الناحية الرمزية، فهي تعكس اهتمام روما الكبير بأمن الغذاء، حيث كانت تعتبر أن أصل كل الاضطرابات والتمرد والجرائم وانعدام الأمن في المدن أو خارجها مرتبط بشكل أساسي بأزمات الغذاء. كانوا يدركون أن قوة دولتهم تكمن وتعتمد على مدى قدرتهم على تأمين الغذاء لسكانها. لذا انتهجوا سياسة "الخبز والعصي أو الخمر والألعاب لتحقيق الاستقرار الاجتماعي<sup>3</sup>. ومع ذلك، واجهت روما صعوبات متزايدة في تأمين الغذاء في فترة الإمبراطورية الرومانية السفلى، حيث بدأت

---

<sup>1</sup> Potter David Stone, Mattingly. D. J, Life, Death, and Entertainment in the Roman Empire, University of Michigan Press, 1999, p. 180.

<sup>2</sup> Hamrouni. M-R, Art-cit, p. 226.

<sup>3</sup> Juvinal, Satires, X, (trad.) Louis-Vincent Raoul. Wouters, Raspoet et cie, 1842, p. 241-273. <https://books.openedition.org/pum/8949>.



هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف في التصدع منذ القرن الرابع. وكان حكام المقاطعات يواجهون اضطرابات شعبية متكررة بسبب عدم مقدرتهم على توفير الإمدادات الغذائية الكافية للمدن التي يحكمونها.<sup>1</sup>

تعتبر أهمية تنظيم ونقل الحبوب من السهول الإفريقية إلى المدن، ومن ثم إلى موانئ السواحل مصدر قلق دائم للمسؤولين الإداريين. كانت تكاليف النقل مرتفعة، خاصة عمليات النقل البري المقدرة بضعف التكاليف المقدرة للنقل البحري. ونظرا لصعوبة ظروف النقل، شجعت السلطة على استغلال المناطق الأقرب إلى الساحل بالقرب من مراكز الموانئ.<sup>2</sup> واستجابة لصعوبات النقل الداخلي، لجأت السلطة الرومانية إلى إقامة شبكة هرمية من المخازن في نوميديا.<sup>3</sup> كان بناء هذه المخازن ضروريا لضمان تدفق الحبوب بكفاءة، مما يعكس التنظيم المعماري والاقتصادي الذي ساهم في تعزيز التجارة والنقل في المنطقة. وبفضل هذه الشبكة من المخازن أصبحت إفريقيا واحدة من أولى المناطق المصدرة في البحر المتوسط بين القرنين الأول والثالث لمجموعة متنوعة من المنتجات وفي مقدمتها مادة القمح، يليها زيت الزيتون والنبيد والأسماك المملحة. ساهمت هذه الأنشطة في استقرار الإمدادات المحلية والخارجية.<sup>4</sup> كانت نوميديا منذ فترة الممالك

---

<sup>1</sup> Hélène Ménéard, « l'insécurité de La Rome impériale : entre réalité et imaginaire », éd, Société Française d'histoire urbaine, 2000, p.61

<sup>2</sup> Carre. M-Br, Art.cit, p. 24-25.

<sup>3</sup> Carre Marie-Brigitte, Art.cit, p. 25.

<sup>4</sup> Bonifay. M., Art.cit, p. 113-128. ; De Romanis. F., 2003, Per una storia del tributo granario africano all'annona della Roma imperiale, dans N. Marin et C.

المحلية إلى فترة الإمبراطورية الرومانية واحدة من أكبر الأقاليم إنتاجا وتوريدا للقمح في الحوض الغربي للمتوسط. كانت منطقة شمال إفريقيا تمتلك هياكل للمخازن في المدن ومناطق الإنتاج ومحطات النقل وأخرى في الموانئ، وكانت تشكل شبكة تستخدم لجمع وتخزين المواد الضريبية الموجهة إلى روما بالمقام الأول.<sup>1</sup>

### الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة، تبين أن نظام التخزين كان مرتبط بسكان شمال إفريقيا منذ فجر التاريخ، حيث تنتشر المخازن في مختلف المناطق، فهناك القلاع في الأوراس والأغاديير في المغرب والمطامير في الأطلس التلي. وترمز هذه المخازن إلى الابتكار المعماري للقدماء، حيث استخدموا تقنيات متقدمة للحفاظ على المواد وضمان سلامتها، مما ساهم في تعزيز الاقتصاد والتجارة في تلك الفترة، وكانت هذه المخازن من بين الحلول الملائمة للتأقلم مع خصائص المناخ والمحيط الجبلي لشمال إفريقيا.

إن وصول الرومان إلى منطقة الشمال الإفريقي لم يجلب معه فكرة جديدة بل تبنوا فكرة المخازن في تطوير سياستهم الغذائية، من خلال بناء شبكة من المخازن عبر مختلف مناطق الانتاج والاستهلاك. صاحب هذا

---

Virlouvet dir, Nourrir les cités de Méditerranée, Antiquités-Temps modernes, Paris, p. 691-738.

<sup>1</sup> De Romanis. F, « Per una storia del... » Art.cit, p. 691-738.

التطور إنشاء وتطوير شبكة طرق برية قابلة للاستغلال خلال أغلبية فترات العام. وكانت المراسيم القانونية تعبر عن حرص الإمبراطورية الرومانية على تأمين المخازن وحماية الموارد الغذائية، وهو بدوره يعكس أهمية الأمن الغذائي في ذلك الوقت. وتعكس عمارة المخازن الفهم العميق للبيئة المحلية والاحتياجات الاقتصادية، مما يجعلها نموذجا مثاليا للتكيف المعماري في سياق منطقة شمال إفريقيا. ولم يتخلى العالم في تطوره إلى اليوم عن فكرة إنشاء هياكل التخزين وهذا لكون دورها الأساسي في التخزين والتوزيع مرتبط بأمن ومصير الأمم كما هو الحال في فترات التاريخ القديم.

## المراجع البيبلوغرافية:

### 1-المصادر:

- Code Théodosien. XV. 1, 38.
- Digeste, I, XV, 3, 1, XLVII, 2.
- Digeste, CJ, 4, 65,1(Mosaicarum et Romanarum Legum Callato, 10, 9,1) ; 4, 65,4.
- Juvinal, Satires X, Traduction par Louis-Vincent Raoul. Wouters, Raspoet et cie, 1842 (p. 241-273). <https://books.openedition.org/pum/8949>.
- Pline le Jeune, Epist. VIII. 18.

### 2-الكتب:

- Claude Otto. *Horreum Miscellanea Etymologica*, Bulletin de l'Association Guillaume Budé, tome 1, 2017.
- Potter David Stone, Mattingly. D. J, *Life, Death, and Entertainment in the Roman Empire*, University of Michigan Press, 1999.
- Gros. P., *L'architecture romaine, du début du III<sup>e</sup> siècle av. J.-C à la fin du Haut-Empire. 1 Les monuments publics*, éd. Picard, Coll. Les manuels d'art et d'archéologie antique, Paris, 1996.
- E. Masqueray, *La formation des citées chez les populations sédentaires de l'Algérie*, Paris., Alger, 1879. doi : <https://doi.org/10.3406/jafr.1951.1833>  
[https://www.persee.fr/doc/jafr\\_0037-9166\\_1951\\_num\\_21\\_2\\_1833](https://www.persee.fr/doc/jafr_0037-9166_1951_num_21_2_1833).
- Luraschi. A, *I depositi di cereali: parassiti e trattamenti di disinfestazione*, Milan, 1937.
- E. Masqueray, *La formation des citées chez les populations sédentaires de l'Algérie*, Paris., Alger, 1879.
- Lawrence Richardson, *A New Topographical Dictionary of Ancient Rome*, JHU Press, 1992.
- Smith. William, *A Dictionary of Greek and Roman Antiquities*, John Marray, London, 1875, p. 618.

- Tran, Nicolas, Les Membres Des Associations Romaines : Le rang social des collegiati en Italie et en Gaule, sous le Haut-Empire, coll. de L'Ecole Française de Rome, 367, Rome, 2006, 577p.
- Marin. B et Virlouvet. C, Entrepôts et trafics annonaires en Méditerranée. Antiquité-Temps modernes, Coll. E.F.R., 522, Rome, 2016.
- Picard. G-Ch., La Carthage de Saint Augustin, éd. Fayard, Coll. Résurrection du passé, Paris, 1965.
- Wilfried Nippel, Public Order in Ancient Rome, Cambridge, 1995.

### 3-المقالات:

- Allais. Y, « Les greniers publics de Djemila », Revue Africaine, 74, 1933.
- José Ubaldo Bernardos Sans et Catherine Virlouvet, « Formes et fonctions : essai de Typologie » In. Entrepôts et trafics annonaires en Méditerranée. Antiquité-Temps modernes, Coll. E.F.R., 522, Rome, 2016, p. 59-82.<https://books.openedition.org/efr/32780>.
- Bonifay. M., « La céramique africaine, un indice du développement économique », Revue Antiquité Tardive, vol. 11, 2003.
- Bresc. H., Fosses à grain en Sicile (XII<sup>e</sup>-XV<sup>e</sup> siècle), Gast. M, Sigaut. F (éd.), In. Les techniques de conservation des grains, vol. I.
- Carre Marie-Brigitte, Les réseaux d'entrepôts dans monde romain. Javier Arce et Bertrand Goffaux. Horrea d'Hispanie et de la Méditerranée romaine, Casa de Velazquez, pp. 23-39, 2011, Collection de la casa de Velazquez ; 125. Hal Id : halshs-00710806.
- De Romanis. F., Per una storia del tributo granario africano all'annona della Roma imperiale, dans N. Marin et C. Virlouvet dir, Nourrir les cités de Méditerranée, Antiquités-Temps modernes, Paris, 2003, p. 691-738.
- De Romanis. F, « In tempi di guerra e di peste. Horrea e mobilita del grano pubblico tragli Antonini e i Severi », dans AA, 43, Journée d'étude, Aix-en-Provence, Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme, Entrepôts de

stockage, entrepôts et marchés. Pour une typologie des Horrea dans l'Afrique du Nord antique, 13 octobre 2006, 2007.

-Djidi Houcine, l'Afrique et le blé de Rome aux IV<sup>e</sup> et V<sup>e</sup> siècles, Facultés des sciences humaines et sociales de Tunis, vol. 34, histoire, 1990.

-Faublée-Urbain M. « Magasins collectifs de l'Oued el Abiod (Aurès) ». Dans : Journal de la Société des Africanistes, tome 21, fascicule 2, 1951, pp. 139-150 ;  
<https://doi.org/10.3406/jafr.1951.1833>

[https://www.persee.fr/doc/jafr\\_0037-9166\\_1951\\_num\\_21\\_2\\_1833](https://www.persee.fr/doc/jafr_0037-9166_1951_num_21_2_1833)

- Fantar. M., Silos et entrepôts en Afrique préromaine : des témoignages historiographiques et archéologiques, dans Antiquités africaines, 43, 2007, p. 231-238.

-Isaac Moreno Gallo, LIBRATIO AQUURUM. L'art romain de distribuer l'eau, (trad.) Raymond Boutier et Jean-Claude Litaudon, pub. Catalogue de l'exposition AQUARIA, Zaragona, 2007, pp. 1-29.  
[https://www.traianvs.net/pdfs/2007\\_acueductos\\_libratio\\_aquarum\\_fr.pdf](https://www.traianvs.net/pdfs/2007_acueductos_libratio_aquarum_fr.pdf).

-Geraci Giovanni et Marin Brigitte, Stockage et techniques de conservation des grains. In. Entrepôts et trafics annonaires en Méditerranée. Antiquité-Temps modernes, Coll. E.F.R., 522, Rome, 2016, p. 83-136.

-Mohammed Riadh Hamrouni, servitudes et préoccupations de construction des horrea publica en Afrique : Apport des sources juridiques et de l'archéologie, actes du septième colloque international ; Villes et archéologie urbaine au Maghreb et en méditerranée, Monastir 10- 12 Avril, 2018, pp. 217- 252. P. 218.

-David Mattingly, nouveaux aperçus sur les Garamantes, un état saharien, Antiquités Africaines n° 37, 2001, pp. 45-61.

-Hélène Ménard, l'insécurité de La Rome impériale : entre réalité et imaginaire. Ed, Société Française d'histoire urbaine. N° 2, 2000, pp. 59-71.  
<http://www.cairn.info/revue-histoire-urbaine-2000>.

- Papi. E et Martorella. F, 2007b, « I grani delle Numidia », dans AA, 43, Journée d'étude, Aix-en-Provence, Maison Méditerranéenne des Sciences de l'Homme, Entrepôts de stockage, entrepôts et marchés. Pour une typologie des Horrea dans l'Afrique du Nord antique, 13 octobre 2006, pp. 180-182.
- Patrich. Joseph, « Warehouses and Granaries in Caesarea Maritima ». In. Caesarea Maritima : A Retrospective After Two Millenia, editeur. A. Raban & K. G. Holum, Edition, Leiden Brill, 1996, pp. 146-176.
- Triantafyllido-Balladie. Y., Greniers publics et familiaux en Grèce du XIV<sup>e</sup> au XX<sup>e</sup> siècle, (éd.), Gast. M, Sigaut. F, In. Les techniques de conservation des grains, vol. I, p. 150-158.
- Virlovet. Catherine, « Entrepôts de stockage, entrepôts et marchés dans l'Afrique du Nord antique », Antiquités africaines, vol. 43, 2007, pp. 165-170.
- Virlovet. Catherine, Bâtiments de stockage et circuits économiques du monde romain, édité. Véronique Chankowski et Xavier Lafon. Dans. « Stockage et distribution : un enjeu dans les circuits économiques du monde grec et romain », Ecole Française d'Athènes, 2018, p. 43-60.

#### 4-المواقع الإلكترونية:

- <https://alfadj.dz/article/soamaa-tkhzn-alhbob-fr-algzayralrhan-alastratygy>.

# تاريخ العمارة الدينية خلال الفترة المسيحية القديمة بالجزائر (مدينة جميلة الاثرية كنموذج)

ط د/ بن عفري عائشة

معهد الآثار، جامعة الجزائر 2

## مقدمة:

تعد سنة 180م بداية التحول الرسمي في التاريخ المسيحي للمغرب القديم، فقد ارتبط هذا التاريخ بالاضطهادات التي مورست ضد المسيحيين في مدينة "سكيلي" (Scilli) حيث أعدم 12 شهيدا بعد محاكمتهم بقرطاجة، ليكونوا عبرة لكل من يفكر في اعتناق الديانة المسيحية<sup>1</sup>، وبعدها صار المسيحيون يتعرضون لكل أنواع الاضطهادات وكانت فترة حكم الامبراطور ديوكلسيانوس اشد قسوة، فاضطرت الجماعات المسيحية لممارسة الطقوس الدينية سرا، خوفا من بطش السلطة الوثنية. وبعد اعلان المسيحية كدين رسمي للإمبراطورية الرومانية، اهتم المهندسون والمعماريون بإنشاء مكان خاص يلائم متطلبات الدين الجديد، يلتقي فيه المسيحيون للتعبد ومناقشة الأمور الدينية والدينية، فنتج مخطط البزيلكا المسيحية الذي يعتبر مزيج بين مخطط البزيلكا المدنية ومخطط المنزل الروماني. وللتعرف على البزيلكا المسيحية

---

<sup>1</sup> - عمران عبد الحميد، (2011)، الديانة المسيحية في المغرب القديم -النشأة والتطور-(180-430 م)، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري- قسنطينة، ص. 74-73.



وعناصرها المعمارية، اخترنا مدينة كويكول نظرا لمكانتها التاريخية والاثرية، كما انها تعتبر نموذجا مثاليا عن المدينة الرومانية فهي تحتوي على المباني الضرورية كالفرور والمعبود والمسرح والمنازل والبازيليكات المسيحية...الخ، وقد تميزت بقيمتها الاثرية، ومازالت الى يومنا هذا اثارها قائمة تشهد على الحضارات التي مرت بها. وقد حظيت فيما مضى باهتمام المستكشفين الفرنسيين من بينهم الباحث "Ravoisie" والباحثة "Allai" والباحث "Christern" والمهندس "Ballu" والباحث "Fevrie"، الذين تركوا لنا تقارير الحفريات ومخططات المباني والمنشآت. بالإضافة للأطروحات التي تطرقت لمدينة كويكول ومن أبرزها: أطروحة الباحث "زيدان ميلود" وأطروحة الأستاذ "حاجي ياسين رابح". ومن هنا أردنا الإجابة عن التساؤلات التالية: ما هي مميزات البزيليك المسيحية بمدينة كويكول؟ وما هي عناصرها المعمارية؟ وللإجابة اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، بداية سنعرف مدينة كويكول ثم نعرف البزيليك المسيحية وبعدها نعرض بازليكات مدينة كويكول واحدة تلو الأخرى وفي الأخير نستخلص اهم خصائص البازيليك المسيحية.

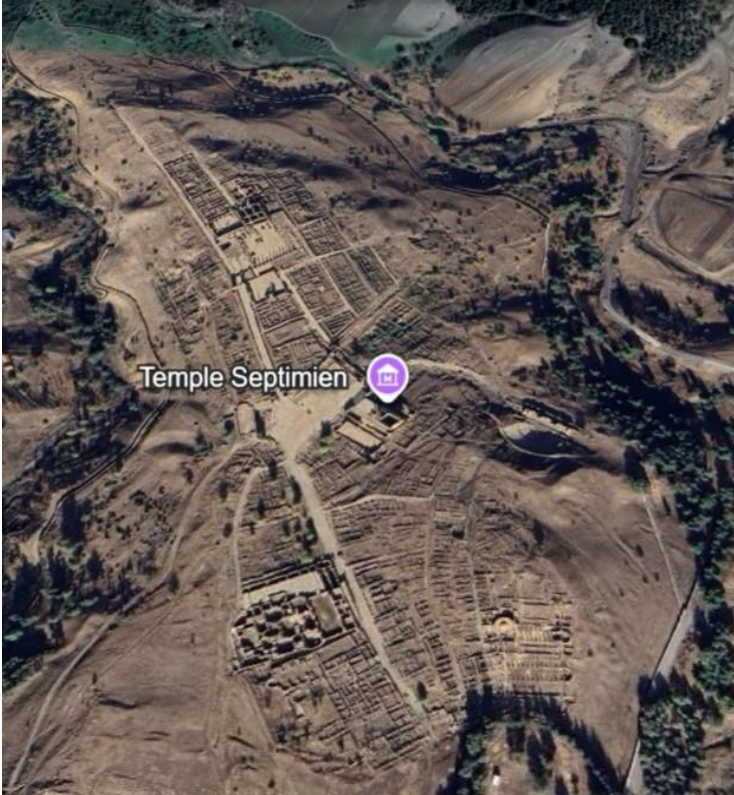
#### ا. لمحة تاريخية عن مدينة كويكول:

تتفق المراجع على ان اسم "كويكول" تسمية محلية<sup>1</sup>، حيث تقع المدينة الاثرية على ارتفاع 900م من سطح البحر، وتبعد حوالي 43 كم عن مدينة

---

<sup>1</sup> - ايخريان محند اكلي، (2008)، جرد التحف الاثرية المعروضة بمتحف جميلة (كويكول القديمة)، مذكرة ماجستير في الاثار القديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، ص. 8.

سطيف. وقد بنيت على هضبة صخرية في شكل منحدر مثلث، قاعدته في الجنوب وهو موجه للشمال، يحده من الشرق واد بيطام ومن الغرب واد قرقور<sup>1</sup> (صورة 1).



صورة 1: مخطط مدينة كويكول الاثرية، عن: موقع Google Earth يوم 2025/02/10

وقد أنشئت المدينة في عهد الامبراطور نيرفا (96-98م) تحت حماية الاله مارس، خصيصا لقدماء الجيش. وحسب المراجع فان مدينة كويكول كانت تنتهي للكنفدرالية الكيرتية قبل ان تصبح مستعمرة تنتهي لمقاطعة نوميديا

---

<sup>1</sup> - Ballu, A. (1921), Ruines de DJEMILA (Antique Cuicul), Alger, p.5.

في عهد الامبراطور تريانوس<sup>1</sup>، وقد عرفت المدينة تطورا معماريا وفنيا كبيرا خاصة في فترة حكم العائلة السيفرية (192-231)، حيث شيدت المعابد والساحات العمومية والنافورات والاقواس والمنازل الفخمة المزينة بالفسيفساء والمنحوتات المتنوعة<sup>2</sup>. أما في الفترة المسيحية فقد كان لمدينة كويكول مكانة مميزة ودور مهم في رسم التاريخ المسيحي لمقاطعة نوميديا، ونرى ذلك من خلال عدد الأساقفة التي وردت أسماؤهم في الاجتماعات الكنسية وهم كالتالي:<sup>3</sup>

- بيدونتيانوس "Pudentianus" حضر الاجتماع الكنسي الثالث الذي أقيم بقرطاجة سنة 255م.
- ألبيديفوريوس "Elpidiphorus" شارك في الاجتماع الكنسي الذي أقيم بقرطاجة سنة 349م.
- كريسكونيوس "Cresconius" حضر الاجتماع الكنسي بقرطاجة سنة 411م.
- فيكتوروريوس "Victorus" كان من بين أساقفة نوميديا العشرة الذين حضروا الاجتماع الكنسي الذي أقيم سنة 484م بقرطاجة، والذين نفاهم الملك الوندالي "هونريك" مع بقية أساقفة المقاطعات الافريقية.

---

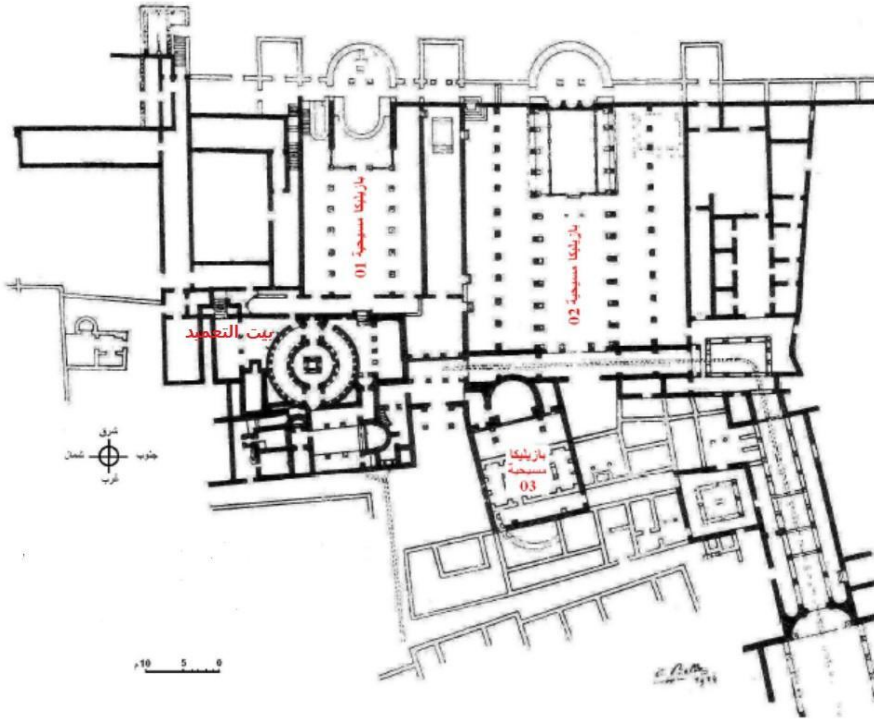
<sup>1</sup> - حاجي ياسين رايح، (2009)، البازيليكاات المسيحية في مقاطعة نوميديا دراسة اثرية تنميطية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، ص. 64.

<sup>2</sup> - ايخربان محند اكلي، (2008)، ص. 8.

<sup>3</sup> -Toulotte, M. (1894), Géographie de l'Afrique chrétienne, V. 1, Paris, p. 118.

▪ كريست "Crescent" حضر المجمع المسكوني الخامس الذي اقيم بالقسطنطينية سنة 553م.

اما بخصوص العمارة فقد تميزت هذه الفترة في مدينة كويكول ببناء المجمع الكنسي المعروف بالحي المسيحي (صورة 2)، وهو يحتوي على ثلاث بزيليكات وبيت التعميد والإضافة لمنازل الأساقفة ورجال الدين.<sup>1</sup>



صورة 2: مخطط المجمع الكنسي، عن: حاجي ياسين رايح، 2009: 438  
(بتصرف الطالبة)

<sup>1</sup> - Zidane, M. (1998), Djémila et Sétif : l'urbanisme comparé de deux villes romaines d'Afrique du Nord, Thèse de Doctorat, université de Sorbonne, France, p. 247.

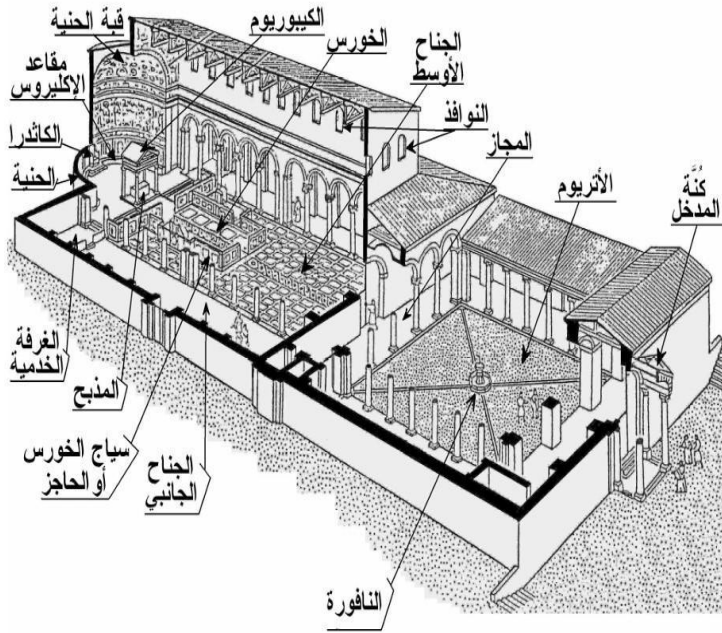
## II. تعريف البزيليك المسيحية:

يعود أصل كلمة بازيليكا للغة الاغريقية، حيث تعني الرواق الملكي، اما في مدينة أثينا فكان يقصد بها مبنى المحكمة، لكن المخطط المعماري للبزيليك المسيحية يشبه لحد كبير مخطط المنزل الروماني النموذجي<sup>1</sup>، لأنه مع بداية انتشار المسيحية كانت تقام اجتماعات سرية في المنازل لدراسة العقيدة وحل المشاكل، فقد أصبحت هذه المنازل مهيأة للوظيفة الدينية. ومع بداية القرن الرابع وبعد الاعتراف بالمسيحية قام المسيحيون باستغلال البزيليك المدنية وتعديلها بما يتماشى مع متطلباتهم واستعمالها لإقامة طقوسهم الدينية، وكذلك قاموا ببناء بزيليكات مسيحية جديدة معاصرة لهذه الفترة، بمخططها الخاص (صورة 3) الذي يرى جل الباحثين انه نتج من تزاوج مخطط المنزل الروماني النموذجي مع مخطط البزيليك المدنية.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> - موكاح فازية، (2012)، العمارة الدينية المسيحية في مدينة تيمقاد الاثرية (المجمع المسيحي المسمى الكاثوليكي، والمجمع المسيحي المسمى الدوناتى)-دراسة أثرية-، مذكرة ماجستير، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، ص. 2.

<sup>2</sup> - حاجي ياسين رابع، (2009)، ص. 4-5.



صورة 3: المخطط النموذجي للبيزليكا المسيحية، عن: حاجي ياسين رابح،

2009: 513

يبدأ المخطط النموذجي للبيزليكا المسيحية من المدخل الرئيسي الذي يكون مفتوح على الطريق ثم يتم الولوج الى داخل المبنى عبر الأتريوم (Atrium) وهو عبارة عن ساحة مفتوحة يحيط بها رواق مقبب يسمى المجاز أو النارتكس (Narthex) به مدخل لحيز العبادة وهو عبارة عن مخطط استطالي ينقسم لثلاثة اجنحة او أكثر تكون هذه الأخيرة مفصولة فيما بينها بصف من الاعمدة، حيث يكون الجناح الأوسط اعلى من الاجنحة الجانبية وينتهي بحنية نصف دائرية يتوسطها الكائندرا (كرسي الاسقف) الذي تحيط به المقاعد المخصصة للرهبان. اما المذبح الذي عادة يغطى بالكيوريوسوم (Ciborium)، فهو يتقدم الحنية، التي غالبا يوجد على

جانبيها الغرف الخدمية الخاصة برجال الدين، حيث يتقدم هذا كله الخورس (Chorus). اما بالنسبة لحوض التعميد فيمكن ان يكون في وسط الأتريوم او على يسار الحنية في الغرفة الخدمية او ملحق منفصل عن البزيلিকা كما هو الحال في المجمع الكنسي بمدينة كويكول<sup>1</sup>. ويجدر الإشارة الى ان البزيلিকা المسيحية لم تستعمل لأغراض دينية فقط، بل لعبت دورا اجتماعيا واقتصاديا هاما، حيث يقول ترتليانوس<sup>2</sup>: "لقد كان كل واحد منا يتبرع تبرعا صغيرا في اليوم المحدد من الشهر، وفي يوم يختاره من نفسه، ويتم هذا التبرع حسب امكانيته المالية، ويكون ذلك اختياريا" فكان المسيحيون متساويون روحيا لا فرق بين العبد والسيد ومتضامنين مع بعضهم البعض، يتصدقون بأموالهم ليستفيد الجميع، فنتج عن هذا عدالة اجتماعية سرعت من انتشار المسيحية التي كانت تنص على مبادئ العدل والتسامح والتآزر الاجتماعي. ومع مرور الزمن ونمو وتزايد المجتمعات المسيحية أصبح للبزيلিকা المسيحية سلطة موازية للسلطة المدنية، حينها قررت السلطة الحاكمة الاستعانة بها لتحقيق السلم والوئام الاجتماعي<sup>3</sup>.

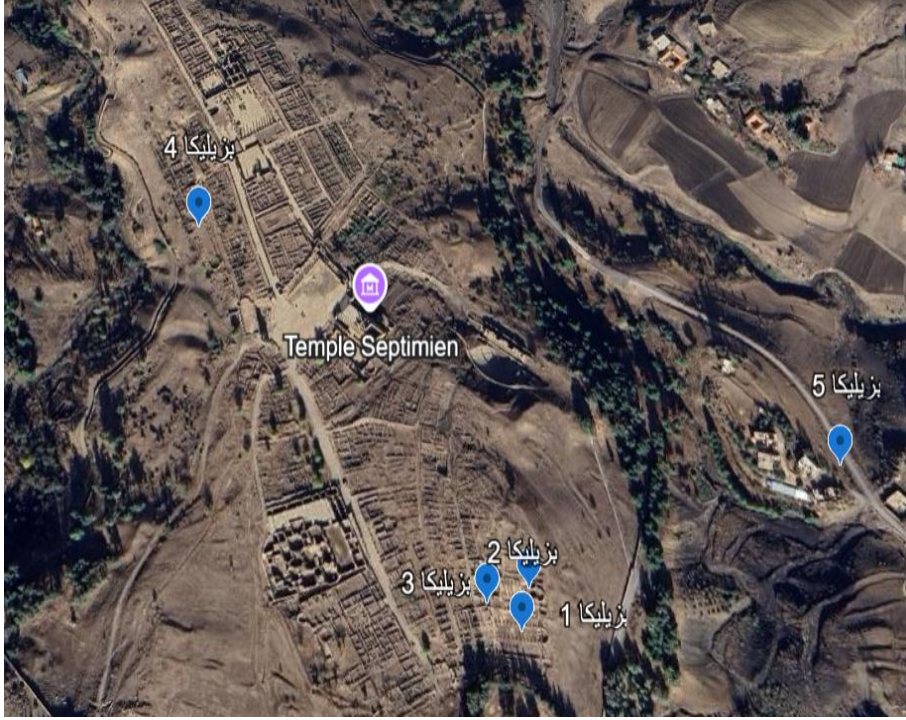
---

<sup>1</sup> - حاجي ياسين رابح، (2009)، ص. 6-7.

<sup>2</sup> - Tertullianus, (1822), XXXIX p. 166.

<sup>3</sup> - حارش محمد الهادي، (1992)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، الجزائر، ص. 224-225.

III. البازيليكات المسيحية في مدينة كويكول: تضم مدينة كويكول خمس بازيليكات (صورة 4)، ثلاثة منها تقع بالمجمع الكنسي جنوب المدينة والرابعة توجد بالجهة الغربية بجوار السور التحصيني اما الخامسة فهي تقع خارج المدينة على بعد حوالي 300م شرق المجمع الكنسي.<sup>1</sup>



صورة 4: موقع البازيليكات المسيحية بالنسبة لمدينة كويكول، عن: موقع  
Google Earth يوم 2025/02/10

<sup>1</sup> - حاجي ياسين رايح، (2009)، ص. 321.



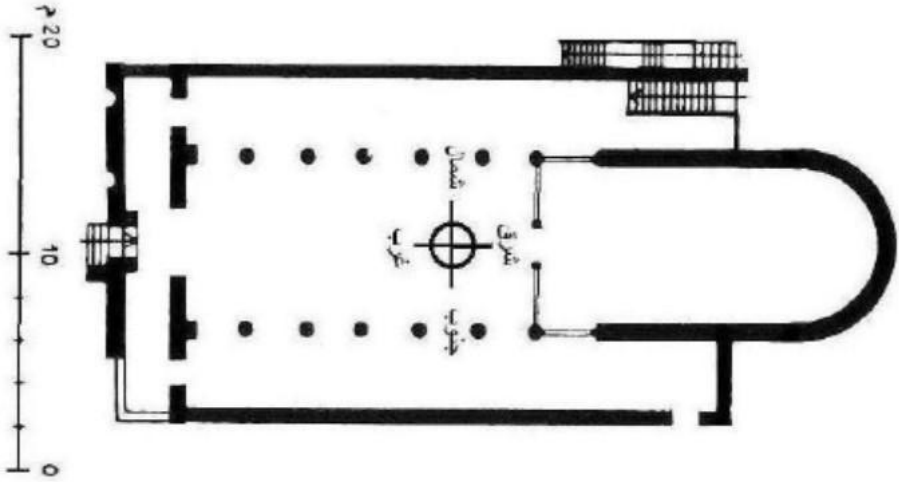
1. بازيليكا رقم 1: تدعى البزيليكا الشمالية لأنها تقع شمال المجمع الكنسي<sup>1</sup>، يبلغ عرضها 15م وطولها حوالي 35م، لها ثلاثة مداخل رئيسية في واجهتها الغربية وكل مدخل يفتح على جناح من اجنحتها الثلاثة، بالإضافة لمدخل ثانوي في الزاوية الجنوبية الشرقية (صورة 5). اجنحتها مفصولة بأعمدة ذات تيجان كورنثية<sup>2</sup> (صورة 6). في الجناح الأوسط يوجد الخورس الذي كان محاطا بدرازين وله مدخل محوري تتقدمه ثلاث درجات يفترض ان المذبح كان في هذا المكان، بعده كانت توجد حنية نصف دائرية موجهة للشرق لكنها اندثرت، على يسارها في نهاية الجناح الجانبي يوجد سلم (صورة 7) يتكون من 18 درجة يؤدي للسرداب وهو منخفض على مستوى أرضية البزيليكا بـ 3,50 م. يتكون السرداب من حنيتين واحدة تتجه نحو الشرق حيث تقع تحت حنية البزيليكا والثانية تتجه للغرب وهي تقع تحت الخورس، داخل السرداب توجد كتلة بنائية يفترض "كريستن" انها كانت تحتوي على صندوق رفات الاسقف كريسكونيوس "Cresconius" وخلفائه، بالإضافة الى وجود ممر عرضه 2,60م يربط هذا السرداب بسرداب البزيليكا الجنوبية<sup>3</sup> (صورة 8). بنيت جدران البزيليكا بالتقنية الافريقية Opus africanum (صورة 9)، حيث يستعمل فيها الحجارة الكبيرة التي يتخللها افقيا حشو من حجارة الدبش وتكون هذه الأخيرة ذات

<sup>1</sup> - عيد عبد الحق، (2023)، المجمع المعماري المسيحي بكويكول بين القراءة الاثرية والتصميم الهندسي، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 7، العدد 2، ص. 130.

<sup>2</sup> - عيد عبد الحق، (2015)، ص. 25.

<sup>3</sup> - حاجي ياسين رايح، (2009)، ص. 65.

ابعاد صغيرة واشكال غير منتظمة<sup>1</sup>. اما أرضية البزيليك كانت مبلطة بفسيفساء ذات اشكال هندسية وحيوانية بالإضافة لنقيشة لاتينية تحمل أسماء الأشخاص الذين ساهموا في بنائها<sup>2</sup> (صورة 9-10-11). وحسب مونسو وكريسترن تؤرخ هذه البزيليك بنهاية القرن الرابع ميلادي، نسبة لأسلوب بناء وزخرفة الفسيفساء<sup>3</sup>، ومنه نجد بعض المراجع تسميها ببزيليك القرن الرابع.



صورة 5: مخطط البازيليك الشمالية. عن: حاجي ياسين رايح، 2009: 439.

<sup>1</sup> - عيد عبد الحق، (2015)، ص. 23.

<sup>2</sup> - Ravoisié, A., 1846 :PL 52.

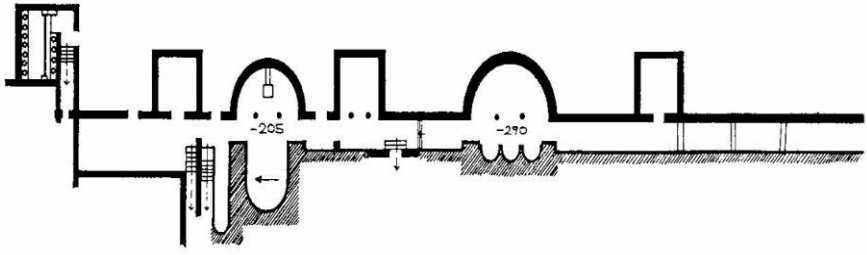
<sup>3</sup> - حاجي ياسين رايح، (2009)، ص. 66.



صورة 6: اجنحة البزيليك الشمالية والاعمدة الفاصلة بينها، عن: خاشية السعيد، 2016: 714



صورة 7: السلم المؤدي للسرداب. عن: عيد عبد الحق، 2015: 167.



صورة 8: مخطط سردابي البازيليكا الأولى والبازيليكا الثانية، عن: Michel, 2005 : 77.



صورة 9: جزء 1 من فسيفساء أرضية البازيليكا الشمالية، معروضة بمتحف جميلة عن: الطالبة 2024





صورة 10: جزء 2 من فسيفساء أرضية البزيليكا الشمالية، معروضة

بمتحف جميلة عن: الطالبة 2024



صورة 11: جزء آخر فسيفساء أرضية البزيليكَا الشمالية، معروضة  
بمتحف جميلة، عن: الطالبة 2021

2. بازيليكا رقم 2: تدعى البازيليكا الجنوبية نسبة لموقعها جنوب المجمع الكنسي وكذلك تعرف باسم بزيليكَا كريكونيوس<sup>1</sup>، يبلغ طولها حوالي 44م وعرضها 29م، ويبدو انه يتقدمها مجاز مقبى (النارثكس) لوجود دعائم متناظرة على طول الجدران. لها ثلاثة مداخل رئيسية تفتح على الجناح الأوسط بالإضافة لثلاثة مداخل ثانوية تقع بالجدار الشمالي للبزيليكَا (صورة 12). تتكون البزيليكَا الجنوبية من خمسة اجنحة مفصولة عن بعضها بأربعة صفوف، وتتكون هذه الأخيرة من عشر دعائم ملاصقة للأعمدة (صورة 13). نجد اثار المذبح مازالت قائمة، اما بالنسبة للخورس فهو مرتفع عن الأرضية بـ 0,40 م ومحدد من كل الجهات بواسطة حاجز، وهو يعتبر بناء متأخر عن فترة بناء البازيليكا لأنه عثر تحته على الفسيفساء

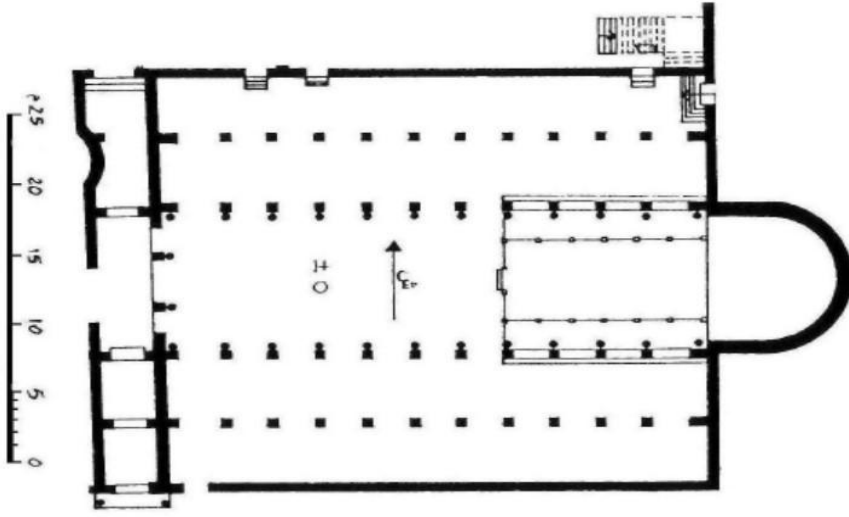
<sup>1</sup> - حاجي ياسين رايح، (2009)، ص. 67.

التي تحمل شعر يمدح الاسقف كريسكونيوس (صورة 14)، والتي كانت تشغل كل مساحة الخورس البدائي الذي كان مبني على نفس مستوى أرضية البزيليك. اما بالنسبة للحنية فهي موجهة للشرق وقد اندثرت حيث كانت مرتفعة بحوالي 1م، ويمكننا تصورها من خلال ارتفاع الاعمدة الموجودة في السرداب والتي كانت تحمل ارضيتها، اما السرداب نصل اليه من خلال سلم يتكون من تسعة درجات وهو موجود في الزاوية الشمالية الشرقية للبزيليك، يأخذ السرداب نفس مخطط حنية البزيليك من الجهة الشرقية وفي الجهة المقابلة يتكون من ثلاث حنيات صغيرة مجاورة لبعضها البعض، وكما سبق الذكر يرتبط هذا السرداب مع سرداب البازيليكا الشمالية عبر ممر (صورة 8). وقد بنيت جدران البازيليكا بالتقنية الافريقية (صورة 13)، اما بالنسبة للأرضية فقد كانت مبلطة بالفسيساء (صورة 14-15)، كما ان كريسترن اقترض وجود طابق علوي للبزيليك نظرا لوجود نوافذ مخرمة (صورة 16)، يتم الوصول اليه عن طريق سلم موجود في الممر الموجود بين البازيليكا الشمالية والبازيليكا الجنوبية (صورة 17)<sup>1</sup>، وفيما يخص التأريخ فهي ترجع للقرن الخامس<sup>2</sup>، لذا نجد بعض المراجع تسميها ببزيليك القرن الخامس.

---

<sup>1</sup> - حاجي ياسين رايح، (2009)، ص. 68.

<sup>2</sup> - خاشية السعيد، (2016)، ص. 417.



صورة 12: مخطط البازيليكا الجنوبية. عن: حاجي ياسين رابع، 2009: 439



صورة 13: بقايا البازيليكا الجنوبية. عن: عيد عبد الحق، 2015: 171





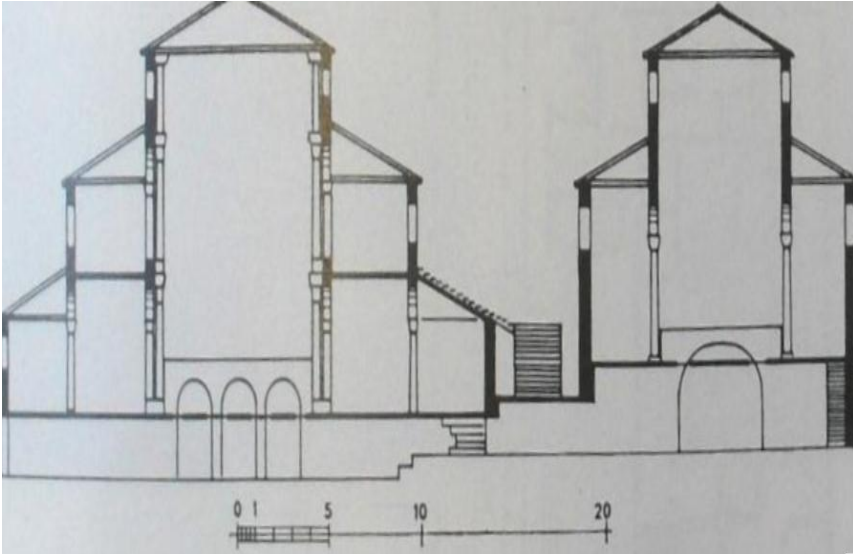
صورة 14: الفسيفساء التي تحمل شعر يمدح الاسقف كريسكونيوس ،  
معروضة بمتحف جميلة، عن: الطالبة 2024



صورة 15: فسيفساء أرضية البزيلكا الجنوبية، معروضة بمتحف جميلة،  
عن: الطالبة 2024



الصورة 16: بقايا نافذة من البزيليك الجنوبية، معروضة بالمتحف، عن:  
الطالبة 2021



صورة 17: مقطع عرضي للواجهة الشرقية للبزيليك الأولى والثانية  
لكريستن، عن: Duval, N, 1992: 71

3. بازيليكاً رقم 3: تدعى قاعة العبادة (مصلًى) لأنها عبارة عن مبنى صغير<sup>1</sup>، تقع في الجهة الجنوبية الغربية للمجمع الكنسي، طولها 19م وعرضها حوالي 12م، لها مدخل رئيسي يقع في واجهتها الغربية الجنوبية ولها ثلاثة أجنحة يفصل بينهما صفين من الأعمدة موضوعة على أربعة قواعد. طول الخورس 4م ثم تليه الحنية بشكلها الشبه دائري وهي بارزة نوعاً ما نحو الخارج، على جانبيها غرفتين ذات مخطط غير منتظم تتصل بالأجنحة الجانبية عن طريق سلم يتكون من درجتين، والغرفة الشمالية تتصل كذلك مع الحنية والساحة التي تفصل بين البازيليكيتين الأولى والثانية (صورة 18)، تقنية بناء الجدران عامة (لم يبق لها أثر) تتمثل في التقنية الأفريقية نسبة للأبنية المحيطة بها<sup>2</sup>، أما الأرضية فكانت مبلطة بالفسيفساء<sup>3</sup> لكنها اندثرت، وحسب مونسو يعود تاريخ بناء البازيليكاً إلى القرن الخامس ميلادي<sup>4</sup>.

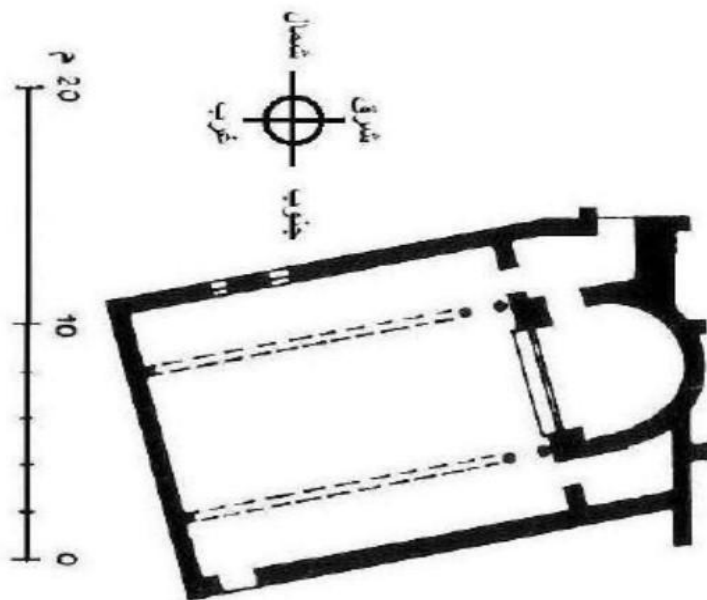
---

<sup>1</sup> - عيد عبد الحق، (2023)، ص. 135.

<sup>2</sup> - خاشية السعيد، (2016)، ص. 419.

<sup>3</sup> - Ballu, A. (1926), p. 34.

<sup>4</sup> - حاجي ياسين رايح، (2009)، ص. 70.



صورة 18: مخطط البازيليكا الثالثة. عن: حاجي ياسين رابح، 2009: 439

□ بيت التعميد: يقع في الزاوية الشمالية-الغربية للمجمع الكنسي، غرب البازيليكا الأولى وشمال الثالثة، وهو مبنى دائري ذو جدران سميكة مبنية بالتقنية المختلطة Opus mixtum (حجارة الدبش والاجر) (صورة 19)، يتكون من رواق دائري مزين على طولته بكوات (فتحات ذات شكل نصف دائري) ويحتوي سقفه المقبب على فتحات للإضاءة<sup>1</sup> (صورة 20)، ويتوسط هذا الرواق حوض مربع الشكل مبلط بالفسيفساء يتم النزول اليه بدرجتين (صورة 21) وهو مغطى بقبة حجرية من كتلة واحدة يحملها

<sup>1</sup> - عيد عبد الحق، (2023)، ص. 36.

أربعة أعمدة تدعى الكيبوريوم<sup>1</sup> (صورة 22)، أرضية الرواق مزينة  
بفسيفساء ذات اشكال هندسية واسماك وحيوانات بحرية (صورة 23)،  
مازالت في مكانها الى غاية اليوم. حسب فيفري يؤرخ بيت التعميد بنفس  
تاريخ البازيليكا المجاورة له (البازيليكا الأولى) أي انه يعود للقرن الرابع  
ميلادي.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> - Fevrier, P.-A. (1968), DJEMILA, Alger, p. 79.

<sup>2</sup> - خاشية السعيد، (2016)، ص. 420.





صورة

صورة 19: التقنية المختلطة، عن: عبد الحق، 2015: 183

20: الكوات والنوافذ، عن: خاشية السعيد، 2016: 718



صورة 22: الكيبوريوم، عن:

الطالبة 2021



صورة 21: حوض التعمي

عن: عيد عبد الحق، 2015: 179



صورة 23: فسيفساء أرضية رواق بيت التعميد. عن: الطالبة 2021

#### 4. بزيليكاً رقم: 4

تدعى البازيليكاً الغربية لأنها تقع في الحي الغربي للمدينة، بين الجدار الساند للكاردو الثانوي من الجهة الشرقية والصور التحصيني من الجهة الغربية حيث استعمل الجدارين في بناء البازيليكاً<sup>1</sup>، لهذا نجد مخططها غير منظم (صورة 24)، طولها حوالي 44م وعرضها 20م تقريباً، لها ثلاثة أجنحة مفصولة بصفيين من إحدى عشرة عمود، ومدخل رئيسي يوجد في الواجهة الشمالية (صورة 25). في نهاية الجناح الأوسط نجد الحنية اتجاهها جنوب-شرق-جنوب، على جهتها الشرقية نجد غرفة خدمية مفتوحة على الجناح الجانبي الشرقي<sup>2</sup>، الخورس كان مسجاً بحاجز وبه قبر بمحور عمودي على محور البزيليكاً كان يمثل مكان المذبح. يتم الوصول للسرداب عبر مدخل من الجهة الجنوبية الغربية، وهو ذو مخطط مستطيل مزود بحنية صغيرة يوجد بها قبر مبني، حيث يقع السرداب تحت الحنية ومفصول عن الخورس بجدار، في هذا الجدار توجد ثلاثة نوافذ تفتح على الأجنحة لتسمح للمصلين برؤية ما بداخله<sup>3</sup> (صورة 26). في الجهة الشمالية الغربية يوجد القبو وهو في حالة جيدة (صورة 27)، سقفه مقبب وجدرانها بنيت بالتقنية الكبيرة Opus quadratum، وأرضيته مبلطة ببلاطات حجرية (صورة 28). أما بالنسبة للبازيليكاً فقد بنيت جدرانها

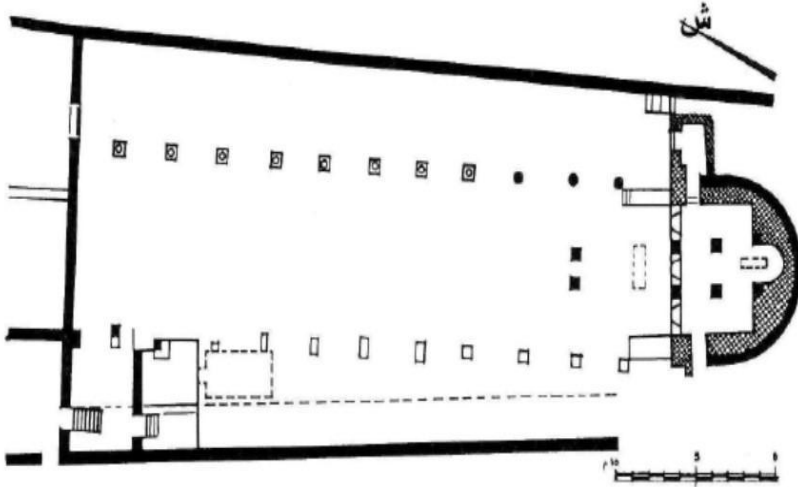
<sup>1</sup> - نواره سارة، (2015)، ص. 40.

<sup>2</sup> - نواره سارة، (2015)، ص. 55.

<sup>3</sup> - حاجي ياسين رايح، (2009)، ص. 72.



بالتقنية الإفريقية (صورة 29) وأرضيتها من الخرسانة. تؤرخ الباحثة آلي البزيلكا بالقرن الرابع ميلادي وهذا بعد دراسة جدران السرداب.<sup>1</sup>



صورة 24: مخطط البازيليك الرابعية. عن: حاجي ياسين راج، 2009: 440



صورة 25: منظر عام للبازيليك الغربية. عن: نورة سارة، 2015: 38

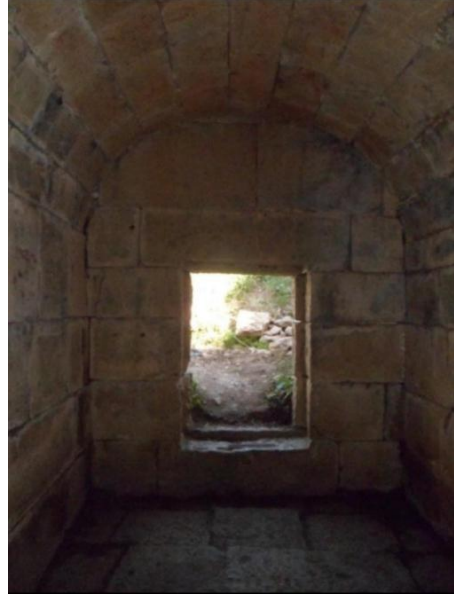
<sup>1</sup> - عيد عبد الحق، (2015)، ص. 41.



صورة 26: مدخل وحنية السرداب. عن: نواردة سارة، 2015: 38



صورة 27: مدخل القبو. عن: نواردة سارة، 2015: 58

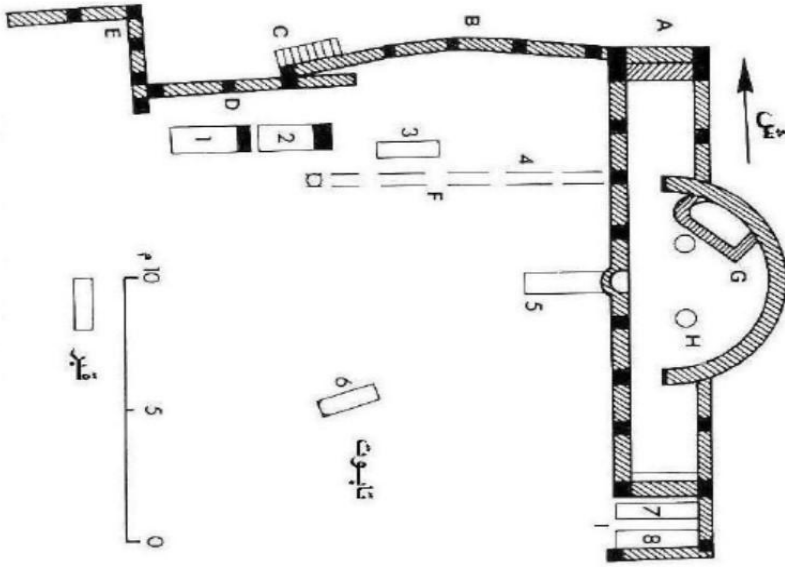


صورة 28: القبو من الداخل، صورة 29: بقايا الجدار الشرقي والجنوبي  
عن: نواردة سارة، 2015: 60  
عن: نواردة سارة، 2015: 65

5. بزيليكاً رقم 5: تقع على بعد 300م شرق المجمع الكنسي، طولها حوالي 25م وعرضها 20م تقريبا، حيث يجدر الإشارة الى ان هذه القياسات لا تمثل كل مخطط البزيليكاً لان حالتها سيئة جدا بسبب انجراف التربة، فقد اندثرت زاويتها الجنوبية-الغربية ومعظم الواجهة<sup>1</sup> (صورة 30). يرجح انها كانت تحتوي على مجاز (نارثكس) وهذا يعود لوجود جدارين متعامدين ومزدوجين في نهاية الجدار الشمالي، ومن خلال تطبيق نظرية التناظر في مخطط البزيليكاً المسيحية يظهر انها كانت تتكون من ثلاثة اجنحة، ومن خلال مخطط السرداب يظهر ان الحنية كانت بارزة نحو الخارج وموجهة

<sup>1</sup> - حاجي ياسين رايح، (2009)، ص. 73.

للشرق (صورة 31)، ولا يوجد أي إشارة حول مدخل السرداب ولا يوجد أثر للخورس، بل وجدت بعض القبور، اما المذبح فهو يتوسط البزيليكالولكن حالته سيئة بقيت منه بعض الأجزاء فقط. وقد بنيت جدران البزيليكال بالتقنية الافريقية، اما الأرضية فلا يوجد لها أي أثر. اما فيما يخص التأريخ فقد رُجح ان تكون معاصرة للمجمع الكنسي، وهذا من خلال دراسة وتحليل النقيشة اللاتينية التي وجدت بها<sup>1</sup>، أي انها تعود لنهاية القرن الرابع او بداية الخامس ميلادي.



صورة 30: مخطط البازيليكا الخامسة. عن: حاجي ياسين رايح، 2009: 440

<sup>1</sup> - عيد عبد الحق، (2015)، ص. 44.





صورة 31: سور وصدر البازيليكا الشرقية، عن: عيد عبد الحق، 2015:  
200

#### IV. خصائص البازيليكا المسيحية بمدينة كويكول:

سنرى خصائص بزيليكات مدينة كويكول، من خلال عرضها في الجدول  
التالي:

البازيليكا 1	البازيليكا 2	البازيليكا 3	البازيليكا 4	البازيليكا 5	
الموقع	شمال المجمع الكنسي	جنوب المجمع الكنسي	جنوب-غرب المجمع الكنسي	الحي الغربي بجوار السور التحصيني	على بعد 300م شرق المجمع الكنسي
المساحة	35م × 15م	44م × 29م	19م × 12م	44م × 20م	25م × 20م (تقريبا)
التوجيه	الشرق	الشرق	شمال-شرق	جنوب- شرق- جنوب	الشرق
النارثكس	/	يوجد	/	/	احتمال وجوده
عدد المداخل	3 رئيسي+1 ثانوي	3 رئيسي+3 ثانوي	1 رئيسي	1 رئيسي	لا أثر
الاجنحة	3 اجنحة	5 اجنحة	3 اجنحة	3 اجنحة	3 اجنحة
غرفة خدمية	/	/	غرفتين	غرفة واحدة	/
بناء الجدران	التقنية الافريقية	التقنية الافريقية	التقنية الافريقية	التقنية الافريقية	التقنية الافريقية
الارضية	فسيفساء	فسيفساء	فسيفساء(اذ دثرت)	خرسانة	لا أثر
التأريخ	القرن الرابع م	القرن الخامس	القرن الرابع م	القرن الرابع م	القرن 4 م-5 م

- نلاحظ ان بداية بناء البزيليكات المسيحية في مدينة كويكول كان خلال القرن الرابع ميلادي وتواصل الى غاية الخامس، وقد تركزت ثلاثة بزيليكات في مكان واحد بالقرب من بيت التعميد وهو الحي المسيحي او ما يسمى بالمجمع الكنسي وهو نواة مدينة كويكول المسيحية.

- تفاوتت ابعاد البزيليكات من واحدة لأخرى، كذلك عدد المداخل، اما بالنسبة لعدد الاجنحة ففي المجمل تقسم البزيليكات الى ثلاثة اجنحة الا في حالة البزيليكات الثانية فقد كانت مساحتها كبيرة وقسمت الى خمسة اجنحة.

- بالنسبة للنفارثكس والغرف الخدمية فهي من الملاحق، قد نجدها في بعض البزيليكات ولا نجدها في البعض الآخر.

- طبوغرافية المنطقة قد ساهمت في اندثار الآثار خاصة البازيليكا الشرقية والبزيليكات الغربية لأنها بنيت

على منحدر، وكذلك قد تحكمت بشكل واضح في توجيه البزيليكات لأنها في الأصل توجه للشرق.

- استعملت التقنية الافريقية في بناء جدران كل البزيليكات نظرا لتوفر المادة الأولية المتمثلة في الحجارة

والدبش، حيث اعتمد سكان مدينة كويكول على محجرة "كاف بني صالح" والتي تبعد حوالي 2 كلم عن المدينة. وقد لاحظنا في البازيليكا الغربية استعمال الجدار الداعم للكاردو الثانوي والسور التحصيني كجدران للبزيليكات لضيق المساحة وربما لنقص التمويل او لاختصار الجهد والوقت.

- الفسيفساء التي استعملت في تبليط أرضية البزيليكات الأولى والثانية ذات مواضيع حيوانية واشكال

هندسية بالإضافة لكتابات اهدائية، ولا تحمل تمثيلات آدمية لأنها كانت محرمة، كذلك الحال بالنسبة لفسيفساء بيت التعميد.

### الخاتمة:

تعتبر البازيليكا المسيحية اهم مكان لتجمع المسيحيين وقد احتوت مدينة كويكول على خمس بازليكات، ثلاثة منها متجمعة في الحي المسيحي وبجانبها بيت التعميد الذي يعتبر جوهر الديانة المسيحية، والرابعة في الحي الغربي بجوار السور التحصيني، اما البازيليكا الخامسة فتقع خارج النسيج العمراني. وقد امتازت العمارة الدينية المسيحية في مدينة كويكول بتبني المخطط الكلاسيكي للبازيليكا الذي يتكون من ثلاث اجنحة وفي بعض الأحيان خمسة، وينتهي جناحها الاوسط بحنية نصف دائرية عادة موجهة للشرق، يسبقها المذبح والخورس، اما السرداب عادة يكون تحت الحنية والخورس مثل البازيليكا الأولى والثانية او تحت الحنية فقط مثل البازيليكا الرابعة، ويعتبر بيت التعميد من اهم عناصر العمارة الدينية وعادة ما يكون ملحق او داخل البازيليكا المسيحية، ولكن في مدينة كويكول نحده مبنى مستقل بجانب بازليكات المجمع الكنسي.

ان العمارة الدينية تكيف حسب المعتقدات والطقوس التي تقام بها، ففي البازيليكا المسيحية يجب ان نجد بيت التعميد الذي بداخله يقام اول



طقس للدخول الرسمي في الديانة المسيحية، ونجد الحنية وهي مكان الاسقف ورجال الدين، ونجد المذبح لتقديم لقرابين...الخ فكل عنصر بني من أجل وظيفة معينة، دون ان ننسى الإشارة للفن المعماري والزخرفة مثل أعمدة البزيلिका الأولى ذات التيجان الكورنثية، فقد اجتهد المعماري والفنان المسيحي في تقديم اجمل صورة للبزيلिका المسيحية التي تعبر عن هويتهم وانتمائهم العقائدي وكل ذلك بتمويل من المؤمنين المسيحيين الذين أرادوا اظهار سخائهم ووفائهم للشهداء الذين ضحوا في سبيل عقيدتهم، فقد خلدوا ذكراهم من خلال الاحتفاظ برفاتهم وبناء البازيليكات على شرفهم، والمساهمة في تزيينها كما رأينا في فسيفساء البزيلिका الأولى أسماء الأشخاص الذين ساهموا في بنائها، وكذلك قاموا بتخليد أسماء الشهداء مثل ما رأينا في البازيلिका الثانية حيث وجدت فسيفساء كريكونيوس التي تحمل ابيات شعرية تمدحه، وبعدها ظهرت عبادة القديسين والشهداء أصبحت البزيلिका مكان للدفن تقربا من الشهداء كما رأينا القبور المنتشرة في البازيلिका الخامسة. وفي الأخير نقول ان العمارة هي مرآة للهوية، من خلالها نتعرف على معتقدات وعادات وتقاليد الأمم التي قامت بإنشائها، ونتعرف كذلك على مدى رقيهم واتقانهم للفن المعماري.

## القائمة الببليوغرافية المعتمدة:

- ايخران محند اكلي (2008)، جرد التحف الاثرية المعروضة بمتحف جميلة (كويكول القديمة)، مذكرة ماجستير في الاثار القديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2.
- حاجي ياسين راج، (2009)، البازيليكات المسيحية في مقاطعة نوميديا دراسة اثرية تنميطية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2.
- حارش محمد الهادي (1992)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، الجزائر.
- خاشية السعيد (2016)، كويكول دراسة اجتماعية واثرية، أطروحة دكتوراه في الاثار القديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2.
- عمران عبد الحميد (2011)، الديانة المسيحية في المغرب القديم -النشأة والتطور-(180-430م)، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري-قسنطينة.
- عيد عبد الحق، (2015)، المجمع الكنسي بكويكول -جميلة-دراسة معمارية وفنية، مذكرة ماجستير في الاثار القديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2.
- عيد عبد الحق، (2023)، المجمع المعماري المسيحي بكويكول بين القراءة الاثرية والتصميم الهندسي، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 7، العدد 2، ص-ص.146-127.
- موكاح فاذية (2012)، العمارة الدينية المسيحية في مدينة تيمقاد الاثرية (المجمع المسيحي المسمى الكاثوليكي، والمجمع المسيحي المسمى الدوناتى) -دراسة أثرية-، مذكرة ماجستير، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2.
- نواره سارة (2015)، بازيليك الحي الغربي بمدينة جميلة (كويكول) -دراسة أثرية-، مذكرة ماستر في الاثار القديمة، جامعة قسنطينة 2.
- Ballu, A. (1921), *Ruines de DJEMILA (Antique Cuicul)*, Alger.
- Ballu, A. (1926), *DJEMILA (Antique Cuicul)*, Alger.
- Duval, N., Caillet J-P., Chvalier, P., Lorquin, A. (1992), *Basiliques Chrétiennes d'Afrique du nord*, V. I, Paris.
- Fevrier, P.-A. (1968), *DJEMILA*, Alger.

- Michel, A. (2005), Aspects du culte dans les églises de Numidie au temps D'Augustin : un état de la question. Serge Lancel. **Saint Augustin, la Numidie et la société de son temps**, 14, Ausonius, pp. 67-108.
- Ravoisié, A. (1846), **Exploration scientifique de l'Algérie**, V. I, Paris.
- Tertullianus, Q. S. F. (1822), **Apologétique de Tertullien**. Hubert, Paris.
- Toulotte, M. (1894), **Géographie de l'Afrique chrétienne**, V. 1, Paris.
- Zidane, M. (1998), **Djémila et Sétif : l'urbanisme comparé de deux villes Romaines d'Afrique du Nord**, Thèse de Doctorat, université de Sorbonne, France.

## دور الوقف في تطور العمارة الجزائرية

د. صابر بن عائشة

ط/د. نور الإسلام بوراس

جامعة سطيف

دار القرآن – المدرسة الوطنية

العليا للعلوم الإسلامية-

### مقدمة

يعتبر الوقف من أقدم الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية المعروفة في الجزائر، وقد لعب دورًا مهمًا في تعزيز التعليم، والخدمات الاجتماعية، والتنمية الحضرية. قبل فترة الحكم العثماني، كانت الأوقاف تتجسد في المساجد والمدارس الدينية، مثل مدرسة ومسجد سيدي بومدين شعيب في تلمسان (1500م). ومع دخول العثمانيين، أصبح الوقف أكثر تنظيمًا عبر هيئات إدارية خاصة، مما أدى إلى زيادة عدد المؤسسات الوقفية وزيادة تأثيرها على الحياة اليومية، وتشجيعها لخدمة الصالح العام. وسادت في المدن في تلك الفترة الوقف الاهلي والذي كان تتقاسم عوائده المؤسسات الدينية والزوايا التي تزايد عددها مع مجيء العثمانيين، كما في الارياف فقد كان يسودها الوقف الخيري والذي يعود مردودها ايضا للمساجد والزوايا. وقد تضاعف الوقف 12 مرة سنة 1750 مقارنة بسنة 1600 ميلادي حيث اصبحت الاوقاف تشكل ما مجموعه 66٪ من الممتلكات العقارية والزراعية. وهذا معناه تطور الوقف في فترة وجيزة خلال 150 سنة تقريبا ويرجع هذا الى عدة عوامل مثل حب الخير، العلم، واصلاح المجتمع،

اضافة الى رغبة المحسنين في توفير مصدر رزق دائم لأفراد أسرهم حفظ حقوق اليتامى الارامل القصر وكونه صدقة جارية تبقى في ميزان حسنات الاشخاص. ومع بداية القرن الثامن عشر ومع وصول الحكم التعسفي للجزائر الذي كان يضع كل املاك التي لا ورثت لها تحت اشراف بيت المال أصبح الجزائريون يقدمون على حبس ممتلكاتهم وعقاراتهم حتى لا تؤول الى تلك الهيئات فازداد انتشار الوقت في تلك الفترة ولكن كان من أبرز اسبابها هو عدم ثقة الشعب في حكامه.<sup>1</sup> ومن خلال ما سبق يمكن طرح التساؤل التالي كيف ساهم الوقف في تطور العمارة والعمران بالجزائر؟.

1- تعريف الوقف: لعب الوقت دورا رئيسيا في الحضارة الاسلامية من عدة نواح، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والانسانية اذ ان الملاحظة لكل تلك العقارات والاراضي التي كانت وقفا وما تدرسه من خيرات وربح كانت لها دور كبير في تمويل المشاريع الاقتصادية والخدماتية.<sup>2</sup>

والوقف لغة: هو الحبس وهو إيقاف الشيء اي انه لا يباع ولا يورث ويمنع صاحبه من التصرف فيه ويتم التصديق بمنافعه على الفقراء مع بقاء العين.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> عبد الكريم بو حميدة، نشأة وتطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غرداية.

<sup>2</sup> اطروحة الدكتوراة بعنوان دور الحوكمة في تطوير ادارة الاوقاف حالة الجزائر من اعداد مخنث الثوم 2020. ص 17

<sup>3</sup> مخنث الثوم، اطروحة الدكتوراة بعنوان دور الحوكمة في تطوير ادارة الاوقاف حالة الجزائر، 2020. ص 18

تعريفه اصطلاحاً يرى الحنفية ان الوقف باقى على ملك الواقف ولم يخرج عنه وهذا يستطيع ان يتصرف به من بيع وهبة وىراهن الى غيره من نقل الملكية وما يوقف منه هو التبرع بمنافسه فقط.<sup>1</sup> أما عند المالكية فهم يرون الوقف لا يخرج عن الواقف فى ملكه ولا يجوز للواقف ان يتصرفوا فيه مادام ملكه ما يزال وقفا اذ يمكنه ان يشترط فيه زمن معين اي ان يكون وقفه لمدة معينة فقط ثم يمكنه استرجاعه.<sup>2</sup> وبهذا يمكنه بيعه اوروه او تملكه لشخص اخر بعد انتهاء مدة الوقف كما يمكنه ان يشترط هذا ايضا لمن يوقفه له. وايضا يمكنه ان يبيعه وهو ما يزال وقفا إذا كان قد احتاج له وكان قد شرط ذلك قبل ان يوقفه.<sup>3</sup> والشافعية يرون ان الوقف يقطع التصرف فيه ومنافع له تكون تقريبا الى الله داخله،<sup>4</sup> حيث لا يكن للواقف الحق فى التصرف فيه لبيعه ولا ره ولا اي شيء من هذا القبيل ويشترط فى صحته ان تكون النية به التقرب الى الله.<sup>5</sup> أما عند الحنابلة فهو كم مثل صدقة جارية يتم اجرها حتى بعد الوفاة بطريقة متكررة اذ لا يجوز التصرف فيها باي طريقة كانت من طرف المالك وتكون من فعلتها

<sup>1</sup> مخنث الثوم المصدر السابق 2020. ص 19

<sup>2</sup> محمد الرؤف قاسى الحسنى، التطور التاريخى والتشريعى لنظام الوقف : نموذج الاقتصاد التضامن

<sup>3</sup> مخنث الثوم المصدر السابق 2020. ص 20

<sup>4</sup> محمد الرؤف قاسى الحسنى، التطور التاريخى والتشريعى لنظام الوقف : نموذج الاقتصاد التضامن

<sup>5</sup> مخنث الثوم المصدر السابق 2020. ص 20

موجهة لغير المالك ولا تباع ولا تورث ولا توهب. ويمكن ان يعرف الوقف بشكل أشمل انه تحبيس الاصل وتسبيل المنفعة.<sup>1</sup>

1-2- أركان الوقف وشروطه ترتبط شروط الوقف بأركانها ف اركان هي 4 الوقف الموقوف والموقف عليه والصيغة.

1-3- اما شروطه

شروط الواقف: العقل، البلوغ، الحرية، الرشد.

شرط الموقوف:

- ان تكون العين الموقوف معينة اي ان تكون معلومة علما ينفي الجهالة عنها.

- يكون الموقوف ملكا تاما للواقف.

- ان يكون الموقوف مالا متقوما فلا يصح وقف ما ليس بمال او ما لا يحل الانتفاع به.

- ان لا يكون المال الموقوف شائعا في غيره.

شروط الموقوف عليه

- ان يكون من الجهات التي تنتفع بالوقف.

- ان يكون من الذين يجب البر بهم والاحسان عليه.

---

<sup>1</sup> مخنث الثوم نفس المصدر 2020. ص 21

-ان يكون معلوما ولا يكون مشغولا.

-ان يكون الوقف على جهة يصح ان تملك وتتملك.<sup>1</sup>

12-الأوقاف الجزائرية خلال العهد العثماني: لقد كانت الاوقاف قبل مجيء العثمانيين في الجزائر وقد ارتبطت بارتباط الجزائريين بالإسلام ومن بين الوثائق التي تؤكد ذلك هي الوثيقة التي تسجل وقفية مدرسة ومسجد سيدي ابي مدين بتلمسان تاريخ هذه الوقفية يرجع الى 906 هجري الموافق ل 1500 ميلادي وايضا أقدم وثيقة وقفية تابعة للجامع الاعظم بالعاصمة سند 947 هجري الموافق ل 1540 ميلادي. وتكاثرت الاوقاف وارتبطت بزيادة نفوذ الطرق الصوفية في العهد العثماني في الجزائر وتنوعت من عقارات الى اراضي زراعية فنادق أسواق، حوانيت، سهاريج، افران، مزارع، بساتين، حدائق، فنادق، دكاكين، افران، وعيون، وسواقي. وقد تم إنفاق اموال هذه الاوقاف على عدة مجالات العلم والعلماء وطلبته الفقراء والمحتاجين والمستضعفين واعطائهم حقوقهم، القصر والعجزة، حفظ حقوق الورثة وتعزيز تماسك العائلة الجزائرية، صيانة المرافق العامة ورعايتها.<sup>2</sup> وقد كان لهذه الاوقاف هيئة قضائية تفصل في القضايا المتعلقة بها كما كانت تسجل وتنظم الاملاك الوقفية في سجلات وصفات خاصة، وذلك من اجل تنظيم اداري محكم من اجل تسجيلها والحفاظ عليها وعدم

---

<sup>1</sup> الوقف في الجزائر الواقع ومتطلبات تفعيل دوره التنموي، مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية رقم المجلد احدى 10 العدد1.

<sup>2</sup> مبررات الاهتمام بالاملاك الوقفية في الجزائر من الاحتلال الى الاستقلال، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية.



ضياها وهذا ما نستشفه من الوثائق الوقفية المحفوظة في الارشيف الوطني الجزائري الذي يضم أكثر 158313 وثيقة وقفية مقسمة على 3 مجموعات:

المجموعة الاولى تمثل الوثائق الشرعية المتعلقة بالأموال الوقفية بالأحكام القضائية المرتبطة بها وعددها 13 ألف وثيقة.

المجموعة الثانية والثالثة هي عبارة عن سجلات بيت المال وصفات البنك والمتعلقة بشؤون الخير ودائع بيت المال وضبط حالات الاملاك العقارات الوقف في وعددها كان حوالي 583 وثيقة.<sup>1</sup>

3- المؤسسات التي سیرت الأوقاف في الوقت العثماني: ومن بين أهم المؤسسات التي كانت آنذاك تسیر الأوقاف نذكر:

3-1- اوقاف الحرمين الشريفين: وهي مؤسسة تساعد الجزائريين على وقف ممتلكاتهم في الجزائر العاصمة وخارجها من اجل تقديم المساعدات الاهالي الحرمين الشريفين الفقراء والمارين منهم بالجزائر،<sup>2</sup> كما ترسل تلك الاوقاف الى الحرمين الشريفين من طرف الداي الجزائري ثم تختم بختم الحرمين الشريفين عند وصولها كاملة، كان تنظيمها الاداري يتمثل في مجلس اداري يتكون من 4 اشخاص او أكثر يرأسه وكيل يعينه الباشا، وكانت تشكل هذه

---

<sup>1</sup> عبد الكريم بو حميدة، نشأة وتطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غرداية.

<sup>2</sup> عبد الهادي لهزيل، آليات حماية الأملاك الوقفية في التشريع الجزائري، مذكرة ماجستير، تخصص الأحوال الشخصية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الوادي، 2014-2015، ص22.

الأوقاف ¼ من الأوقاف الكاملة بعدد يتراوح ما بين 1230 الى 1558 ملكية عقارية.<sup>1</sup>

3-2- أوقات مؤسسة سبل الخير: يرجع تأسيسها الى شعبان خوجا خلال سنوات 1590 ميلادي كانت تشرف على ادارة جميع الأوقاف والمساجد الحنفية بالجزائر العاصمة،<sup>2</sup> واشرفت على ادارة 8 مساجد حنفية منها الجامع الجديد جامع دار القاضي، جامع كتشاوي، جامع شعبان باشا، جامع حسين داي، مسجد علي خوجة، جامع الشبارليه. وكان عدد اوقفها آنذاك 331 ووقفا تقريبا ثم تقلص تدريجيا مع وصول المستعمر الى غاية عام 1841 اين تم الغائها كليا. وقد كان لهذه المؤسسة 11عضوا من بينهم مستشارين منتخبين وناظر او وكيل اوقاف المؤسسة وكاتب ينظم عقود المؤسسة ويعين الوكيل والكاتب وجميعهم من بين اهل العين ويضاف إليهم شاكوش وهو مستخدم مكلف بضمان الراحة لأفراد المؤسسة. كما كانت تشرف على عدة مشاريع خيرية عامة اصلاح الطرقات اجراء القنوات الري اعانة المنكوبين ذوي العاهات تشييد المعاهد العلمية شراء الكتب ولوازم طلبة العلم.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> نادية براهيمي المولودة اركام، الوقف وعلاقته بنظام الأموال في القانون الجزائري، بحث ماجستير في العقود والمسؤولية، معهد الحقوق و العلوم الادارية، بن عكنون (الجزائر)، ص -10.

<sup>2</sup> محمد الرؤوف قاسمي الحسني، التطور التاريخي والتشريعي لنظام الوقف: نموذج الاقتصاد التضامن

<sup>3</sup> عبد الكريم بو حميدة، نشأة وتطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غرداية.

3-3- اوقاف المسجد الكبير وقد احتلت هذه المؤسسة المرتبة الثانية بعد مؤسسة الحرمين من حيث عدد الاوقاف.<sup>1</sup> وكانت تبلغ ايقافه حوالي 55 وقف وقد انتهت في سنة الف وثمانمائة وواحد واربعون مع الاستعمار الفرنسي كانت عائدات اوقات فيه تعود على دوره الثقافي والتعليمي في تعليم الناس والتعليم الناس الكتابة والقراءة والعلوم الاسلامية وعلى مكتبته الكبيرة التي تحتوي على كم هائل من الكتب والمخطوطات والعلوم وفي اعانة الفقراء والمحتاجين ولطلبة العلم، الحقت اوقافه سنة 1843 بمصلحة املاك الدولة وهو ما اصبح معمولاً به بتحديد ادارة الاوقاف المسماة بوزارة الاوقاف.<sup>2</sup>

3-4- اوقاف مؤسسة بيت المال كانت تدير الغنائم، وشراء العتاد، واعانة السبيل واليتامى والفقراء والاسرى، واقامة المرافق والاهتمام بالبنية التحتية، ووضع الاملاك الشاغرة التي لا وريث لها تحت تصرف الخزينة العامة، وحماية الاوقاف، يشرف عليها بيت المالجي، يعين لها الباشا احد القضاة ليساعده في مهامه وما يقابله الان هو وكيل اوقاف،<sup>3</sup> واشرفت ايضا الاوقاف التي توفي اصحابها بدون عقب حرصا على انها تعمل بوصيته صاحبها وكانت هذه المؤسسة تتمتع بالاستقلالية عن الادارة العامة

---

<sup>1</sup> عقيل نمير، أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، مجلة دراسات إنسانية، جامعة الجزائر، ماي 2001، ص: 119.

<sup>2</sup> دراسات تاريخية ناصر الدين سعيدوني: ص: 268.

<sup>3</sup> د. سمير جاب الله، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، الوقف الاسلامي وتاريخه في الجزائر.

البايك، كما كانت تدفع مساهمة شهرية تقدر بحوالي 700 فرنكا لخزينة الدولة.<sup>1</sup>

3-5- اوقاف الاولياء المرابطين والاشراف كانت لا تتجاوز الحادي عشر وقفا بداية القرن الثاني عشر وكانت تأتي هذه الاوقاف من داخل الجزائر ومن خارجها وكان يتطلب الامر لتسييرها عدة شخصيات من شيخ الحضرة، الوكيل، الشاو، ثلاث أئمة وثلاثة حزاين واربعة قراء.<sup>2</sup> وارتبطت هذه الاوقاف بوجود الطرق الصوفية التي وجدت قبل مجيئ العثمانيين من بدايات القرن التاسع هجري اي الخامس عشر ميلادي، ولكنها زادت بعد مجيئهم. وقد حكم من خلالهم العثمانيين المدن الجزائرية وأوقف السكان الجزائريون لأضرحة المرابطين الذين كانوا يحظون باحترام كبير لدى السكان والتي بلغ عددها 19 ضريحا 18 منهم بالعاصمة. وتأتي في مقدمة الاوقاف الاولياء اوقاف سيدي عبد الرحمن سالم بي التي قدرت بحوالي 80 الى 82 وقفا بمدخول السنوي حوالي 6000 فرانك،<sup>3</sup>

3-6- وقف الاشراف: وقد كان من الفئة المرموقة لدى الدولة والذين كانوا يتكونون من حوالي 200 الى 300 اسرة كان لهم علاقات خاصة بالعثمانيين

---

<sup>1</sup> عبد الكريم بو حميدة، نشأة وتطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غرداية.

<sup>2</sup> عبد الكريم بو حميدة، نشأة و تطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غرداية.

<sup>3</sup> د. سمير جاب الله، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، الوقف الاسلامي وتاريخه في الجزائر.

وحظيت هذ الاسر باحترام لدى العامة وخصصت لهم زاوية يئم فيها الى أحد الاشراف، ووقف لصالح هذه الزاوية عدة اوقاف.<sup>1</sup>

7-3- اوقاف اهل الاندلس: كانت هذه الاوقاف تعتمد بدرجة كبيرة على زاوية الاندلسيين وانطلقت منها حيث بلغت مشاريعهم الخيرية حوالي 408072 فرنكا في عام 1837، وقد كانت هذه الاوقاف مخصصة الاهلي الاندلس النازحين من العدوان الاسباني في حربيه وذلك حسب المؤرخ الفرنسي دي فوكس، وتعود هذه الاوقاف خاصة الى اغنياء الاندلس لحماية الضعفاء من اخوانهم الفارين من اسبانيا وشكل الاندلسيين جمعية مكونة من 6 اشخاص جعلوا وكيلا لها وهو الشيخ محمد الابلي وقد كانوا يتمتعون بدرجة خاصة العثمانيين اذ كانوا يوكلونهم على بعض الاوقاف، وقد ضمت هذه الاوقاف الخاصة بهم في سنة 1809 الى الف 1810 حسم ورد في سجل بالك 35 حانوتا وثمانية عشر دار وسبع بستين. أما النوع الثاني لأوقاف الاندلسيين وهي الاوقات التي يشترك فيها اوقاف الاندلسيين الخاصة بفقرائهم مع باقي الاوقاف مثل اوقاف الحرمين الشريفين ومع عامة الناس وكان فيها 3535 حنونة 26 دولارا اضافة لعدد من الاحواش والمخازن وبلغ مردودها حوالي عام 1733، 844 رجالا، وهو مخصص للإنفاق على التعليم مشاعر الدينية الفقراء والمحتاجين. الأوقاف الثكنات والمرافق العامة، وهي الاوقاف التي كانت تصرف على الثكنات التابعة للجيش والتي كانت تضم حوالي 400 الى 600 في الغرفة الكبيرة

---

<sup>1</sup> صالح محمد، دور الوقف في الحركة الثقافية بالجزائر اواخر العهد العثماني، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثريه، م 03، ع 02، سبتمبر 2020، 247.

و200 الى 300 جندي في الغرف الصغيرة كانت اجورهم تصرف من الباشا ولكن الاوقاف كانت تصرف على الاشياء الترفيهية التي لا يمكنهم الحصول عليها وهو ما ساهم في تعزيز الجيش وكما ساهم ايضا في توفير المصاريف للإنفاق على باقي المرافق.<sup>1</sup>

4- أنواع الأوقاف في الجزائر في العصر العثماني من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر (حقل خضروات)، بَحَيْر (جمع بحيرة)، هاوش (مزرعة)، بلاد (أرض)، عَقَّار (أرض زراعية)، فُرْد، فيصان (مساحة من الأرض لزراعة الحبوب)، مصطلحات مختلفة لجزء من مزرعة أو حقل حيازة أو وقف: مقسم، طرف، نصيب، شطر من...، حد من...، كيسمة، جوز (جمع: عجة).

5- التعايش بين المذهبين الحنفي والمالكي: لقد كان في هذا الزمن يعد المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر والذي يعد بمثابة محكمة عليا، نظرا للمصداقية التي كان يتمتع بها بين أفراد المجتمع الجزائري، لكون الدين الإسلامي يمثل المرجعية الثابتة التي يستمد منها مفتي هذا المجلس أثناء دراسة الصراعات، والخصومات الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع. هذا المجلس الذي كان يتكون من المفتين الحنفي والمالكي، والقاضيان الحنفي والمالكي، يحضره الياياباشي ممثلا عن حاكم الجزائر،

---

<sup>1</sup> عبد الكريم بو حميدة، نشأة وتطور نظام ادارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غرداية.

يعقد اجتماعه كل يوم خميس لدراسة القضايا المطروحة عليه.<sup>1</sup> فالاعتماد على الثنائية المذهبية بين الحنفية والمالكية دليل واضح على التعايش المذهبي الذي كان سائدا بينهما، وقد نلاحظ ذلك من خلال العقد الذي يخص إحدى قضايا إثبات الملكية الذي جاء على الشكل التالي: "الولية ديمومة بنت الحاج معمر كانت في السالف عن التاريخ .... ابتاعت من زوجة والدها جميع الدار التي كانت تحت يدها.... الكائنة بحومة سيدي رمضان سند الجبل داخل محروسة الجزائر .... بثمن معلوم بينهما وتقابضا في الثمن المثلون ... وبقي رسم الدار المذكورة تحت يدها إلى أن ضاع وأرادت تجديده فرفعت أمرها في ذلك .... إلى المجلس العلمي المنعقد بالجامع الأعظم حضره الشيخان الفقيهان... محمد بن إسماعيل ومحمد بن الشاهد وأبي العباس محمد أفاندي قاضي الحنفية في التاريخ ... وعبد الرحمان بن مسعود قاضي المالكية ... بشهادة الكرام.... نضا شهادة الجميع أنهم يعرفون الولية ديمومة بنت الحاج معمر معرفة تام معتبرة شرعا يشهدون مجامع ذلك وأن لها مالها ملكا صحيحا من حملة أملاكها ... فبعد ثبوت ما ذكر كما ذكر ضمن العلماء أيدهم الله تعالى أن الدار المذكورة. هي ملك للولية ديمومة"، ثم أشاروا على القاضي بالحكم ها بذلك فحكم ما بذلك حكما تاما -المجرة وأمضاه وسوعة وارتضاه وأوجب العمل بمقتضاه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> د. رابح، أهمية الرصيد العثماني في كتابة تاريخ الجزائر الحديث المحاكم الشرعية أنموذجا، جامعة الجزائر 2، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة.

<sup>2</sup> وذاك في الوثيقة 47، من العلبة 105-106 من عقود المحاكم الشرعية، في الارشيف الوطني الجزائري.

6- الاوقاف الجزائرية اثناء الاستعمار الفرنسي<sup>1</sup> لقد حاول الاستعمار الفرنسي تفكيك كل اوقاف الجزائرية واعطائها للمستثمرين الجدد وذلك بقيتا ايقاف التمويل الشعبي لبعضهم البعض وتفكيك أواصره وقد قام بعدة خطط ومراحل لتفكيك الاوقاف الجزائرية ونذكر منها قانون 8 سبتمبر 1830 وكان اول خطوة نحو تفكيك الاوقاف وفيه بنود تنص على ان السلطات الفرنسية يحق لها ان تستولي على كل ما يخص الادارة العثمانية من املاك بالإضافة الى الاستيلاء على بعض الاوقاف التابعة لمؤسسة الاوقاف الحرمين. ومرسوم 8 ديسمبر 1830 وضع هذا المرسوم كل الاوقات تحت مراقبة المدير العام المصلحة الاملاك العامة ما اعطى للمحتل الحق في امتلاك الأوقاف مع ابقاء المشرفين عليها جزائريين واعطاء المحتلة كل ما يتعلق بهذه الاوقاف من المبالغ التي تدرسها من ايجارات وقائمة المشترين لها والقائمين عليها وعقودها ومستنداتها وذلك حسب المادة الرابعة من هذا المرسوم. وفي 25 اكتوبر 1832 تم تطبيق مخطط يسيطر على كل الممتلكات الوقفية ووضعها تحت اشراف الادارة الفرنسية. وكان صاحب هذا المخطط هو جيراردان المدير العام لأملاك الدولة لتنظيم الاوقاف. وفي 1838 اخذ هذا القانون شكل تقرير مفصل حول المؤسسات الوقفية. وأشرفت فرنسا في عام 1835 على حوالي 2000 وقف. وفي عام 1844 اكتوبر الأول اصبحت الاوقاف خاضعة لحكم المعاملات المتعلقة بالعقارات وهذا ما سمح لي مؤتمر بالسيطرة على الاراضي والعقارات التي كانت في ضواحي العاصمة وبهذا تقلصت الاوقاف من 550 قبل الاحتلال الى

<sup>1</sup> الوقف في الجزائر: الواقع ومتطلبات تفعيل دوره التنموي، مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية، رقم المجلد 11، العدد 1.



293. وبمرسوم 30 أكتوبر 1858 توسعت صلاحية القرار السابق بالتالي أصبحت كل الاوقاف قابلة للامتلاك. وفي عام 1873 بموجب قانون في هذا العام تم تصفية كل الاوقاف الجزائرية وتم القضاء على مؤسسة الاوقاف في الجزائر.

7- تعامل الجزائر مع نظام الأوقاف بعد الاستقلال: بعد تحقيق الاستقلال، واجهت الجزائر تحديات كبيرة تتعلق باستعادة وإدارة الأوقاف، حيث كانت القوانين الفرنسية لا تزال سارية المفعول، مما أدى إلى تهيش نظام الوقف وإدماجه ضمن ممتلكات الدولة أو العقارات غير المستغلة. بالإضافة إلى ذلك، تم تهريب بعض الوثائق الوقفية إلى فرنسا، مما زاد من تعقيد عملية استرجاعها. الإصلاحات القانونية والإدارية في البداية، عانت الجزائر من نقص قانوني في إدارة الأوقاف مما أدى إلى تأخر فعاليتها في الاسترجاع والإدارة. وفي التسعينيات، تم إصدار قانون الأوقاف لعام 1991، الذي منح الوقف إطاراً قانونياً مستقلاً، مما ساهم في حمايته وإدارته بشكل أكثر تنظيماً. كما قامت الدولة بتأسيس الصندوق المركزي للأوقاف لضمان إدارة مالية متكاملة للأصول الوقفية.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup><https://marw.dz/index.php/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%82%D8%A7%D9%81-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D9%84%D8%A7%D9%84>

## 8- الإجراءات والقوانين التي اتخذتها الجزائر لحماية وتعزيز الوقف

### 1-8- الإطار القانوني لحماية الأوقاف قانون رقم 91-10 لسنة 1991:

يُعتبر هذا القانون أول تنظيم حديث للأوقاف، حيث وضع قواعد لاستثمارها وضمان استقلالها الإداري والمالي.

### 2-8- مرسوم 1993 المتعلق بتنظيم وزارة الشؤون الدينية: تم من خلاله

إنشاء مديرية خاصة بالأوقاف داخل الوزارة، مما يساعد في إدارتها بكفاءة أعلى.

### 3-8- قانون 2001 حول إدارة الأملاك الوقفية: منح هذا القانون الدولة

صلاحيات أكبر في حماية واستثمار الأوقاف.

### 4-8- إنشاء مؤسسات إدارية متخصصة مديرية الأوقاف داخل وزارة

الشؤون الدينية، حيث تُعنى بالإشراف على الوقف واستعادة الممتلكات الوقفية المفقودة.

### 5-8- الصندوق المركزي للأوقاف: تم إنشاؤه لضمان تمويل المشاريع

الوقفية ودعم تنميتها.

### 6-8- لجنة الأوقاف الوطنية: تم تأسيسها لوضع القوانين والتشريعات

المتعلقة بالأوقاف ومراقبة إدارتها.

### 7-8- خطوات استعادة الأملاك الوقفية البحث في الأرشف الوطني:

يهدف إلى استرجاع الوثائق المتعلقة بالأوقاف التي تم تهريبها خلال فترة الاستعمار الفرنسي.

9-8- التعاون مع وزارات أخرى: مثل وزارة الفلاحة لاستعادة الأراضي الزراعية الوقفية، ووزارة الثقافة للحفاظ على المعالم التاريخية المتعلقة بالوقف.

10-8- تحديث سجلات الأوقاف: يهدف إلى إعادة توثيق الممتلكات الوقفية وحمايتها بشكل قانوني.

11-8- تشجيع الوقف وتنميته إدماج الوقف في التنمية الاقتصادية: عبر الاستثمار في العقارات والأسواق والمشاريع الزراعية.

12-8- إطلاق مشاريع وقفية جديدة: مثل مشروع المركب الوقفي في بوفاريك، ومشروع المؤسسة الوقفية للنقل.

13-8- استراتيجية إعلامية لرفع الوعي: من خلال وزارة الشؤون الدينية، لتشجيع المواطنين على إحياء ثقافة الوقف.

9- أمثلة وتطبيقات حديثة للوقف في الجزائر هناك العديد من الأوقاف التي اُحصيت حتى منذ الاستقلال الى غاية 1998، وتتمثل في: السكنات 1971 مسكن، المكتبات 01، المحلات التجارية 787، الاسواق 01، المرشات (حمامات الوضوء) 269، المدارس 02، الحمامات 26، المستودعات 18، النوادي 11، المخازن 08، النخيل المستأجرة 7850، أشجار مستثمرة 1630.

1-9- مشروع المركب الوقفي في بوفاريك: يُعتبر مثلاً للاستثمار الوقفي الحديث، حيث يجمع بين الخدمات التجارية والاجتماعية.

2-9- مشروع المؤسسة الوقفية للنقل: يهدف إلى توفير وسائل نقل مدعومة من الأوقاف للمواطنين بأسعار مناسبة. كما تستثمر الجزائر حاليًا في الأراضي الزراعية الوقفية لتدعيم الأمن الغذائي الوطني. وهناك توجه جديد لاستغلال المباني الوقفية في ترميم المعالم التاريخية، حيث يتم تحويل بعض العقارات الوقفية إلى متاحف ومراكز ثقافية للحفاظ على التراث.<sup>1</sup>

لقد اتخذت الجزائر بعد الاستقلال خطوات هامة للحفاظ على الوقف من خلال إصلاحات قانونية، إنشاء مؤسسات متخصصة، واسترجاع الأوقاف المفقودة، بالإضافة إلى تطوير استثمار الأوقاف في مشاريع اقتصادية واجتماعية حديثة. ومع ذلك، لا تزال هناك تحديات تتطلب المزيد من الجهود لتحديث نظام الوقف وضمان استدامته كمصدر للتنمية.

## 10- تأثير الوقف على العمارة والعمران الجزائريين:

10-11 المساعدة في الحفاظ على الموروث المعماري: بحيث لم يكن يسمح بالحيازة عليه أو التصرف فيه أي الاستحواذ عليه من أي جهة كانت ذات سلطة أو غيرها مما ساهم في إبقاء العمارات والاحتفاظ بها.

10-2- اتساع عمران المدينة: إن الوقف يمثل في المدينة حقيقة حضرية غير مستقرة تعكس الديناميكيات الاجتماعية وتحدد التخطيط الحضري،

---

<sup>1</sup> د. فارس مسدور، كمال منصوري، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف: التاريخ والحاضر والمستقبل.

وخاصة في المدن العثمانية التي شهدت قرارات إعادة تطوير حضرية جذرية.<sup>1</sup> فقد شهدت مدينة الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر توسعًا عمرانيًا داخل أسوارها. في البداية، تم استغلال الفراغات داخل النسيج الحضري، سواء كانت أراضٍ خالية أو مناطق مهدمة، بالإضافة إلى إعادة استخدام البنايات القديمة، إما بتوسيعها أو هدمها وإعادة بنائها. برز هذا التوسع من خلال إنشاء المنشآت الدينية، مثل المساجد، التي اختيرت مواقعها بعناية. غالبًا ما كانت المساجد تُبنى في المنطقة السفلى من المدينة "اللوطن"، بجانب الأبواب الرئيسية، أو في وسط المدينة (المركز). وارتبطت المساجد كمبانٍ وقفية بعدد من المباني الوقفية الأخرى التي كانت تشكل نواة عمرانية اقتصادية، مثل الحوانيت والفنادق. يمكن تصنيف المنشآت الوقفية إلى نوعين: المنشآت الخيرية، التي تحتاج إلى دخل دائم لتغطية نفقات خدماتها مثل الجوامع والمدارس، والمنشآت المساعدة، التي تولد الدخل اللازم لدعم المنشآت الخيرية، مثل الخانات والقيصاريات والدكاكين والمقاهي والحمامات.

سعت مؤسسات الوقف إلى تحقيق توازن بين النوعين لضمان استمرارية عمل الوقف. أي اختلال في هذا التوازن كان يؤدي إلى تراجع دور الوقف، مما قد ينتهي به إلى الخراب. هذا التوازن لم يقتصر على تغطية نفقات الخدمات المجانية التي تقدمها المنشآت العمرانية، بل شمل

---

<sup>1</sup> Le waqf en Algérie à l'époque Ottomane, Nacereddine Saidouni 2014 ; p24

أيضًا نفقات الترميم والصيانة.<sup>1</sup> وبهذا الشكل، أصبح الوقف عنصرًا أساسيًا في تطوير العمران والنمو الحضري. من الأمثلة على ذلك المنشآت العمرانية التي أنشأها باشوات الجزائر، خاصةً الدينية والدفاعية، بالإضافة إلى المرافق العامة مثل القنوات والعيون. وفي هذه الدراسة، سيتم التركيز على نموذج لبعض المساجد، حيث لعبت مؤسسة الوقف دورًا بارزًا في نمو المدينة وتوسعها من خلال بناء المساجد والزوايا والمدارس والعيون وغيرها من المنشآت.<sup>2</sup>

10-3-المساهمة في العدالة والتوزيع الخدماتي لجميع فئات المجتمع أصبح الوقف محددًا للحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر في ظل غياب التنمية من الحكام، وعجز الإدارة الحكومية عن تلبية جميع متطلبات وخدمات المجتمع باختلاف أوضاعهم وأعرافهم<sup>3</sup>، فوفر الوقف الخدمات والمرافق التي أسست لإنشاء المدن في شتى أنحاءها.

---

<sup>1</sup> محمد موفق الأرنؤوط، «دور الوقف في نشوء وتطور المدن خلال العصر العثماني نموذجان للمقارنة من بلاد البلقان وبلاد الشام»، في أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات العثمانية حول: المدن العربية والديمقراطية التاريخية والبحر الأحمر خلال العهد العثماني، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات زغوان، تونس، سبتمبر، 1994، ص 47.

<sup>2</sup> وافية، نفطي، فتيحة، شلوق، دور وثائق الأوقاف في دراسة عمران المدن والتنظيم الحضري: مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أنموذجًا. المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 08 العدد 02 (عدد خاص) - نوفمبر 2022

<sup>3</sup> Le waqf en Algérie à l'époque Ottomane, Nacereddine Saidouni 2014 ; p09

10-4-التضامن الاجتماعي: من خلال العناية بالفقراء من خلال تقديم عوائد الأوقاف المالية لهم، وتعليمهم، وتشغيلهم، كالأوقاف الاندلسية السابق ذكرها وغيرها.

10-5- توفير المرافق العامة وتسييرها: ساهمت الأوقاف في تمويل المرافق العامة مثل العيون (الينابيع) والسواقي والطرق، المساجد، المكتبات، الزوايا.... الخ، مما ساهم في تحسين البنية التحتية للمدينة. كما تم تخصيص أوقاف لتنظيف الشوارع وتصريف المياه، مما أدى إلى تحسين الظروف الصحية في المدينة. ومثال ذلك: أوقاف جامع حسين باشا ميزومورتو (1684-1689م) والتي نذكر منها:

مسجد حسين باشا ميزومورتو (1684-1689م) الذي يقع في باب عزون بجانب رحبة الزرع. تشير الوثائق إلى أن حسين باشا هو من قام بتشييد هذا المسجد عام 1097هـ/1685-1686م. وقد أوقف عليه مجموعة من العقارات التي كانت في معظمها قريبة أو مجاورة للمسجد، وبعضها كان تابعا له أو جزءا منه. تم بناء المسجد فوق مجموعة من الحوانيت وفرن، ووفقا لما ذكره دوفو، كان المسجد يتصل بشارع شارتر عبر عقد جميل (ساباط) يأخذ شكل جسر.<sup>1</sup> وهو ما يوضح أيضا كيفية تأثيره على تغيير المنظر العمراني والمعماري، حيث يمكنه تشكيل القناطير، أو الساباط فوق الشوارع كتوسع، كما يمكنه أيضا إعادة بعث مبنى ما وإعادة احياءه عن

---

<sup>1</sup> مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010، ص 88.

طريق المقايضة، او عن طريق العناء، وهو ما يسمح باستدامة المباني وصيانتها والمحافظة عليها.

10-6- توفير مناصب شغل للقائمين على الأوقاف، والمساهمة في الحد من البطالة.

10-7- صيانة البنية التحتية من خلال عوائده كالطرق، الابار، العيون، السواقي، الجسور، الحصون... كانت الأوقاف توفر التمويل اللازم لبناء وصيانة المنشآت الدينية والمدنية. على سبيل المثال، تم تمويل بناء مساجد الباشوات من خلال أوقاف عقارية تشمل الحوانيت والفنادق والعقارات الأخرى التي كانت تدر دخلاً لصيانة هذه المنشآت. كما تم تخصيص أوقاف لتغطية نفقات الصيانة والإصلاحات، مما ساهم في الحفاظ على هذه المنشآت لفترات طويلة. فقد كان لأوقاف في العيون دور كبير في خدمة العيون والمجري والسواقي وقنوات المياه وتصريفاتها بالإضافة الى مصلحة الطرقات التي كانت تحت قائد الشوارع ومصلحة النظافة التي كانت تحت قائد الزبل.<sup>1</sup> وتداخلت عدة مصالح مع عدة اوقاف، كأوقاف العيون ومصلحة الشوارع ومصلحة تصريف المياه وذلك الارتباط الراجع الى صيانة المجري والتصريف إذا ما حدث هناك انسداد او سقوط امطار غزيرة، مما

---

<sup>1</sup> وافية، نفطي، فتيحة، شلوق، دور وثائق الأوقاف في دراسة عمران المدن والتنظيم الحضري: مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أنموذجا. المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، المجلد 08 العدد 02 (عدد خاص) - نوفمبر- 2022



قد يؤدي الى اكوام اتربة قد تسد الطرقات او تحفرها، لذا ارتبطت ايضا ارتباطا وثيقا بالمحافظة عليها.<sup>1</sup>

8-10- المساعدة في الحفاظ على العقارات من الناحية الإدارية، من خلال تسجيله في سجلات العقارية وغيرها:

ففي ظل غياب أو ندرة الأرشيفات الرسمية في العديد من الدول العربية والإسلامية، أصبحت وثائق الوقف المصدر الأساسي والمرجع الأساسي لمعرفة الحياة اليومية، وخاصة قضايا ملكية الأراضي واستغلالها، وديناميكيات المجتمعات المحلية، وحالة الخدمات الاجتماعية والتعليمية والثقافية.<sup>2</sup> اذ تتضمن وثيقة الوقف معلومات كافية عن العقار المسجل: تكوينه، إدارته، الانتفاع به، الحفاظ عليه، الإجراءات المتبعة والتعديلات التي تطرأ على هذا الوقف من حيث النقل والتبادل (المعاوضة أو الاستبدال)، وذلك لضمان استدامته واستمراره كما تقتضيه طبيعة الوقف نفسه.<sup>3</sup> فوثائق الوقف الموجودة بالمحاكم الشرعية مثلا نقلت أسماء الأسواق وتحدد بعض مواقع البنايات أو العقارات، كما ورد عن موقع القهوة الصغيرة: "الحمد لله لما تقرر الاشتراك بين المرحوم السيد مصطفى بن حسن السباسبي وصهره محمد في جميع الربع الواحد من

<sup>1</sup> مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1420هـ/، 1999 ص 146.

<sup>2</sup> Le waqf en Algérie à l'époque Ottomane, Nacereddine Saidouni 2014 ; p10

<sup>3</sup> نفس المصدر السابق، ص 11.

جميع القهوة الصغيرة الملاصقة بحانوت الكاهية بسوق الترك".<sup>1</sup> كما حملت الوثائق أسماء ومواقع الزنق، مثل زنقة الحليب، "تملك جميع الدار الكاينة بالحلفاوين قرب سويقت عمور داخل الجزائر بسكة هناك غير نافذة تعرف بزنقة الحليب".<sup>2</sup> وتبين مواقع العقارات المحبسة مثلما جاء برسم حبس مشترك بين زوجين: "لدار بحومة تيرغوتين بسكة غير نافذة المجاورة لدار الحاج محمد بن علي خوجة مسامه لدار بن الاحرش أواسط شعبان (36) 1107هـ/1695م".<sup>3</sup>

10-9- كما أن وثائق الوقف تحدد طبيعة العقار المحبس وما عرفه من تغيرات والحالة التي كان عليها ووضعيته في تاريخ التحبيس مثلما جاء في المثال التالي: "بعد أن استقر على ملك المعظم ابراهيم خوجة ابن محمود جميع البناء الفوقاني المشتمل على غرفتين اثنتين الصايرة الآن علوي قرب المحكمة المالكية".<sup>4</sup>

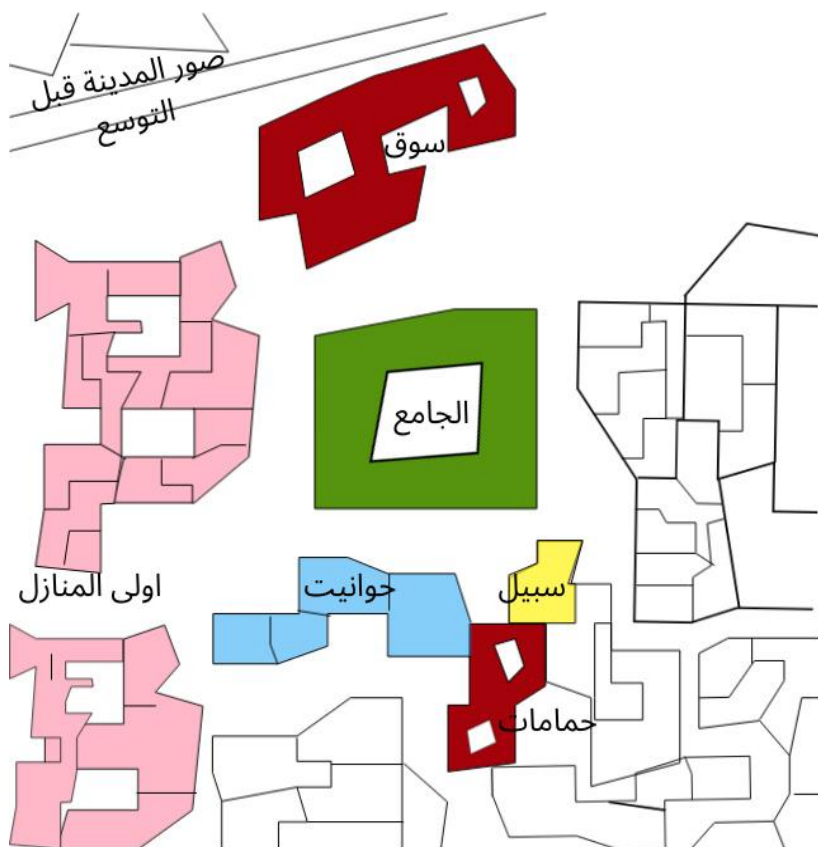
---

<sup>1</sup> الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 16/2 وثيقة رقم (244)34.

<sup>2</sup> الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 62، وثيقة رقم 1.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، وثيقة رقم 16.

<sup>4</sup> المصدر السابق، علبة 124، وثيقة رقم 17.



صورة توضح كيفية تأثير الوقف  
على توسع المدينة، وتحديد شكلها  
ومرافقها، حيث تبتدأ من الجامع الى  
لمرافق المحيطة به، ثم المنازل

## 11- المقارنة بين دور الوقف في الماضي وإمكاناته المستقبلية في الجزائر

11-1- دور الوقف في الماضي في المجال الاجتماعي: كان الوقف في العهد العثماني والاستعمار الفرنسي يُستخدم بشكل رئيسي لدعم المساجد والمدارس والمستشفيات، مما ساهم في تعزيز التكافل الاجتماعي. أما في الحاضر فهو شبه غائب في المجال الاجتماعي.

11-2- في الجانب الاقتصادي: امتلكت الأوقاف أصولاً اقتصادية كبيرة مثل الأسواق والأراضي الزراعية والفنادق، وهو ما ساهم في دعم النشاط الاقتصادي بشكل فعال، عكس الحاضر

11-3- في التخطيط الحضري: لعب الوقف دوراً رئيسياً في تنظيم المدن الجزائرية، حيث كانت المؤسسات الوقفية تساهم في إنشاء مراكز حضرية متكاملة تضم المساجد والمدارس والأسواق، وهو ما لا يحدث الآن، إذ لا تأثير له على المدينة.

11-4- إمكانات الوقف المستقبلية في الجزائر كمصدر تمويل مستدام: يمكن استثمار الأوقاف في تمويل مشاريع تنمية جديدة بدلاً من الاعتماد على الميزانية العامة للدولة.

11-5- دوره في الاقتصاد الحديث: من الممكن دمج الأوقاف في المشاريع الاستثمارية مثل المجمعات التجارية والمراكز التعليمية والمستشفيات الوقفية.

11-6- التخطيط العمراني الذكي: يمكن إدماج الوقف في التخطيط الحضري الحديث، من خلال استغلال العقارات الوقفية لإنشاء مدن مستدامة تأخذ بعين الاعتبار الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية.

## الخاتمة

من خلال يظهر بوضوح أن الوقف لعب دورًا أساسيًا في تشكيل البنية العمرانية للمدن الجزائرية عبر العصور، حيث لم يكن مجرد مؤسسة خيرية، بل كان عنصرًا مهمًا في التخطيط الحضري والتنمية الاقتصادية والاجتماعية. فقد ساهم في تمويل بناء المساجد والمدارس والمرافق العامة، كما كان له دور بارز في الحفاظ على التراث المعماري وتنظيم الاستخدام العمراني. ومع محاولات الاستعمار الفرنسي لإزالة الهوية الوقفية، شهد تأثيرها على النسيج الحضري والاجتماعي والاقتصادي تراجعًا كبيرًا، مما يستدعي اليوم إعادة تقييم دورها واستثمارها بشكل حديث يعزز التنمية المستدامة. لذلك، فإن تطوير سياسات إدارية وتشريعية فعالة، وإدماج التكنولوجيا في إدارة الأوقاف، يمكن أن يساهم في إحياء هذا النظام وزيادة تأثيره في المجتمع الجزائري المعاصر.

## التوصيات:

- 1- تعزيز الشفافية وتحسين الإدارة عن طريق إنشاء نظام رقمي لتوثيق كافة الأملاك الوقفية وتحديث سجلاتها بشكل دوري وفرض رقابة أكثر صرامة على إدارة الأوقاف لمنع سوء الإدارة وضمان توجيه العائدات الوقفية نحو خدمة المجتمع وذلك لإعادة كسب ثقة المجتمع في ان الأوقاف ستؤدي الغرض منها.
- 2- إعادة تفعيل الأوقاف المهملة إطلاق مشاريع استثمارية لاستغلال العقارات الوقفية غير المستخدمة، مثل تحويلها إلى فنادق، مراكز تجارية، أو مؤسسات تعليمية.
- 3- تشجيع القطاع الخاص على المشاركة في تطوير الأوقاف من خلال الشراكات بين القطاعين العام والخاص
- 4- دمج الوقف في استراتيجيات التخطيط العمراني الحديث من خلال تخصيص مساحات وقفية في المدن الجديدة لإنشاء مشاريع تنموية مستدامة مثل الأسواق الوقفية والمناطق الخضراء، او المرافق العامة التي تحتاجها الاحياء.
- 5- استغلال الأوقاف في تطوير شبكات النقل الحضري عبر مشاريع وقفية لوسائل النقل الجماعي.
- 6- تحفيز المشاريع الوقفية من خلال تقديم حوافز ضريبية للمستثمرين المهتمين بإحياء الأوقاف.
- 7- إنشاء منصة إلكترونية مخصصة للأوقاف لتسهيل عملية تسجيلها وإدارتها بشكل شفاف.

## القائمة الببليوغرافية المعتمدة

- الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 16/2 وثيقة رقم 34(244).
- الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 62 وثيقة رقم 1.
- الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 62 وثيقة رقم 16.
- الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 105-106، وثيقة 47.
- الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 124 وثيقة رقم 17.
- د. رابح، أهمية الرصيد العثماني في كتابة تاريخ الجزائر الحديث المحاكم الشرعية أنموذجا، جامعة الجزائر 2، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة.
- د. سمير جاب الله، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الوقف الإسلامي وتاريخه في الجزائر.
- د. فارس مسدور، كمال منصوري، التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف: التاريخ والحاضر والمستقبل.
- عبد الهادي لهزيل، آليات حماية الأملاك الوقفية في التشريع الجزائري، مذكرة ماجستير، تخصص الأحوال الشخصية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الوادي، 2014-2015.
- عبد الكريم بو حميدة، نشأة وتطور نظام إدارة الوقف في الجزائر أثناء الحكم العثماني، جوان 2018، جامعة غرداية.
- عقيل نمير، أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، مجلة دراسات إنسانية، جامعة الجزائر، ماي 2001.
- صالح محمد، دور الوقف في الحركة الثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، م 03، ع 02، سبتمبر 2020.
- مبررات الاهتمام بالأملاك الوقفية في الجزائر من الاحتلال إلى الاستقلال، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- محمد الرءوف قاسمي الحسني، التطور التاريخي والتشريعي لنظام الوقف: نموذج الاقتصاد التضامني.
- محمد موفق الأرنؤوط، «دور الوقف في نشوء وتطور المدن خلال العصر العثماني: نموذجان للمقارنة من بلاد البلقان وبلاد الشام»، في أعمال المؤتمر العالمي الخامس

للدراستات العثمانية حول: المدن العربية والديمغرافيا التاريخية والبحر الأحمر خلال العهد العثماني، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريكسية والتوثيق والمعلومات زغوان، تونس، سبتمبر 1994.

- مخنت الثوم، أطروحة الدكتوراه بعنوان دور الحوكمة في تطوير إدارة الأوقاف: حالة الجزائر، 2020.

- مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام: نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1420هـ/ 1999.

- مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010.

- نادية براهيم المولودة أركام، الوقف وعلاقته بنظام الأموال في القانون الجزائري، بحث ماجستير في العقود والمسؤولية، معهد الحقوق والعلوم الإدارية، بن عكنون (الجزائر).

- وافية نفطي، فتحة شلوق، دور وثائق الأوقاف في دراسة عمران المدن والتنظيم الحضري: مدينة الجزائر خلال العهد العثماني أنموذجًا، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 08، العدد 02 (عدد خاص)، نوفمبر 2022.

- الوقف في الجزائر: الواقع ومتطلبات تفعيل دوره التنموي، مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية، رقم المجلد 11، العدد 1.

<https://marw.dz/index.php>/مقالات-ودراسات/الأوقاف-في-الجزائر-بعد-الاستقلال.

Nassereddine Saidouni, Le waqf en Algérie à l'époque Ottomane, 2014.



# الوقف ومسألة التنظيم العمراني للجزائر في الفترة العثمانية

## (مدينة الجزائر نموذجاً)

د صليحة بوزيد

المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة

### مقدمة:

عدّ الوقف من أهم المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي أسهمت في تنظيم الحياة الحضرية في المدن الإسلامية. وقد لعب دوراً محورياً في تشكيل النسيج العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، حيث ارتبط الوقف بتوفير الخدمات العامة وتنظيم الفضاءات العمرانية، بما يعكس رؤية حضرية متكاملة تجمع بين البعد الديني والاجتماعي والاقتصادي، حيث شكّل نظام الوقف العمود الفقري للتنمية الحضرية في الجزائر خلال الفترة العثمانية (1519-1830م)، تحول من مجرد عمل خيري إلى آلية إدارية واقتصادية منظمة للبناء والصيانة.

تهدف هذه الدراسة إلى كشف كيفية تحول الوقف إلى نظام حضري متقدم، يجمع بين الدين والإدارة ليخلق مدينة مترابطة ومزدهرة.

تنطلق إشكالية هذه الدراسة من التساؤل حول طبيعة العلاقة بين نظام الوقف والتنظيم العمراني في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، ومدى إسهام الأملاك والمنشآت الوقفية في توجيه النمو العمراني وضبط استعمال المجال الحضري. كما تسعى الدراسة إلى إبراز دور الوقف في

تحقيق التوازن بين الوظائف الدينية والاجتماعية والاقتصادية داخل المدينة.

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تتبع تطور نظام الوقف في الجزائر العثمانية، وتحليل أثره في تشكيل البنية العمرانية لمدينة الجزائر. كما تم توظيف المنهج الوصفي لدراسة خصائص النسيج العمراني.

تفرض الظاهرة العمرانية مكانتها في التفكير الإنساني الآن أكثر من ذي قبل، نظرا للتغيرات التي طرأت على المدن الحديثة والتحولات العميقة التي نعيشها وذلك من جراء التقدم التي وصل اليه العالم.

إن ظهور الوثائق الأرشيفية<sup>1</sup> القديمة مرتبط أشد الارتباط بمعرفة الإنسان للكتابة وأدواتها، ففي مصر القديمة نجد أن كتاب الموتى هو أقدم المدونات البردية، ويرى بعض العلماء أن هذا الكتاب وغيره من البرديات يتحتم علينا اعتباره بدايات للوثائق الأرشيفية.

---

<sup>1</sup> اشتقت كلمة أرشيف من الإغريقية أرخيون ARCHEION كانت تطلق في الأصل على سجلات الحكومة ووثائقها أي الأرشيف العمومي واستعمال كلمة أرشيف باعتبارها من الكلمات الحديثة شأنها في ذلك المئات من الألفاظ التي فرضتها الحضارة المعاصرة. فأخذت طريقها إلى اللغة العربية مثل الفلسفة والجغرافيا والتلفزيون وغيرها. والأرشيف هو المكان الذي تحفظ فيه الوثائق العامة أو غيرها من الوثائق التاريخية الهامة.

وعليه فتطور الكتابة وحياة الإنسان دفعه لتدوين سير حياته لجمع شتات الماضي ليكون صورة للمجتمع الذي عاش فيه، فجمع رصيذاً معتبراً عن حياته الاجتماعية والاقتصادية والفكرية وحتى اليومية منها.<sup>1</sup>

يتعلق الأمر في هذه المداخلة لرصد عينة أرشيفية تخص وثائق المحاكم الشرعية في الفترة العثمانية والمحفوظة بمركز الأرشيف الوطني<sup>2</sup> - بئر خادم- قصد تحليلها واستنطاقها للخروج بجملته من الاستنتاجات والحقائق التاريخية.

من أهم الوثائق المسجلة في الأرشيف الوطني وثائق سلسلة المحاكم الشرعية ذات الأهمية البالغة نظراً لما تحويه من معلومات ذات قيمة معرفية هامة، حيث مكنتنا من استقاء معلومات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية و السياسية للفترة التي تعود إليها، وبالتالي باستطاعتنا اليوم استخدام هذه المعلومات لمقاصد ومطالب تخدم البحث العلمي لأنها تجيب على العديد من الأسئلة المطروحة اليوم، خاصةً أنها تغطي فترة زمنية معتبرة تمتد من النصف الأول من القرن السادس عشر إلى النصف الثاني

---

<sup>1</sup> خليل الساحلي، «سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي» ـ المجلة التاريخية المغربية، عدد1، تونس، جانفي 1974 . ص 27.

<sup>2</sup> لقد عرف القانون 09/88 المؤرخ في 7 جمادى الثانية عام 1408هـ الموافق في 26 يناير سنة 1988م يتعلق بالأرشيف الوطني في المادة2 أن الوثائق الأرشيفية بمقتضى القانون هي عبارة عن وثائق تتضمن أخباراً مهماً يكن تاريخها أو شكلها أو سندها المادي، أنتجها أو سلمها شخص طبيعياً كان أو معنوياً أو أي مصلحة أو هيئة عمومية كانت أو خاصة أثناء ممارسة نشاطها. أنظر: الجريدة الرسمية، العدد 4، القانون 09/88 المؤرخ في 7 جمادى الثانية عام 1408هـ الموافق في 26 يناير سنة 1988، ص 139.

من القرن التاسع عشر منها ما يعود إلى 1001هـ-1592م و بعضها ينتهي 1272هـ-1856م.

لقد كانت هذه المعلومات تسجل كوثيقة إدارية من طرف القاضي الذي كان يقوم بمهام مختلفة، منها قاضي الأحوال الشخصية و الجنايات بالإضافة إلى كون محكمته بمثابة ديوان للمظالم، و لهذا تنوعت طبيعة الوثائق المدونة في السجلات، فإضافة إلى التنوع الكبير للقضايا المطروحة كي يفصل فيها، (معاملات عقارية -إيجارات-إقرارات بالدين-دعاوى-أوقاف-تعيينات في وظائف رسمية-مهور ونفقات-مخلفات ومحاسبات...الخ) و بتعبير آخر فإن جميع خيوط المجتمع المدني كانت مرتبطة بيده <sup>1</sup>، تدون في هذه السجلات نسخ من أنواع مختلفة من الوثائق <sup>2</sup>. حيث جعل العثمانيون منها أساس كل معاملاتهم الإدارية فحددوا أنواعها ومواصفاتها الشكلية الخاصة بكل منها، فنجد بذلك مادة غزيرة تتعلق بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية من عقود الزواج والطلاق والنفقة والبيع والشراء.

يحتفظ الأرشيف الوطني الجزائري من تلك الوثائق والتي هي بمثابة تراث وطني لا يقدر بثمن ومصدر تاريخي لا يمكن الاستغناء عنه من طرف

---

<sup>1</sup> خالد زيادة ، « السلطة المدنية من خلال وثائق المحكمة الشرعية »، المجلة التاريخية المغربية، أعمال المؤتمر الحياة الاقتصادية للولايات العربية و مصادر وثائقها في العهد العثماني، عدد 39-40، 1985، ص 510.

<sup>2</sup> بريجيت مارينو-توموكي أوكاوارا، دليل سجلات المحاكم الشرعية العثمانية، المعهد الفرنسي لدراسات العربية بدمشق، مركز الوثائق التاريخية بدمشق، إشراف دعد الحكيم، دمشق، 1999، ص 31.

الباحث، ومن ضمن أهم الوثائق التي تحتل الصدارة في عقود المحاكم الشرعية وثائق الأوقاف<sup>1</sup>. تتوزع المحاكم الشرعية على ثلاث وخمسين ومائة علبة بعضها يحمل ترقيميا مزدوجاً<sup>2</sup>. ويحتوي معظمها على أزيد من مئة وثيقة، بل إن بعضها يضم ضعف ذلك، وهي تخص في معظمها مدينة الجزائر والمناطق المجاورة لها وبعض المدن الأخرى كالبليدة والقليلة وشرشال والمدية وغيرها. وهي وثائق مودعة بخزائن أرشيف الحكومة العامة للجزائر مع القسم الخاص بالسجلات العربية التركية، وقد كان ترتيبها من طرف الموثق «غبريال اسكير» Gabriel Esquer في آخر القائمة فصنفت في حرف زاد.

وكانت المحاكم الشرعية تسجل معلومات بدقة متناهية في جميع التعاملات لدرجة يستطيع الباحث أن يعد خارطة برسم البيوت والحارات والأزقة، بحيث نلاحظ في تلك السجلات ذكر لجيران البيت من الجوانب الأربعة فعلى سبيل المثال للحصر تحبیس أحمد بن المرحوم المبارك مفتي

---

<sup>1</sup> شهاب الدين يلس الوثائق الوطنية-الفهرس التحليلي للوثائق الجزائرية للرصيد العثماني، الجزائر، 1987 ص ص 1-3.

<sup>2</sup> الوقف والتحبیس والتسبیل بمعنى واحد، وهو لغة: الحبس عن التصرف، وعرفه الفقهاء بأنه إعطاء عين لمن يستوفي منافعها والانتفاع بها أو الانتفاع فقط على وجه التأبید أو على وجه التوقيت. أنظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مجلد الثالث، دار الفكر، بيروت، 1983، ص 205.

المالكية جميع الدار الكاينة بحومة كوشة علي سند الجبل المجاورة من بعض جهاتها الدار شيخ البلد و من أخرى لدار الخوجة بالابتياح الصحيح.<sup>1</sup>

بالإضافة إلى سجلات المحاكم الشرعية توجد مجموعتان هامتان وهما سجلات بيت المال و دفاتر «البايك»<sup>2</sup> و التي تحوي هي الأخرى معلومات قيمة حول الوقف و عليه يستطيع الباحث اليوم أن يقف على هذه السجلات الذي قدر عدده ب 13583 وثيقة وقف، أما اللغة المتداولة في سجلات المحاكم الشرعية هي اللغة العربية محفوظة في بطاقات خاصة تدعى الميكروفيش Microfiche (المصغرات الفيلمية).

ونستنتج مما ذكر أن المجموعة الأولى وهي الوثائق الشرعية ذات أهمية بالغة لأنها تعكس لنا الطابع الاجتماعي والنشاط الاقتصادي والتطور التاريخي للأمة الجزائرية وبخاصة في القرن الثامن عشر.<sup>3</sup> وهي مادة ما تزال خام لكونها لم تحظ بالاهتمام إلا في السنوات الأخيرة.

---

<sup>1</sup> عائشة غطاس، «سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع مدينة الجزائر العهد العثماني»، مجلة إنسانيات، عدد 3 شتاء 1997، ص 70.

<sup>2</sup> سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 3، رقم 41.

<sup>3</sup> تحتوي سجلات بيت المال على 11 علبة و 64 سجلا تخص القرن الثامن عشر و النصف الأول من القرن التاسع عشر و تتناول مواضيع متعلقة بالتركات و الوفيات و عائدات الأوقاف و نفقات الفقراء و الغرباء و المفقودين.

أما دفاتر البايك تحوي على 386 سجلا موزعة على 36 علبة تغطي الفترة من منتصف القرن السابع عشر ميلادي إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ميلادي وتتعلق في مجملها بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والإدارية. أنظر:

## - أهمية عقود الأوقاف

تحتل عقود الوقف أو التحبيس<sup>1</sup> الصدارة من حيث عدد الوثائق في المحاكم الشرعية ثم تليها عقود الملكية والبيع والشراء وعقود النزاعات والخصومات وعقود الزواج والطلاق والهبة وغيرها.

تفيدنا وثائق الوقف في استخراج العديد من المعطيات في جميع الجوانب الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية والعسكرية نذكر منها مايلي:

### - ذكر الشرائح الاجتماعية الواقفة:

والواقف هو صاحب المال أو مالك العقار المراد إيقافه، بعد أن تتوفر فيه شروط عقد الوقف من أهلية التبرع والبلوغ والعقل وحرية التصرف، ويلزم بعبارات صريحة فيكون مؤاخذاً بها ويطلب بمقتضى هذا الالتزام أن ينشئ مع عقد الوقف الذي يكتسب بها حقوقاً يطلب بها بناء على هذا

---

ناصر الدين سعيدوني «وثائق الأوقاف بالأرشيف الجزائري وإمكانية استغلالها في التاريخ الاجتماعي للجزائر»، المجلة التاريخية المغربية، عدد 93/94، ص ص 257-258.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية وأبحاث في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000، ص 74.

التعاقد، وقد تضمنت هذه الوثائق صيغة التعريف بالواقف وأهليته لأداء التصرف بعبارة «أشهد على نفسه».<sup>1</sup>

وبهذا نستطيع التعرف من خلال هذه العقود على الشرائح الاجتماعية المختلفة التي قامت بتحبيس أملاكها من حكام و جيش و غيرهم، إذ نقرأ في أحد العقود على سبيل المثال تحبيس علي باشا<sup>2</sup> جميع اللجنة الكائنة بتلاوملي بتاريخ 1172هـ<sup>3</sup>. ومن هنا يتضح لنا المكانة الاجتماعية للواقف ونستطيع معرفة أن الواقف كان ينتمي إلى الفئة الحاكمة «الباشا» أي داي الجزائر وأيضاً تحبيس محمد الحصار جميع اللجنة الكائنة باجنان «بابالوادي» بتاريخ 1142هـ. والملاحظ أن صاحب العقد أن الواقف ينتمي إلى جماعة حرفية مهنتها صناعة الحصير.

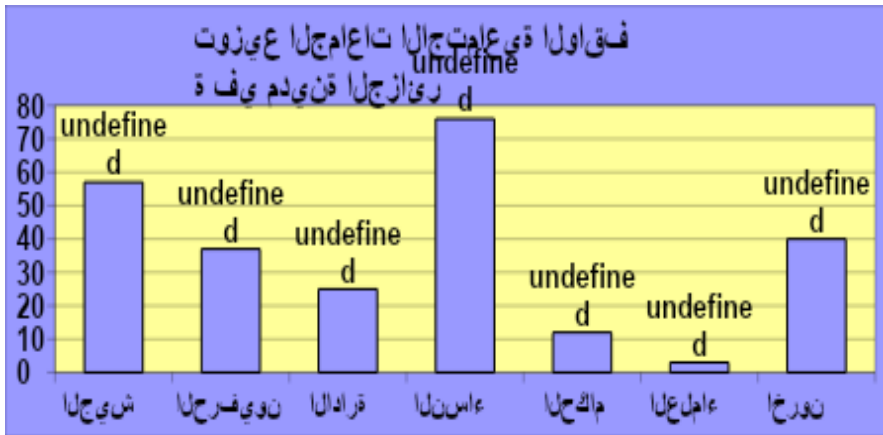
---

<sup>1</sup> محمود عباس محمد، وثيقة، إنشاء وقف من العصر العثماني الصادرة من محكمة الباب العالي 12 شوال 1204هـ بدار الوثائق القومية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984م، ص 9.

<sup>2</sup> فضيلة تكور، «رصيد الفترة العثمانية من وثائق الأوقاف بالأرشيف الوطني»، مجلة دراسات إنسانية، أعمال الندوة 30/29 ماي 2001، ص 73-74.

<sup>3</sup> علي باشا: يدعى بعلي باشا نقسيس حكم بين الفترة الممتدة {1754-1766} من أهم أعماله محاولة إخضاع تونس، وفي عهده وقعت بمدينة الجزائر زلازل متوالية عام 1755م دامت شهرين، كما أعاد احتلال تلمسان عنوةً و اعدم القائد رجم البجاوي الذي ثار فيها و حكمها. أنظر كتاب أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 51.





- ذكر طبيعة العقار: تكتسي عقود الأوقاف أهمية كبيرة في الكشف عن جوانب هامة وفي ميادين مختلفة إذ تسمح لنا هذه العقود بالتعرف على الملكية العقارية وكيفية انتقال الملكية في الأسرة الواحدة، فقد تعددت الملكيات الموقوفة من أراضي ودكاكين وبيوت وغيرها من جهة، كما تمدنا بمعلومات عن الأسواق التجارية والحمامات والمخابز ودور الانكشارية والفنادق والأفران والمقاهي في مدينة الجزائر من جهة أخرى.

وغالباً ما يذكر مصدر ملك ذلك من بيع أو شراء أو إرث فعلى سبيل المثال تحبیس محمد الانشجاري ابن حسين جميع العلوي الكاين بحومة بیر الجباح سند الجبل بالابتیاع الصحيح<sup>1</sup>. ويقصد بذلك أن المالك تحصل على العلوي عن طريق عملية الشراء.

<sup>1</sup> . سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 2/48، بدون رقم

-معرفة مكان تركز العقار: كما تساعدنا هذه العقود على معرفة كثافة الأحياء السكنية و معرفة تواجد العقارات، خاصة أن مدينة الجزائر تحتوي على أبواب و أسواق و حارات عديدة في ظل انعدام الخرائط المفصلة التي تخص مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، إذ أصبحت هذه الأبواب و الأسواق بمثابة الوسيلة المادية التي تعطي لنا صورة واضحة على مدينة الجزائر و نسيجها العمراني و نشاطها الاقتصادي و الاجتماعي، و قد أعطت لنا عدة وثائق و قفية صورة جغرافية حية على أهم الأسواق مثل: سوق السمّن، سوق الشبارلية و الطرقات و الأزقة مثل: حومة الخضارين – كوشة علي – زنقت المليس- القصبة...، إنا هذه المعلومات تساعدنا اليوم على وضع رسم تقريبي لطبوغرافية المدينة، خاصة و أننا لا نملك طبوغرافية صحيحة يمكن الاعتماد عليها لمدينة الجزائر خلال الحقبة الحديثة.

#### -معرفة الأحياء السكنية في وثائق الوقف:

يمكن اعتبار الأحياء السكنية الصورة النموذجية السكانية للمدينة، فقد كانت تعتبر في الغالب نموذجا للنظام الطائفي السائد وهذا ما أشار إليه أندري ريمون في دراسته للمدن العربية الكبرى واعتبارها إدارة مصغرة تتم بواسطة أعيان الطوائف الذين يدعون بالشيوخ وهم يمارسون دور الوساطة بين السكان والسلطة المركزية<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> . سلسلة المحاكم الشرعية، العلية 1/42، رقم 44.

لقد أثار العديد من الرحالة والمؤرخين عن أحياء مختلفة في مدينة الجزائر كان أولها حسن الوزان، هايدو Haedo، لوجي دي تاسي De tassy كما تذكرها أيضا الوثائق سوى كانت المحاكم الشرعية أو سجلات بيت المال و البايلك، و التي لها قيمة جوهريّة من المعلومات التي تساعدنا على تركيب صوره و لو أنها غير كاملة إلا أنها تعطينا فكرة عن توزيع الأحياء السكنية في أرجاء المدينة. و يبلغ عدد أحياء في مدينة الجزائر ثلاثة و عشرين حيا أو حومة<sup>1</sup> و لقد صدرنا أغلبها من خلال وثائق التحبّيس نذكر منها:

سباياك الربع	قاع الصور	سباط الحوت
حومة الكبابطية	تبير غوتين	كهف النسور
المرستان	كجاوة	البطحا
كوشة علي	حارة السلاوي	زنقت ابن فارس
حومة العزارة	القصبة الجديد و القديمة	عبد الله العليج
حومة القايد موسى	سيدي الاكل	حوانيت سيدي بد الله
حمام المالح	بير الزنق	عين الزنبوجة

<sup>1</sup> . سلسلة المحاكم الشرعية، العلية 32، رقم 1/2.

ننوه أيضا بأن الحارات سميت بأفراد و حمامات و عيون... لأنها كانت  
تكتفي بالإشارة إلى بعض المعالم الموجودة بها فعلى سبيل المثال:

- العيون: عين السماء. عين الأزرق

- الأفران "الكوشة": كوشة إبليس- كوشة المليسر- كوشة علي- كوشة  
وريدة.

- الأضرحة و الزوايا: ضريح سيدي علي الفاسي- سيدي هلال- زاوية أبي  
شعيب.

- السباط<sup>1</sup>: سباط القايد قاسم.

و من الجدير بالذكر أن وثائق الأوقاف قد ساعدتنا في تحديد معالم  
الحي الواحد و هذا بذكر الجهات الأربعة لموقع العقار و هو ما جعلنا نتعرف  
على نطاق الأحياء و حدودها بالتقريب. لكن غياب خريطة مفصلة عن  
الموقع و التوزيع العقاري للملكيات حصر جهدنا في التعرف النظري لموقع  
الأحياء.

كما لاحظنا أن التركيب الاجتماعي للأحياء عادة ما ارتبط لرغبة كل  
طائفة في المجتمع في تشكيل خلية اجتماعية متجانسة ولكن في نفس  
الوقت منعزلة عن باقي الطوائف الأخرى، وقد أكد ريمون Raymand عن  
هذه القاعدة عند دراسته للمدن العربية مثل حالة دمشق- حلب-  
القاهرة- و مدينة الجزائر الشيء الذي لاحظناه في وثائق الوقف حيث لمسنا

---

<sup>1</sup> . سلسلة المحاكم الشرعية : العلية 1/13 رقم 45.

هذه الظاهرة فعل سبيل المثال كانت فئة الجيش تتمركز في أسفل القصبة مثل حومة عقبة الشرشالي وحارة اجنان. أما الفئة الريفية فقد استقرت في حومة بن فارس والفحوص<sup>1</sup> وهكذا. ولقد أدى هذا الانعزال إلى انشطار المدينة إلى وحدات متميزة.<sup>2</sup>

### معرفة المدينة وأسوارها:

لقد نمت مدينة الجزائر خاصة بالتواجد العثماني لحماية المدينة من الاعتداءات والهجوم الخارجي، ومن هنا يعتقد أن المدينة لم يكن لها أسوار منيعة تحميها إلا عند الوجود العثماني الذي عمد إلى تحصين المدينة وتمكنت بذلك من الدفاع عن نفسها ولقد وصف مدينة الجزائر كل من زارها انطلاقاً من حسن وزان في القرن السادس عشر، ونكتفي بوصف هايدو للمدينة حيث قال عنها "شوارع المدينة ضيقة ومنازلها متلاصقة بعضها ببعض، منازلها أقيمت على شكل مدرجات أعطتها منظراً جميلاً"<sup>3</sup>. ومن خلال وثائق الوقف التي تمكنا من وضع تصور للمدينة وأسوارها وصلنا إلى رصد ثلاث مناطق هامة وهي:

---

<sup>1</sup> الفحوص: هي الريف المحيط بالمدينة مباشرة وقد أسندت مواقيتها لموظف يدعى "قائد الفحص"

<sup>2</sup> Raymond : Op-cit, p 133.

<sup>3</sup> تضم مدينة الجزائر عدة أبواب اختلف في عددها فقد ذكر هايدو Haedo أن أبواب مدينة الجزائر كانت تسعة أبواب، بينما يرى مورقان Morgan ودوكاسي وغيرهم بأن عدد أبواب مدينة الجزائر هي خمسة أبواب فقط، يتم فتح هذه الأبواب عند مطلع النهار ويتم إغلاقها عند غروب الشمس وبعض يقول بعد صلاة العشاء.

## 1- منطقة القصبة:

تأتي ترتيب هذه المنطقة في وثائق الوقف في المرتبة الأولى مقارنة بالمناطق الأخرى هذا راجع لموقعها الممتاز باعتبارها مركز المدينة وفيها يوجد المباني الهامة مثل تكنة اوسطا موسى ولهذا فهي أكثر المناطق من حيث الكثافة السكانية و نلمح هذا الشيء في الوثائق حيث ضمت المنطقة فئات من العنصر التركي و فئة الجيش، كما تضم المنطقة مركزا ثقافيا خاص بالجالية الأندلسية وهي زاوية الأندلسيين التي تأسست في 1639م ولهذا قطن المنطقة العديد من الفئة الأندلسية بالإضافة إلى الفئات الحاكمة مثل: مصطفى الشريف القرمانلي البايلك وعائلات غنية و دينية مثل: مصطفى نجل الشيخ البركة سي سليمان ابن راضي.

## سويقة باب الوادي:

تعتبر هذه الأخيرة حيا سكنيا نشيطا من الجانب البشري والتجاري، حيث تأتي في المرتبة الثانية من حيث الكثافة السكانية وكان أبرز فئة سكنت هذا الحي هي فئة الحرفية وربما هو شيء بديهي حيث تعتبر المنطقة منطقة تجارية وجدت فيها حرف متميزة مثل: العطار - الحرير - والخياطة.

## حومة كوشة علي:

تأتي في المرتبة الثالثة من حيث الكثافة السكانية وتبدو أنها كانت حومة عرفت فئة الأغنياء والفئة الدينية فمن أبرز التي قمنا برصدها مفتي المالكية أحمد بن مبارك الفقيه<sup>1</sup> عدد معتبر من فئة الجيش.

## أبواب مدينة الجزائر

تنقسم مناطق مدينة الجزائر حسب موقعها الجغرافي ونشاطها الاقتصادي إلى ثلاثة مناطق رئيسية تسمى "الفحوص وذلك اعتمادا على وثائق الوقف واستنادا إلى الطرق الرئيسية المؤدية إليها أبواب المدينة والتي تضم النواحي التالية:

## فحص باب الوادي:

وهي تضم الأحياء التالية حسب ما هو وارد في الوثائق (عين الحمراء- حمام المالح- اجنان - عيون السخاخرة - بوزريعة - سكة الشهود - سوقة باب الواد - بير الزنق)

يقع فحص باب الوادي في المنطقة الشمالية وكانت منطقة اتصال المدينة مع الجهة الغربية كان يوجد بها مقبرة اليهود والمسيحيين وأين يتم إقصاء هذا العنصر من العناصر عند ارتكابهم لأي جريمة.

---

<sup>1</sup> Mustapha ben Hamouche, « Les quartiers résidentiels et les organisation population à Alger à l'époque ottomane », R.H.M année 23.83/84 juillet – août 1996.p 518.

أما المنطقة الثانية الواقعة في المنطقة الوسطى والتي تعرف بفحص الباب الجديد وضم المناطق التالية: (عين الزنبوجة<sup>1</sup> - بني مسوس - فحص عين القديم - الابار - حيدرة) اشتهرت المنطقة بوجود بها حصن الإمبراطور، كما تميزت عن المناطق الأخرى بأنها كانت تضم كوسومبولية اثنى متنوعة من: أندلسيين - أتراك - يهود - أسرى وحتى عبيد.

أما المنطقة الثالثة الواقعة في الجهة الشرقية والتي تعتبر أهم أبواب مدينة الجزائر وفحصها ونقصدها فحص باب عزون. حيث تمثل هذه الأخيرة مركزا لكل العمليات التجارية، في المدينة وبها تقع أهم أسواق المدينة ونقصدها بذلك السوق الكبيرة التي تذكرها الوثائق والواقعة بين باب عزون وباب الوادي، ويضم الفحص المناطق التالية (عين السلطان - عين عبد الله العليج<sup>2</sup> - بئر مراد رايس - حمام حمزة خوجة - بئر الجباح - خنيس - تلوملي - حومة الخضارين - الجرادين).

والملاحظ أيضا أن هذا الفحص لم يكن فقط مركز للعمليات التجارية فحسب وإنما كان مركزا بشريا نشيطا في كل الأوقات حيث كان يقصده الناس من مختلف مناطق البلاد من البربر وجماعة البرانية التي كانت

---

<sup>1</sup> عين الزنبوجة: يقول الأندلسيون هم من قاموا بإنشائها عند وصولهم المدينة بطريقة جديدة في بناء العيون (olivier sauvage) وهي أكبر عيون مدينة الجزائر

<sup>2</sup> عين عبد الله العليج: وهو الأسير المسيحي إلى دخل الإسلام وعاش في الجزائر.



تقطن في الجهة الغربية لباب عزون في منازل فقيرة حسب ما ذكره أندري ريمون خاصة سيدي الأكل<sup>1</sup>.

بالإضافة إلى أبواب أخرى لم نجد لها أثر في وثائق الوقف ولكن تذكرها الكتب المعاصرة مثل باب الجزيرة الذي يقع في الجنوب ويطل على الميناء حيث كان يسهل عملية الاتصال بين البر والبحر.

### الأسواق:

لقد تميزت الأسواق في المدن الإسلامية بتقاليد عريقة أشاد بها العديد من الرحالة والمؤرخين وكان أولهم حسن الوزان الذي قال: " بان المدينة تملك مساكن جميلة: وأسواق منظمة، حيث يوجد لكل حرفة موضعها الخاص بها".

فعند النظر بالتفصيل في أسواق المدينة نلاحظ تركزا واضحا للحرف الراقية في وسط المدينة أهمها: سوق الصاغة- العطارون وغيرها أما الحرف البسيطة مثل: الخضارين- الحدادين- الدباغين فهي تقع سواء عند البوابات أو خارج الأسوار ولهذا فان اغلب الأسواق في العهد العثماني كانت تقع أسفل المدينة وبشكل خاص في باب عزون وباب الوادي وهذا الجدول لأهم الأسواق التي قمنا برصدها من خلال وثائق الوقف:

سوق	سوق	سوق	سوق	سوق	سوق	سوق	سوق
السراجين	الكبيرة	الخراطين	الحاشية	الفزازين	الشماعين	الكتان	العطارين

<sup>1</sup> سيدي الأكل: سيدي الأكل: نسبة إلى زاوية بنيت في 1669 و في 1751-1750 عوضت بمسجد.

والشيء الملاحظ في أسواق المدينة من خلال عقود الوقف تبدأ عادة بوصف موقع العقار المحبس والذي يرشدنا إلى محل لصناعة معينة وبشكل من الدقة فعلى سبيل المثال تحببس محمد الانجشاري جميع الدار في سوق الكتان وتحببس المكرم محمد الصمار صناعة ابن علي الشريف جميع الدار في حارت السلاوي<sup>1</sup>.

كما تذكر بعض المتخصصة احتكار عدة حرف من طائفة اجتماعية واحدة مثلما هو الحال لبني ميزاب الذين اشتغلوا: جزارين ولحامين كما احتكر اليهود صناعة الصاغة.

### السوقيات :

ذكرت الوثائق كلمة السوقيات وهي تصغير لكلمة السوق في المدينة مثل ما ورد في الوثائق سويقة باب الوادي- سويقة عمور ويبدو من خلال طبيعتها شبيهة بالحوانيت تباع فيها في الغالب الخضر والفواكه واللحم حسب ما ذكره ريمون وقد تستبدل كلمة السويقة أحيانا في العقود باسم "حوانيت" كما هو الحال بالنسبة لحوانيت سيدي عبد الله.

- ذكر الأشخاص المنتفعين: ونستطيع من خلال هذه العقود أيضا معرفة كيفية انتقال الملكية في الأسرة الواحدة، لأن أحكام الوقف الذري خاصة يقر لصاحب الحبس الانتفاع ومن بعده أولاده وأهله حسب ما أورده في العقد.

---

<sup>1</sup> سلسلة المحاكم الشرعية: الوثيقة رقم 70 العلبة 48/1

هذا ما ساعد الأسر على المحافظة على تماسكها و حال دون اقتسام الأملاك الموقوفة أو بيعها أو رهنها من طرف الورثة، و قد لاحظنا أن أغلب عقود الأوقاف التي تم تسجيلها في سلسلة المحاكم الشرعية كانت أوقاف خاصة أو أهلية، و سجلنا أيضا أن معظم هذه الأوقاف كانت موجهة أساسًا نحو التحسيس على الأولاد و هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على حرص الواقفين على المحافظة على الإرث و الترابط الأسري ، و قد جاء في هذا الإطار في العقد التالي: تحبب قاسم بن موسى المداحي على نفسه ثم على ولده الموجود الآن وهو محمد وعلى ذريتهم و ذرية ذريتهم و أعقاب أعقابهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الإسلام.

- معرفة القضاة الذين تولوا منصب القضاء في مدينة الجزائر:

وباعتبار عقود الأوقاف هي عقود إدارية يشرف عليها القاضي، فعادةً ما يذكر القاضي الموكل له مراقبة عقود الأوقاف ومدى التزام الواقف بشروط الوقف والتزامه برفع يد الحياة على الملك، فنجد في إحدى العقود على سبيل المثال للحصر تحبب الولية حسنى جميع الدويرة الكاينة بكوشة علي، رفعت المحبسة المذكورة يد الملك ووضعت يد الحياة لها ولمن عداها وللمرجع المذكور وطوبع في ذلك الشيخ القاضي حفظه الله وهو الطاهر ابن محمد بن علي بتاريخ 1179هـ.

كما يقر القاضي صحة الوقف وهذا بذكره في الوثيقة وبعبارات صريحة في آخر العقد [وفقه الله بمنه ونص خطاب القاضي صح ما فيه]. بالإضافة إلى ورود أسماء الشهود مسبقة بألقابهم وعبارات التعظيم في بعض الأحيان.

## -صيغة العقود :

إن توثيق العقود وكتابتها تعتبر من الأمور المشروعة حفاظاً على الأموال من الضياع والحيلولة دون أكل أموال الناس بغير حق، كما تمنع حدوث الخصومات والنزاعات بين الأفراد.

تميزت كتابة عقود الأوقاف بالدقة المتناهية وهي وثائق متكاملة الأركان متشابهة الأجزاء والصياغة يغلب عليها أسلوب العامية والالتزام بالسجع وتكرار العبارات للتأكيد، وتنقسم إلى عدة أقسام يمكن تجزئتها على النحو التالي:

### \*-الافتتاحية:

وتشمل في الغالب الجهة الصادرة منها الوثائق وهذا بذكر المحكمة مسبقاً بعبارات التعظيم والتفخيم «بالمحكمة الشرعية بالجزائر المحمية».

### \*- ذكر القضية:

بعد ذكر المحكمة يذكر اسم القاضي مشار إليه في بعض الأحيان أعلى الوثيقة، حيث تورده الوثائق بـ « لدى سيدنا و مولانا» أو بعبارة قاضي القضية مسبقاً ببعض الألقاب الدالة عليه « شيخ مشايخ الإسلام – قاموس البلاغة و نبراس الإفهام» ثم ذكر الدعاء للقاضي « دام فضله و زيد في علاه أمين» أو « دام مجده و علاه» كما يذكر مذهبه ( مالكي أو حنفي).

## \*- ذكر أسماء الشهود:

وردت أسماء الشهود بعد الصيغ الخاصة بذكر القضاة مع التعريف بهم بعد عبارة «بمحضر كل من» ثم ذكر أسماء الشهود مسبقة بألقابهم مثل بمحضر المهدي الانشجاري، ثم ذكر الوظيفة أو الحرفة مثل المهدي الانشجاري الخياط.

## \*- ذكر الواقف (المؤسس):

وهو صاحب العقار ومن أهل التبرعات حيث يشترط فيه بان يكون عاقلاً حراً بالغاً كامل الأهلية ويراد بهذه الكلمة بان يكون صالحاً لان يلتزم بعبارته فيكون مؤاخذاً بها وثبوت أهلية الأداء.

وقد وردت في عقود التحبيس عدة صيغ متشابهة في المعنى للتعريف بالواقف بعبارة «أشهد على نفسه» ويرد معه الفعل الدال على التصرف بالفعل الماضي بان يقول وقفت-حبست- سبل- أبد- أكد- خلد- تصدق لله تعالى، وبهذا يكون الواقف قد أدى العمل القانوني وبصريح العبارة.

ويذكر أيضاً في العقد المال المتقوم القابل للوقف ولهذا يجب أن يكون الأصل في الوقف عقاراً أو تابعاً للعقار، كما يجب أن تكون العين الموقوفة صالحة للبقاء ليتمكن تنفيذ حكم التأييد فيها، ومما يثير الانتباه في عقود الأوقاف الدقة المتناهية في تحديد مكان العقار حيث ترد في بعض العقود المشتملات والحدود الأربعة له.

ويصرح في عقود الوقف أيضا بإثبات ملكية الواقف للعين التي تجعل له حق التصرف عيناً ومنفعةً وتدل الصيغ الواردة في الوثائق على ذلك ومنها «على ملك أحمد العطار».

وبعد إثبات ملكية الواقف ترد إثبات صحة التصرف بالعبارة التالية: «وقفاً صحيحاً شرعياً وحسباً صريحاً وتأييداً وتخليداً دائماً وصدقة جارية فلا يباع ولا يرهن ولا يورث إلا أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين».

\*-إنشاء الوقف

اشتملت على ثلاث طبقات:

- الواقف والانتفاع
- أسرته وذريته وأشخاص آخرون من غير الأسرة إذا أراد صاحب الوقف إدراجهم في الوثيقة.
- الوجهة النهائية
- \*- الفقرات الختامية:

تشمل الفقرات الختامية الفقرات التنفيذية و التوثيق، فبعد إتمام الإجراءات الوقف ترد الفقرة الدالة على إثبات صحة التصرف وتنفيذه لدى القاضي الحنفي بعبارة: «شهد عليه بذلك و هو بالحالة الجائزة شرعاً». ثم ذكر التاريخ العقد.

وفي الأخير يدون التاريخ الذي إنشاء فيه العقد، ويرد في الوثائق بالصيغة التالية عرفهما بتاريخ شهر ربيع الأول عام ثلاثة وخمسين و مائة

وألف، يتم توقيع العقد من طرف الشهود ويصبح بذلك عقدا صحيحا واجب تطبيقه من الناحيتين الفقهية والقانونية.

### الخاتمة

يتضح أن الوقف لم يكن مجرد مؤسسة دينية، بل آلية فعالة في التنظيم العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية. فقد ساهم في تخطيط الأحياء، توفير الخدمات، وضمان الاستدامة العمرانية، مما يعكس وعياً حضرياً متقدماً سبق النظم الحديثة في إدارة المدن.

ورثت الجزائر في الفترة العثمانية نسيجاً عمرانياً متميزاً، حيث بقيت معالم الوقف (المساجد، أسواق، أسوار) شاهدة على عبقرية التنظيم حتى القرن 19.

لم يكن الوقف مجرد صدقة، بل نظام حضاري، حيث مثل نموذجاً فريداً للتنمية الحضرية المستدامة، حيث جمع بين الدين والاقتصاد والإدارة ليبنى مدينة الجزائر المترابطة ومنظمة. كما نجح الوقف في خلق مدينة الجزائر كنموذج حضري إسلامي متقدم، يجمع الجمال المعماري بالكفاءة الإدارية.

اعتمد التنظيم العمراني على نظام وقفي متكامل، يجمع بين الجانب الديني، الاقتصادي، والإداري لضمان تماسك المدينة يمنع الوقف التوسع العشوائي ويحافظ على الهوية الاجتماعية.

ساهم الوقف في تعميق الفهم التاريخي للعلاقة بين الوقف والعمران في الجزائر خلال الفترة العثمانية، وإبراز أهمية هذا النظام في تحقيق الاستدامة الحضرية، بما يفتح آفاقاً للاستفادة من التجربة الوقفية في معالجة بعض إشكالات التخطيط العمراني المعاصر.

### -وهذا نموذج من عقود الأوقاف: العلبة 10 رقم:36-

«الحمد لله هذه نسخة رسم تحبیس ينقل هنا للحاجة لها نصها الحمد لله حضر لان بمحضر شهيديه وبالمحكمة الحنفية من ملك الجزائر المحروسة بالله تعالى أمام القاضي في التاريخ الواضع طابعه الرفيع بمنه المالك المعظم الأجل الزكي الأفضل التقي السيد يوسف بن السيد احمد واشهد على نفسه انه حبس و وقف لله تعالى جميع السدسي الأثنين من الدار الكائنة بسوق الخراطین ابتداء على نفسه ينتفع به مدة <حياته ثم بعد وفاته على أولاده الموجودين الآن وهم الشاب العربي و الشاب محمد وعمر و اسيا و حسنى و نفيسة و على ما يتزايد له بعد إن قدر الله بذلك الذكر و الأنثى سواء بل للذكر مثل حظ الأنثيين و لا يدخل الأبناء مع وجود الآباء في الذكور و أما الإناث مدة حياتهن فان انقرض بنات الصلب فلا مدخل للاولادهن بل ينقل منابهن للذكور ثم أولادهم و أولاد أولادهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الإسلام فان انقرضوا عن آخرهم فيرجع الحبس إلى فقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة بعد التبدية بما تستداع به منفعة الحبس المذكور ورفع الحبس المذكور يد الملك ووضع يد الحياة له و لمن عداه و للمرجع المذكور و شهد عليه بذلك و هو بالحالة الجائزة شرعاً و عرف بتاريخ أواسط جمادى الأولى عام ثلاثة و خمسين و مائة وألف و فقه الله بمنه انتهت قابلها بأصلها المنقولة منه بما ثلته و شاكلته وبصحة ذلك لفظاً فير شهادته هنا بتاريخ أعلاه.

اسم الشهود

اسم الشهود

التوقيع

التوقيع



[illegible]

مع ما فيه من فقه عجيب  
الفاطمه بالجواز على معناها

[illegible]

## جدول يبرز أهمية وثائق الوقف

العلبة		التاريخ	الواقف	طبيعة الوقف	مصدر الوقف	مكان الوقف	المكانة الاجتماعية	الجهة النهائية
50	79	1154 1741	قائمة بنت الحاج	نصف الدار		حارة اجنان	النساء	فقراء الحرمين
54	104	1174 1760	مصطفى أودباشي ابن محمد التركي	نصف الجنة	ملك	بوزريعة	الجيش	فقراء الحرمين
54	203	1149 1736	عائشة بنت علي	الجنة+ الجنينة	ملك	بوزريعة	النساء	فقراء الحرمين
54	102	1199 1784	الحاج احمد بن هنية	الجنة	ملك	بوزريعة		فقراء الحرمين
54	97	1126 1714	محمود بلودباشي	الجنة	ملك	بوزريعة	الجيش	فقراء الحرمين
54	70	1175 1761	المعظم مصطفى رايس قبطان	الجنان	ملك	بوزريعة	الجيش	فقراء الحرمين
54	71	1125 1713	ابي العباس السيد احمد الترجمان بدار الحارة	الجنة		بوزريعة	الادارة	فقراء الحرمين
54	41	1146 1733	الحاج محمد الفخار ابن قاسم المتيجي	الجنة		بوزريعة	الحرفة	فقراء الحرمين
32	10	1174 1760	فاطمة بنت احمد	3/6 الدار	الدار ملك		النساء	فقراء الحرمين
32	37	1143 1730	سعيد البجاوي ابن موسى	الدار	ملك	حومة بابا احمد		فقراء الحرمين
32	1	1152 1739	محمد الانجشاري ابن حسين	العلوي			الجيش	فقراء الحرمين
32	39	1146 1733	علال الانجشاري ابن محمود	الغرفة			الجيش	فقراء الحرمين

# تأسيس المساجد الجامعة لمدينة الجزائر على ضوء المعطيات التاريخية والشواهد الأثرية.

## محاولة تأريخية

د. أمين محرز

جامعة خميس مليانة

### مقدمة

لقد ارتبط نمو النسيج العمراني للمدينة الإسلامية بشكل وثيق بسعة وعدد المساجد التي تعمرها، والتي في مقدّمتها المساجد الجامعة أو "الجوامع"، باعتبارها أكبر دور عبادة من حيث الأهمية الدينية والمعمارية؛ وهذا ما جعل العديد من الباحثين في مجالات التاريخ والآثار والمعماريون اهتمامهم على دراسة ذاك الصنف من المساجد. ومدينة الجزائر، كغيرها من مدن بلاد المغرب والعالم الإسلامي ككلّ، تضمّنت بين عمائرهما منذ القرون الأولى مساجد عتيقة شكّلت شواهد بارزة عن مراحل تاريخها الألفي، منها ما أصبح أطلالاً، ومنها ما بقي قائماً مستغلاً إلى يومنا هذا. والغرض من دراستنا يتراوح بين كشف الظروف التي أحاطت تأسيس بعض من أهمّ جوامع مدينة الجزائر إلى إمطة اللثام عن مؤسّسيها الحقيقيين، كون هوياتهم ظلّت مجهولة يكتنفها الغموض، إمّا بسبب صمت المصادر التاريخية بشأنهم أو فقدان الكتابات التأسيسية أو نظراً إلى أنّ تلك المساجد نسبت - لسببٍ أو لآخر - خطأً لغيرهم. وتنحصر محاولتنا

التأريخية هذه على ثلاثة جوامع بشكل أساسي، وهي على التوالي: الجامع الكبير، وجامع السيّدة، والجامع الجديد؛ ولأجل بلوغ تلك الغاية، سنعتمد على بعض الشواهد الأثرية وكذا الوثائق الأرشيفية التي لم يسبق توظيفها، بالموازاة مع معطيات تاريخية منتقاة من مصادر مختلفة.

وفي اللهجة العاصمية، يستخدم لفظ "جامع" دون تمييز لتعيين المسجد الجامع والمسجد؛ وهذا التداخل لا يأخذ بعين الاعتبار حجم تلك المؤسسات ووظيفتها، فالجامع اصطلاحاً أكبر حجماً من المسجد، حيث تؤدّى فيه الصلوات الجامعة، ومن ضمنها صلاة الجمعة والعيدين؛ ولأجل ذلك، جرت العادة في أغلب المدن الجزائرية أن يطلق عليه اسم الجامع الكبير، وكذلك - لكن بدرجة أقلّ بكثير - الجامع الأعظم.

وكانت الجوامع تحتوي على عناصر معمارية وفنية قلّما نجدها جميعاً في المساجد الأصغر الأخرى، على غرار المحراب والمنبر والصومعة والمئذنة والقناديل والشمعدانات؛ وإضافةً إلى ذلك، كانت الجوامع أكثر جمالاً وتأنقاً من باقي المساجد، إذ كانت الأولى تفرش عادةً بالزرابي القيّمة، فيما يغلب على الثانية الحصير والسجّاد المتواضع؛ كما كانت تضاء الأولى بالثريات والنحاسيات الرفيعة، فيما كانت الثانية عادةً لا يوجد فيها أكثر من شمعدانات بسيطة ومصابيح زيتية عادية.

ولعلّ أهمّ عامل يميّز الجوامع هو أنّ مساحتها الكبيرة سمحت بأن تضاف لها مرافق متنوّعة مثل المكتبات والمدارس والكتاتيب والمواضئ ونحوها؛ وهذه الملحقات استلزمت عددًا معتبرًا من الموظّفين كالوكيل والخطيب والإمام (وكانت الخطابة والإمامة تجمع أحيانًا لشخص واحد)

والمدرّس والمؤدّن(ين) والحزّاب(ين) وبعض القراء، وهذا ما جعلها تتفوّق بلا ريب في دورها الديني والتعليمي والاجتماعي عن غيرها من المساجد. وفي مدينة الجزائر، كان تأسيس الجوامع عملاً فردياً بالدرجة الأولى، فالغني المحسن، الذي كان في كثيرٍ من الأحيان من طبقة الحكّام والقادة - وفي حالات قليلة من فئة كبار التجّار -، هو الذي كان يسهر على عملية البناء وما يتبعها من أوقاف لصيانتها. ولقد كان يدفعه لذلك بالمقام الأول إحسانه وحبّه للخير وواجبه الديني، كونه يبنيه من ماله الخاص ويوقف عليه من ريعه وأملاكه؛ وذلك دون أن نغفل أنّ البعض من أولئك المؤسّسين كان له مقصد سياسي مبطن، ليس المجال هنا لبسطه.

#### ● الجامع الكبير

رغم تضارب الآراء حول تاريخ إنشائه، لا يختلف اثنان على أنّ الجامع الكبير هو أقدم مساجد مدينة الجزائر، إذ وردت أوّل إشارة تاريخية عنه في كتاب "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" لأبي عبيد عبد الله البكري (1094-1014م). وعلى اعتبار أنّ البكري لم يرح الأندلس قطّ، واقتبس معلوماته عن بلاد المغرب من مصدر أقدم - لكنّه مفقود -، "مسالك إفريقية وممالكها" لجغرافي أندلسي آخر : محمد بن يوسف الورّاق القيرواني (973-904م)، فإنّ الوصف الذي قدّمه عن المدينة المذكورة يعود بالأحرى إلى أواسط القرن العاشر للميلاد<sup>1</sup>. وممّا جاء في وصف

---

<sup>1</sup> حميدة عبد الرحمن، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، ط. 3، دار الفكر، دمشق، 1995، ص. 357؛ الصادق زباني، "نصوص جغرافية وتاريخية من كتاب 'المسالك والممالك' المفقود لمحمد بن يوسف الورّاق (ت. 363هـ/974م)

البكري المنقول عن الورّاق لمدينة "جزاير بني مزغنى" بأنّ "لها أسواق ومسجد جامع ؛ وكانت بمدينة بني مزغنى كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدير من الشرق إلى الغرب، وهو اليوم قبلة الشريعة للعديد مفضّص كثير النقوش والصور"<sup>1</sup>. ويفهم من ذلك أنّ البناء الأوّل للمسجد الجامع الّذي كان قائمًا أواخر الفترة العلوية<sup>2</sup> كانت أبعاده متواضعة، حيث احتلّ جزئيًا موقع كنيسة رومانية ؛ وأنّه بجانبه كان جدار من أطلال تلك الكنيسة يتّخذ مصلىّ للعديد<sup>3</sup>. ويبقى الأمر المؤكّد أنّ المسجد الجامع شهد

---

مجموعة من كتابي 'المغرب' للبكري و'البيان' لابن عذاري المراكشي"، في: المجلة التاريخية الجزائرية، مج. 7، ع. 2، 2023، ص ص. 159-178.

<sup>1</sup> أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.، ص. 66.

<sup>2</sup> تأسّست مطلع القرن التاسع للميلاد إمارة علوية بسهل متيجة على يد محمد بن جعفر العلوي ؛ وكانت عاصمتها الأولى خزرونة، قبل أن تحلّ محلّها جزائر بني مزغنة. وبعد أن وقعت الإمارة تحت النفوذ الفاطمي، دخل آخر أمراءها حمزة بن إبراهيم في جويلية 948م في حلف أموي الأندلس، ممّا أفضى إلى سقوط المدينة - عقب صراع مبرر آخرها - بيد زيري بن مناد الصنهاجي، بعد قرابة العقد من الزمن :

- Ibn Idhârî al-murrâkuchî. *Histoire de l'Afrique du Nord et de l'Espagne musulmane* intitulée *Kitâb Al-bayân al-mughrib fî akhbâr al-Andalus wa al-Maghrib*, publ. par G. S. Colin & É. Levi-Provençal, T. I, 3<sup>e</sup> éd., Dar Assakafa, Beyrouth, 1983, pp. 343-344.

- عبد الرحمن بن محمّد الجليلي، تاريخ الجزائر العامّ، ط. 2، ج. 1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص ص. 248-249.

<sup>3</sup> Samia Chergui, « *Al-Djama' al-A'dham ou le processus conservatoire d'un patrimoine religieux islamique* », in : *Vies des villes*, n° 5, mai 2006, p. 76 ; Sakina Missoum, *Alger à l'époque ottomane. La médina et la maison traditionnelle*, INAS, Alger, 2003, p. 18.

إعادة بناء وتوسعة خلال القرن الحادي عشر ميلادي، مثلما يثبته الشاهد الأثري الأهمّ الذي يؤرّخ للجامع الكبير، ألا وهو المنبر الخشبي الذي نقش بأعلى بابه بالخط الكوفي المشتبك : "بسم الله الرحمن الرحيم اتم هذا المنبر في اول شهر رجب من سنة تسع وأربعمئة. عمل محمد.<sup>1</sup>"

إنّ التاريخ الوارد على الكتابة النقشية للمنبر يوافق بالتقويم الشمسي الثالث عشر نوفمبر 1018م ؛ وهذا ما يجعل تأسيس الجامع في شكله الحالي - ونعني بذلك هندسته المعمارية في خطوطها العريضة - على عهد الدولة الحمادية الصنهاجية. ورغم أنّ كتابة المنبر تنصّ على اسم صانعه، بينما تسكت عن اسم المؤسّس، إلّا أنّ التاريخ يتيح لنا التوصل إلى معرفة هويته : إذ أنّ في غضون شهر يناير من السنة المذكورة أبرم الصلح بين الحمّاديين وأبناء عمومتهم الزييين، وهو ما اعتبره المؤرّخون التاريخ الرسمي لتأسيس الدولة الحمادية على يد حمّاد

---

- بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حمّوش، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبيرديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص ص. 38-39.

<sup>1</sup> Gabriel Colin, *Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie*. I. - Département d'Alger, Ernest Leroux, Paris, 1901, pp. 1-2; Abbé J. L. Bargès, « *Inscription arabe de la mosquée maléki à Alger* », in : *Revue de l'Orient, de l'Algérie et des colonies*, T. 5, 1857, pp. 269-270.



## المنبر الخشبي للجامع الكبير (ق. 11م) - المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر

بن بلكين<sup>1</sup>. وبما أنّ هذا الأخير كان قد أسند حكم زواوة وسوق حمزة (البويرة حالياً) ومتيجة - التي أضحت مدينة الجزائر عاصمة لها في محلّ مرسى الدجاج (زّموري البحري حالياً) - لابنه وولي عهده القايد بن حمّاد<sup>2</sup>،

<sup>1</sup> مبارك بن محمّد المبلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمّد المبلي، ج. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.، ص ص. 231-234 ؛ عبد الحليم عويس، دولة بني حمّاد. صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط. 2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص ص. 62-70.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي



فبوسعنا أن نرجّح بأنّ القايّد هذا هو مؤسّس الجامع الكبير، لا سيّما أن أباه كان منشغلاً طيلة الثلاث سنوات السابقة بقتال بني عمومته أصحاب إفريقية.

- الجامع الكبير ويوسف بن تاشفين : تكاد جميع الدراسات التاريخية التي تطرقت للجامع الكبير تتفق على نسبة بنائه للمرابطين وأميرهم الشهير يوسف بن تاشفين ؛ وبناءً على ما سبق التوصل إليه، سنحاول فيما يلي أن ندحض هذه الفكرة الثابتة، التي نعتبر أنّها لا أساس لها من الصحة، من الزاوية التاريخية :

- تذكر المصادر التاريخية أنّ المرابطين باسروا غزو المغرب الأوسط في غضون النصف الثاني من سنة 1081م، حيث زحف يوسف بن تاشفين بقوّاته "إلى مدينة وجدة ففتحها وفتح بلاد بني يزناسن وما والاها ؛ ثمّ سار إلى تلمسان ففتحها ...، وأنزل بها عامله محمد بن تينغمر المسوفي في عساكر المرابطين، فصارت ثغراً لمملكته، واختطّ بها مدينة تاكرارت بمكان محلّته - وهو اسم المحلّة بلسان البربر - ثمّ افتتح مدينة تنس ووهران وجبل وانشريس وجميع أعمال شلف إلى الجزائر. وانكفأ راجعاً إلى المغرب، فدخل مراكش في ربيع الآخر سنة خمس وسبعين

---

والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ج. 6، دار الفكر، بيروت، 2000، ص. 210.

وأربعمئة<sup>1</sup>، الموافق لمطلع خريف 1082م، وهو ما يتيح لنا تحديد زمن السيطرة المرابطية على الجزائر في ربيع ذات السنة.

- بيد أنّ الدولة الحمادية لم تبق مكتوفة الأيد أمام الاختراق المرابطي لأراضيها، حيث كلّف أميرها الناصر بن علناس (1062-1088م) ابنه وواليه على الجزائر ومرسى الدجاج عبد الله<sup>2</sup> باستعادة ثغور الدولة الغربية، على الأرجح خلال النصف الثاني من سنة 1083م ؛ وتزامن استرداد الحمّادين للجزائر مع ثورة تنس على الحكم المرابطي، ممّا حمل والي تلمسان محمد بن تينغمر على الخروج بالقوّات التي تركها له يوسف بن تاشفين، والتوجّه إلى المدينة الأولى، حيث أقام معسكره بالفحص الذي سمي منذئذٍ بتاجرارت (وعرف خطأً بـ Tagarins "الثغرين" في الكتابات الفرنسية). كان المعسكر المرابطي يشرف على المنفذ الرئيسي، باب عزّون، حيث كان يعتزم بن تينغمر من خلاله إحكام الحصار على الجزائر؛ غير أنّ الحمّادين الذين استعدّوا مسبقاً لتحرك المرابطين باغتوهم ثاني أيام الحصار، واضطّروهم إلى التقهقر بغير نظام باتجاه تلمسان بعدما قتلوا قائدهم<sup>3</sup>. ويتّضح ممّا سبق أنّ مدينة الجزائر بقيت مرابطية سنة واحدة وبضعة أشهر لا غير، أي

---

<sup>1</sup> أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر بن أحمد الناصري ومحمد الناصري، ج. 1، دار الكتب، الدار البيضاء، 1954، ص. 110.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 6، ص. 230.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 233-234. انظر أيضاً: الجيلالي، المرجع السابق، ص. 412.

من ربيع 1082م إلى غاية خريف 1083م كحدّ أقصى<sup>1</sup> ؛ وهي فترة قصيرة لا نعتقد تخمينًا بأنّها كانت كافية لتغطّي مراحل بناء المسجد الجامع.

- الجدير بالذكر أنّ يوسف بن تاشفين أحجم عن الدخول في صراع مفتوح مع الناصر بن علناس الحمّادي، إذ كان يخطّط لفتح سبتة وتجييش قوّاته استعدادًا للجواز إلى الأندلس برسم الجهاد<sup>2</sup> ؛ وعليه، فإنّه اكتفى بتعيين تاشفين بن تينغمر واليًا على تلمسان، خلفًا لأخيه القليل، وأوصاه بأن لا يتجاوز تلمسان والأراضي التابعة لها.<sup>3</sup>

- في سنة 1103م، نقض تاشفين بن تينغمر الوضع القائم بين دولتي المنصور بن الناصرويووسف بن تاشفين، بعد أن تمرّدت قبيلة ومانوا، الّتي كانت لها الرياسة على القبائل الزناتية بحوض الشلف، على الحمّادين، وانضمت إلى الصف المرابطي : فقام المذكور بالتوغّل في الأراضي الحمّادية، واستولّى على أشير وأخربها بعد أن عرّج على الجزائر وفتحها لفترة وجيزة عقب قتال عنيف ؛ وعندها خرج المنصور في ركائبه واستنفر معه جموع صنهاجة والعرب، وهزم تاشفين بن تينغمر قرب تسالة، ثمّ وجّه عساكره

---

<sup>1</sup> انظر في هذا الصدد : مرزاق بومداح، "العلاقات الحمّادية المرابطية (539-445هـ/1053-1144م)"، في : الباحث، مج. 12، ع. 1، يناير 2020، ص. 161 ؛ محمد موشموش، "أثر عمارة مسجد قرطبة على عمارة المساجد المرابطية بالمغرب الأوسط القرنين الخامس والسادس للهجرة"، في : مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج. 3، ع. 1، جوان 2019، ص. 274.

<sup>2</sup> علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص. 144.

<sup>3</sup> موشموش، المرجع السابق، ص. 274.

لتعيث فسادًا في تلمسان وأحوازها، قبل أن يقفل راجعًا. ولم يرق لأمر المسلمين يوسف بن تاشفين تصرّف واليه "الطائش"، فعزله عن منصبه وولّى مكانه القائد مزدلي، وصالح الحمّادين على غرار المرة الأولى.<sup>1</sup>

وهكذا، يتبيّن لنا ممّا سبق ذكره أنّ الطرح الذي ينسب بناء جامع مدينة الجزائر ليوسف بن تاشفين غير مؤسّس تاريخيًا. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ بعض الباحثين من أمثال جورج مارسيه (Marçais Georges) حاولوا بشكل عبثي أن يغيّروا تاريخ الكتابة الواردة في منبره لسنة 490 هـ الموافقة لـ 1096 م<sup>2</sup>، بدل سنة 409 هـ الظاهرة جليًا على النقش، ليجعلوها توافق الفترة المفترضة للهيمنة المرابطية على المدينة.

- كان ممّا عزّز مارسيه في رأيه التماثلات المعمارية والزخرفية التي لمسها بين الجامع الكبير وجامعي تلمسان وندرومة المرابطين، ونذكر من بينها على سبيل المثال العقود المفصّصة والحدودية المنكسرة، والجمالونات التي تغطي السقف، والصحن المكشوف الصغير<sup>3</sup>؛ ومع أنّ مقارنته في هذا المجال صائبة، إلّا أنّه غفل عن السياق التاريخي الذي أفضى إلى تلك التماثلات:

---

<sup>1</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 6، ص. 234. انظر أيضًا: الجيلالي، المرجع السابق، ص. 412.

<sup>2</sup> Georges Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident : Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile*. Arts et métiers graphiques, Paris, 1954, p. 172.

<sup>3</sup> فطوم موقاري وليليا شنتوح، "الموروث العمراني المرابطي بالجزائري"، في : مجلة التعمير والبناء، مج. 3، ع. 2، جوان 2019، ص. 12 : محمد منصوري، "العمارة الدينية المرابطية : مسجدي مدينتي الجزائر وندرومة"، في : حوليات التاريخ والجغرافيا، مج. 5، ع. 9، ديسمبر 2015، ص. 177.

ففي عام 1151م، غزا مؤسس الدولة الموحدية عبد المؤمن بن علي الجزائر دون إراقة دماء<sup>1</sup>، قبل أن يوجّه الضربة القاضية إلى الحمّادين في بجاية والقلعة. وبعد أن أخضع جلّ بلاد المغرب الإسلامي، "... سنة خمسين وخمسمائة - التي توافق 1155م - أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بإصلاح المساجد وبنائها في جميع ممالكه"<sup>2</sup>؛ وبهذه المناسبة، تمّ على الأرجح تحويل العقود الجانبية للجامع الكبير على شكل حدوة حصان إلى عقود متعدّدة الفصوص، وهي إحدى سمات العمارة الموحدية في أوّل عهدها.

- لا يمكننا أن نختم هذا الاستطرد التاريخي دون أن ننوّه إلى نقطة أخيرة، وهي لوحة الرخام التذكارية لمئذنة الجامع الكبير التي بنيت خلال الفترة الزيانية. فبالاستناد إلى الكتابة المنقوشة عليها، أمر ببناء تلك المئذنة سلطان تلمسان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمّو موسى من بني عبد الواد، خلال الفترة الممتدّة من 17 نوفمبر 1322م إلى 6 جويلية 1323م<sup>3</sup>؛ وبفعل التقارب بين اسمي ابن تاشفين وأبو تاشفين، فإنّنا نعتقد أنّ ورود

---

<sup>1</sup> الناصري، المصدر السابق، ج. 1، ص. 193.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 195.

<sup>3</sup> Albert Devoulx, *Les édifices religieux de l'ancien Alger* (Extrait de la Revue Africaine), Typographie Bastide, Alger, 1870, pp. 94-95.

- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص. 158؛ منصوري، المرجع السابق، ص. 185.

العبارة "أمير المسلمين أبو تاشفين" في تلك الكتابة قد تكون هي السبب الرئيس في وقوع الالتباس بخصوص مؤسس الجامع المذكور.



الكتابة النقشية بالخط المغربي لمئذنة الجامع الكبير (ق. 14م)

● جامع السيّدة يبقى جامع السيّدة أحد أبرز جوامع مدينة الجزائر صممت المصادر التاريخية بشأن هوية مؤسسه، أو بالأحرى مؤسسته كما نستدلّ من تسميته ؛ وهذا إذا ما استثنينا ما انفرد به شريف الزهّار في مذكراته، حيث ذكر بأنّ "جامع السيّدة، وقد تسمّى على اسم التي بنته، وهي بنت مولاي الناصري ملك بجاية ؛ لعلّه كانت هناك قرية، ولم يكن بها مسجد، فبنته للخطبة ؛ وكان مالكيّا، فلمّا بنيت البلاد وضعت دار

الإمارة بإزائه، وجعلوا له إمامًا حنفياً<sup>1</sup>. إنّ ما ذهب إليه الزّهّار بنسبة جامع السيّد لأميرة حمّادية لا يمكن اعتباره سوى اجتهاد غير مستندٍ على أي أساس تاريخي، فكما هو معلوم لم ترد أية إشارة في كتب التاريخ والرحلة وغيرها عن وجود مسجد جامع ثانٍ بمدينة الجزائر، إلى جانب الجامع الكبير، قبل العهد العثماني<sup>2</sup>، هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى، لم يُعهد عن الحكّام العثمانيين الأحناف قطّ أنّهم قاموا بالاستحواذ على مساجد مالكية قائمة وتحويلها عن مذهبها، إذ عرفت الجزائر وقتئذٍ مستوى راقٍ من التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية<sup>3</sup>. كان جامع السيّد

---

<sup>1</sup> أحمد شريف الزّهّار، مذكّرات الحاج أحمد شريف الزّهّار، نقيب أشرف الجزائر، نشر وتعليق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص. 31-32.

<sup>2</sup> على سبيل المثال، لم ينوّه حسن الوزّان لدى وصفه لمدينة الجزائر، التي زارها في غضون سنة 1516، سوى بالجامع الكبير: "... ويشاهد من جملة بناءاتها، جامع ممتاز في غاية الكبر على شاطئ البحر، أمامه ساحة جميلة جدًا اتّخذت على سور المدينة ذاته الذي تتلاطم عند أسفله أمواج البحر" : الحسن بن محمد الوزّان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط. 2، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص. 37. وعلى اعتبار أنّ جامع السيّد عدّ من بين أجمل مساجد الجزائر من قبل جلّ عابنيه، فإنّنا نجزم أنّه لو كان قائمًا زمن زيارة الوزّان، لكان قد أشار إليه دونما شكّ في مؤلّفه.

<sup>3</sup> انظر في هذا الصدد : عبد الحفيظ موسم، "التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية في الجزائر خلال العهد العثماني"، في : مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج. 10، ع. 1، جوان 2019، ص ص. 117-149 ؛ صليحة بوزيد، "مظاهر التعايش المذهبي بين المالكية والحنفية من خلال وثائق المحاكم الشرعية في الفترة العثمانية في مدينة الجزائر"، في : مجلة دراسات تاريخية، مج. 9، ع. 1، 2024، ص ص. 112-121.

يقع بإزاء دار الإمارة (قصر الجنيّة)، مقرّ الحكم العثماني بعاصمة الإيالة، كما يبيّنه مقطع من تصويرة (أنظر أدناه) مستلّة من أطلس ألماني عائد إلى سبعينات القرن السادس عشر<sup>1</sup> ؛ ولأجل قربه، فقد كان حكام الجزائر يرتادونه لأداء صلاة الجمعة والعيدين طوال العهد العثماني، دون غيره من الجوامع.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> « Algeri saracenorum urbis fortissimae imago », gravure vénitienne (1570 ou 1571), in : Georg Braun & Frans Hogenberg, **De praecipuis, Totius universi urbibus, liber secundus**, Gottfried von Kempen, Cologne, 1575.

نقلًا عن :

- Gabriel Esquer, **Iconographie historique de l'Algérie depuis le XVI<sup>e</sup> siècle jusqu'à 1871**, vol. 1, Librairie Plon, Paris, 1929, pl. 1.

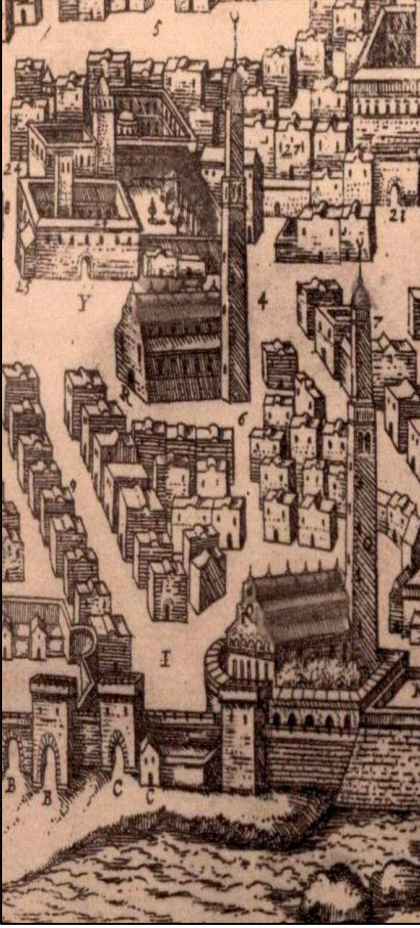
أنظر أيضًا :

- Federico Cresti, « **Description et iconographie de la ville d'Alger au XVI<sup>e</sup> siècle** », in : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n° 34, 1982, pp. 8-9 & 21.

<sup>2</sup> Fray Diego de Haedo, **Topographia e Historia general de Argel**, Diego Fernandez de Cordova y Oniedo, Valladolid, 1612, fol. 41v°.

- جيمس لياندر كاثكارت، مذكرات أسير الداوي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص. 97 ؛ هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ج. 1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008، ص. 25.





- 4 الخضر سوق
- 5 عريضة سكة
- 6 الصاغة زنقة
- 7 القيسارية
- 14 الجينية قصر
- 25 السكة دار
- B الدين خير ترسانة بوابتي
- C مخزن بجانب البحر، باب
- I البحر باب سوق
- N الأندلس بطارية
- Q الكبير الجامع
- R تسمية تحت ورد الذي السيدة، جامع
- "والأتراك الملك مسجد"
- Y بين الفاصلة الديوان أو "الملك ساحة" السيدة وجامع الجينية قصر

مقطع من مخطط مدينة الجزائر (رسم بنديقي) يوضح موقع جامع السيدة (1570 أو 1571)<sup>1</sup>

<sup>1</sup> على الرغم من أن الشكل الخارجي للمساجد في مخطط الجزائر يظهرها أشبه بالكاتدرائيات، إلا أن الرسّام البنديقي اجتهد في استنساخ التوزيع الجغرافي لمباني وأزقة المدينة بدقة غير معهودة بالنسبة لذلك الوقت.

وتعود أقدم إشارة لجامع السيّدة إلى وثيقة من رصيد المحاكم الشرعية بتاريخ 972هـ الموافق لسنة 1564م ؛ ونورد فيما يلي مقتطفات من نصّ هذه الوثيقة :

"الحمد لله الذي أشهد به من يتسمى عقب تاريخه شاهدا بمضمونه أنه يعرف المرحوم بكرم الله تعالى الشيخ أحمد بن سالم سلمون الأندلسي معرفة كافية معتبرة شرعاً يشهد بها، ويشهد مع ذلك أنّه كان قايم حياته وصحته سابقاً عن تاريخه بنحو ستة وثلاثين عاماً غرس الموضع المعروف بالرقايح من أحباس جامع السيّدة الكاين خارج باب الوادي أحد أبواب الجزائر المحروسة... بإذن من ناظر أحباس إذ ذاك، وهو الشيخ المكرّم المرحوم سعيد بن أحمد الشريف الحمزي على سنة المعاوضة وحكمها، وعلى أن يكون له نصفها بعد تمام غراسها وإطعامها(كذا) وللحبس نصفها الآخر يغرسها كرمًا وأشجارًا مختلفة... ويعطي واجب الحبس لناظره في كلّ عام مدة أعوام إلى أن توفي إلى عفو الله، وورث ورثته وصار في الورثة المذكورين يقومون بجميع مؤنها كمورثهم المذكور ويعطى مناب الحبس لناظره حتى الآن... وعلى ذلك كله بمضمونه قيد شهادته هنا مسولة(كذا) منه بتاريخ أواخر جمادى الأخرى عام إثنين وسبعين وتسعمائة. وفقه الله تعالى، وشهد به الشيخ محمد بن سعيد الجوهرة والشيخ المسن خطاب بن عاشوري؟(الأندلسي...<sup>1</sup>".

وهكذا، تفيدنا هذه الوثيقة البالغة الأهمية أنّ أحباس جامع السيّدة

---

<sup>1</sup> رصيد المحاكم الشرعية، مركز الأرشيف الوطني، بئر الخادم، العلبة 194، الوثيقة رقم 67.

اتّخذت في حدود سنة 936هـ الموافقة لـ 1529/1530م ؛ وهو ما يستلزم منطقياً اعتباره تاريخ تأسيس الجامع المذكور. فهل يمكن أن تقودنا سنة بناء ذاك الجامع إلى معرفة هوية مؤسّسته؟ إذا أخذنا بعين الاعتبار المعطيات الأساسية الأربع التي بحوزتنا في هذا الصدد، ألا وهي أنّه:

① كان يتولّى سدة الحكم وقتئذٍ الخضر بن يعقوب التركي الشهير بخير الدين ببروس، مؤسّس إيالة جزائر الغرب ؛ وكان قد جرى تعيينه برتبة بايلرباي عليها سنة 1520م، من قبل السلطان العثماني سليم الأول.<sup>1</sup>

② كان موقع الجامع - كما أسلفنا - قريباً جداً من دار الإمارة، حيث كانت المسافة الفاصلة بين الممر المقيبى الذي يشكّل مدخل قصر الجنيّة وبوابة الجامع الرئيسية التي تقابله بانحراف لا تتجاوز خمسة عشر متراً.<sup>2</sup>

③ بني الجامع وفقاً للمذهب الحنفي، الذي كان ينحصر أتباعه حينئذٍ على الأتراك العثمانيين والأعلاج، ممّا يعني أنّ مؤسّسته كانت تنتسب على الأرجح إلى تلك الفئات ؛ وما يدعم ذلك أيضاً أنّ اغفال ذكر اسمها ينمّ عن صفة التزمّت التي كانت شائعة لدى الأتراك، حيث كانوا يتحاشون ذكر أسماء نسائهم أمام الغير.

---

<sup>1</sup> أمين محرز، أوجاق جزائر الغرب (1519-1830م). مقارنة جديدة لدوره التاريخي وتنظيمه العسكري، ج. 1، كوكب العلوم، الجزائر، 2022، ص ص. 103-104.

<sup>2</sup> André Raymond, « Le centre d'Alger en 1830 », in : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n° 31, 1981, pp. 82-84.

④ كان بناء مسجد جامع مشروعاً معتبراً يتطلب موارد مالية كبيرة، ممّا يستلزم أنّ تلك السيّدة الخيّرة كانت على جانبٍ من الثراء ؛ وهذا ما يعزّز تخميننا بأنّها انتمت إلى الطبقة الحاكمة في الإيالة الحديثة النشأة.

وبناءً على حوصلة ما سبق بسطه من قرائن ودلائل، يتّضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أنّ السيّدة المجهولة كانت في الواقع قرينة خير الدين باشا؛ وليسعنا إمطة اللثام قليلاً عن هذه الشخصية الغامضة، التي استعصى علينا - رغم بحثنا الحثيث - معرفة اسمها، يجب علينا الرجوع إلى الوراثة قليلاً. وقد نوّه خير الدين في مذكّراته أنّ أخاه عزّوج عمل تحت إمرة القبطان العثماني كمال رئيس<sup>1</sup> ؛ وكان هذا الأخير قد قاد بأمر من السلطان بايزيد ما لا يقلّ عن ستّ حملات بحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط. وخلال حملته سنة 1506، قام كمال رئيس بمهاجمة مينائي أليكانط وألش الإسبانيين، ثمّ انتقل إلى نقطة ساحلية جنوب إمارة غرناطة البائدة، حيث قام بنقل المئات من الأندلسيين على متن سفن عمارته إلى "برّ الترك"<sup>2</sup> ؛ ومن ضمنهم، كانت توجد فتاة - حسب ما ذكرته المصادر الأوروبية - يعود أصلها إلى بلدة مرّجانة أو مرّنيانة (Marchena) الواقعة

---

<sup>1</sup> خير الدين بربروس، مذكّرات خير الدين بربروس، ترجمة محمّد درّاج، الأضالة ، الجزائر، 2010، ص. 177.

<sup>2</sup> Charles-André Julien, *Les Africains*, vol. 3, Éditions Jeune Afrique, Paris, 1977, p. 79 ; Tufan Turan, « Çatışmadan Ateşkese Osmanlı-İspanyol İlişkileri (1301-1581) », in : *History Studies*, vol. 4, n° 3, October 2012, p. 198 ; Qiyas Şükürov, « Endülüs istidanamesi ve Kemal Reis'in İspanya seferi », in : *ISTEM*, n° 14, 2009, p. 332.

نحو أربعين كيلومترًا إلى الشرق من مدينة إشبيلية<sup>1</sup>. وفيما تذكر تلك المصادر أنّ الفتاة الأندلسية هي والدّة بربروس، إلّا أنّها تخلط بين الأب خير الدين وابنه حسن، اللذان حملا نفس اللقب لأنف الذكر؛ وبما أنّ خير الدين أفصح في مذكراته أنّه "عندما فتح السلطان محمد الفاتح جزيرة ميديّي أمر الأتراك بالاستيطان في الجزيرة. فكان أبي أحد المستوطنين الأوائل، و... تزوّج إحدى بنات أهالي الجزيرة"<sup>2</sup>، أي أنّ أمّه كانت يونانية مدلية، ونكون بذلك قد أقمنا البيّنة بأنّ الأندلسية المّرجانية هي والدّة حسن بن خير الدين، الذي يكون ميلاده حوالي سنة 1508م، إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ والده أسند له سفينة تجذيف كبيرة في أواخر العشرينيات أحسن قيادتها<sup>3</sup>. ولم تكن زوجة خير الدين امرأةً عادية من العامّة، فلقد

---

<sup>1</sup> Loys de Mayerne Turquet, **L'histoire générale d'Espagne**, Vol. II, Samuel Thiboust, Paris, 1635, p. 1295 ; M. Corneille, **Dictionnaire Universel Geographique et Historique**, T. II, Jean-Baptiste Coignard, Paris, 1708, p. 600.

انظر أيضًا :

- Edouard Lapène, **Tableau historique de l'Algérie**, Imprimerie de S. Lamort, Metz, 1845, p. 186 ; Rodrigo de Zayas, **Les Morisques et le racismes d'état**, Éditions de la Différence, Paris, 1992, p. 157.

<sup>2</sup> بربروس، نفس المصدر السابق، ص. 21.

<sup>3</sup> مجهول، غزوات عزّوج وخير الدين، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، الجزائر، 1934، ص ص. 75-76. انظر أيضًا :

- Sander Rang & Ferdinand Denis, **Fondation de la Régence d'Alger. Histoire des Barberousse, chronique arabe du XVI<sup>e</sup> siècle**, T. 1, Éditions Bouslama, Tunis, 1984, pp. 257-260.

كانت "كريمة المحتد، ولها شرف الانتساب إلى أحد أحفاد الرسول ﷺ"<sup>1</sup> ؛ ولعلّ هذا ما يفسّر لقب "السيدة" الذي عرفت به، فالسيدّ كان يطلق تشريقًا على الأشراف من نسل نبي الإسلام.

بالعودة إلى جامع السيدة، يجدر بنا التنويه إلى السياق التاريخي الذي أحاط ببناءه : ففي سنة 1522م، اضطرّ خير الدين إلى ترك عاصمة إيالته وأن ينسحب إلى جيجل، بعد أن اشتدّ أوار ثورة أحمد بن أحمد بلقاضي وتمردّ عليه أحد كبار قادته، قارة حسن الأنطالي ؛ وبعد ثلاث سنوات ونصف، سيعود البايبراي بقوة إلى مدينة الجزائر، ويعيد بسط سلطته مجددًا على ربوع الإيالة. وسيختم تلك العشرية المضطربة سنة 1529م بفتح قلعة البنيون، التي شيدها الإسبان على الجزيرات الواقعة قبالة الجزائر. ويتيح لنا هذا الاستطراد أن نحدّد فترة بناء الجامع بالفترة الممتدة من سنة 1526 إلى 1530م، أي ما يناهز أربع سنوات، إذا افترضنا أنّه بوشرت أعمال البناء بُعيد عودة عائلة البايبراي إلى العاصمة<sup>2</sup>. أمّا فيما يخصّ وصف الجامع، فقد كانت مئذنته قائمة في زاويته الشرقية، وهي مئذنة مغربية أندلسية الطراز مربّعة القاعدة، قد زينت بحاشية من الزليج الملون بالأخضر والأصفر والأبيض. وكان بيت الصلاة سقفه من خشب الأرز، وتتوسّطه قبة مركزية مزخرفة بكتابات مذهّبة ومؤطرّة ؛ وكانت هذه الأخيرة تحملها أعمدة بيضاء كبيرة نسبيًا تعدادها عشرين عمودًا. وفي إحدى الأروقة الجانبية، كانت توجد المقصورة المخصّصة للداي ومقرّبيه ؛

<sup>1</sup> Id., p. 257.

<sup>2</sup> مجهول، نفس المصدر السابق، ص ص. 50-64 وما بعده. انظر أيضًا : محرز، أوجاق...، المرجع السابق، ص ص. 107-112.

وكانت تعلو تلك الأروقة قبب صغيرة تزدان بزخارف راقية<sup>1</sup>. وبقي هذا المسجد الجامع حتى سنة 1783م على هيئته الأولى تقريبًا ؛ لكن إبان الحملة الإسبانية بقيادة دون أنطونيو بارسيلو (don Antonio Barceló) على مدينة الجزائر تهدمت أجزاء منه جرّاء القصف، فقام محمد عثمان باشا (1766-1791) بإعادة "بناء ذلك المسجد العتيق وجدّده أحسن تجديد، وكسّمه (زَيّنه) بأعراص (أعمدة) الرخام الأبيض وكسا حيطانه بالزليج، حتى لا يرى البياض بداخله إلّا المنبر وأعراص الرخام"<sup>2</sup>. والجدير بالذكر أنّ المنبر الذي نقل إلى الجامع الجديد والأعمدة الرخامية الجميلة التي استخدمت في إنشاء رواق خارجي بالجانب الشمالي الغربي للجامع الكبير هي كلّ ما تبقى من ذاك الجامع الجميل، بعد أن باشر المحتلّون الفرنسيون هدمه في أبريل 1831م<sup>3</sup> ؛ فكان أوّل ما اندثر من المعالم الرئيسية للعاصمة.

---

<sup>1</sup> بن بلة خيرة، "خصائص ومضامين الكتابات التأسيسية بمساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني"، في: المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط، مج. 3، ع. 2، ديسمبر 2023، ص. 17 ؛ لطيفة بورابة، "جامع السيّدة المندثر في مدينة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية وأثرية)"، في: مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، مج. 30، ع. 3، 2016، ص. 527.

<sup>2</sup> شريف الزهّار، المصدر السابق، ص. 24.

<sup>3</sup> انظر قصة هدم جامع السيّدة في : حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص ص. 279-280.



جامع السيّدة عند بدء عمليات هدمه سنة 1831م، وتظهر من الجهة اليسرى واجهة قصر الجنينة



أعمدة جامع السيّدة الرخامية التي نقلت إلى الجامع الكبير





المنبر الرخامي الأبيض، تحفة فنية في الجامع الجديد تشهد على جمال  
جامع السيّدة المندثر

● الجامع الجديد من المعلوم أنّ الجامع الجديد تقرّر بناؤه "بأمر  
عسكر البلد"، يعني أوجاق إنكشارية الجزائر، الصادر يوم 11 ذو القعدة  
1066 هـ الموافق لـ 31 أغسطس 1656 م<sup>1</sup>؛ وقد اعتبرت هذه المبادرة من قبل

<sup>1</sup> رصيد البايك، مركز الأرشيف الوطني، بئر الخادم، السجل رقم 325، 423 ورقة.  
انظر أيضاً :

- Zakia Zahra, D'Istanbul à Alger : la fondation de waqf des Subul al-Khayrât et ses mosquées hanéfites à l'époque ottomane (du début du

المؤرخين الذين تطرّقوا للموضوع إجراءً قلّ نظيره، كون إنشاء هذا المسجد الجامع الحنفي جاء بقرار جماعي من أعضاء ديوان الإنكشارية. بيد أنّ هناك بعض التساؤلات بخصوص هذا الجامع لفتت انتباهنا، ولعلّ أبرزها : لماذا تمّ إغفال الإشارة في اللوحة التأسيسية<sup>1</sup> إلى "الباشا"، حيث جرت العادة بالنسبة للمباني المدنية أو العسكرية على حدّ سواء إدراج عبارة "في ولاية أو زمان فلان باشا" يتبعها أو يسبقها التنويه بالسلطان العثماني الحاكم<sup>2</sup>؟ وهذا ما حملنا على طرح تساؤل آخر يتعلق بالدوافع التي حذت بالإنكشارية إلى تقرير تأسيس مسجد جامع وإسناد بنائه في اليوم ذاته لمؤسسة سبل الخيرات.<sup>3</sup>

- السياق التاريخي : دخلت إيالة الجزائر خلال النصف الأوّل من القرن السادس عشر مرحلة ضعف ملحوظ انعكست سلبيًا على أوضاعها

---

XVIII<sup>e</sup> siècle à la colonisation française), Doctorat en Histoire, spécialité Espaces, Cultures, Sociétés, Aix-Marseille Université, 2012, p. 67 ; Samia Chergui, « La "Nouvelle Mosquée" d'Alger. Le déroulement d'une procédure constructive au XVII<sup>e</sup> siècle », in : Revue du Monde Musulman et de la Méditerranée, N° 125, p. 235.

<sup>1</sup> Colin, op. cit., pp. 46-47.

تجدد الإشارة إلى أنّ اللوحة التأسيسية يعود تاريخها على الأرجح إلى سنة 1665م، أي في منتصف فترة الأغوات.

<sup>2</sup> Id., pp. 35-36 & 42-43.

<sup>3</sup> سبل الخيرات هي مؤسسة وقفية أنشأها الأتراك العثمانيون بالجزائر أواخر القرن السادس عشر، وكانت تعنى بإدارة المساجد الحنفية وصيانتها بفضل عوائد الأملاك الموقوفة عليها :

161. عبد القادر، المرجع السابق، ص - Zahra, op. cit., pp. 52-57.

السياسي، وأدّت إلى تقهقر تدريجي لقدراتها العسكرية والاقتصادية. وإبان السنوات القليلة التي سبقت قرار بناء الجامع الجديد، أفضى التعاقب السريع لعدّة "أحداث صعبة" - سنأتي على ذكرها فيما يلي - إلى وقوع البلاد في أزمة حقيقية، أسمىناها في دراسة سابقة لنا بـ"أزمة 1655-1659م"<sup>1</sup>؛ ومن أهمّ تلك الأحداث :

① اجتياز أمير البيت العلوي مولاي محمّد وادي ملوية لاجتياح الغرب الجزائري في حملة سلب ونهب امتدّت من أحواز تلمسان إلى الأغواط وعين ماضي (1653-1654)؛ وانجرّ عن هذه الحملة فقدان الجزائر لمنطقة وجدة الحدودية، بحيث أضحى وادي التافنة منذئذٍ هو الحدّ الفاصل بين البلدين.<sup>2</sup>

② وباء قونية (1654-1657)، الذي عمّ أنحاء الإيالة، ومن شدّة فتكه تذكر المصادر المسيحية أنّه حصد أرواح ثلث سكّان مدينة الجزائر لوحدها؛ وترتّب عنه، علاوة على العدد الكبير من الضحايا، تراجع حادّ في الأنشطة الاقتصادية.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671م)، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013، ص ص. 67-76.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص. 68-70.

<sup>3</sup> Jean Marchika, *La peste en Afrique septentrionale. Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830*, Jules Carbonel, Alger, 1927, pp. 49-50.

انظر أيضًا : محرز، المرجع السابق، ص ص. 70-71.

③ الخسائر التي تكبدها الأسطول الجزائري في حرب كريت الطويلة (1645-1669) أو من جرّاء القرصنة المضادة الأوروبية : ففي خريف سنة 1655م، تمكّن الأميرال الهولندي الشهير دي رويتر (de Ruyter) من تحييد اثني عشر سفينة جزائرية، حيث استولى على بعضها واضطرّ البقية على الجنوح إلى الساحل المغربي<sup>1</sup> ؛ وفي الطرف الآخر من البحر المتوسط، كان الجزائريون قبل أشهر قد خسروا سبعة سفن في معارك بحرية جمعتهم مع البنادقة.<sup>2</sup>

④ بعد فشل حصار الجزائريين لوهران في غضون سنة 1655م، كثّف الإسبان من حملات الإغارة داخل أراضي الإيالة القريبة من مواقعهم ؛ وفي إحدى خرجاتهم، يوم 25 جوان 1656م، باغتوا محلّة صغيرة تحمل أموال الضرائب والهدايا المرسلة من قبل قايد تلمسان، فغنموا كلّ ما احتوته كما أسروا ستّة وأربعين إنكشاريًا.<sup>3</sup>

لقد كانت محصّلة كلّ تلك الخسائر حدوث أزمة مالية ترتّب عنها عجز الباشوات وقتنّذٍ عن دفع مخصّصات الإنكشارية من علوفات (رواتب)

---

<sup>1</sup> Gerard van Krieken, *Corsaires & marchands. Les relations entre Alger et les Pays-Bas, 1604-1830*, Éditions Bouchène, Paris, 2002, pp. 52-55.

<sup>2</sup> Ernest Mercier, *Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)*, T. 3, Ernest Leroux, Paris, 1891, p. 248.

<sup>3</sup> C.X. de Sandoval, « Les inscriptions d'Oran et de Mers-El-Kebir. Notice historique sur ces deux places depuis la conquête jusqu'à leur abandon en 1792 », trad. par Dr. Monnereau, in : *Revue Africaine*, N° 15, 1871, p. 445.

ومؤن ؛ ولم يبق ديوان الإنكشارية مكتوف اليد إزاء ذاك الوضع المتردّي، إذ كانت هيئة من ستين من أقدم البلوكباشية - وهم ضباط سامون كانت تسند إليهم قيادة مفارز الإنكشارية في المحلات والحاميات عادةً - مكلفة بمراقبة أعمال حكومة الباشا<sup>1</sup> ؛ وإذا ثبت لهذه الهيئة - التي عرفت بديوان البلوكباشية - تقصيره في مهامه، فإنّها ترفع تقريرًا لديوان الإنكشارية ؛ ويكون مصير الباشا المقصّر حتمًا السجن ؛ وهذا ما حدث بالفعل للحاج أحمد باشا الذي انتهى به المطاف في السجن في 8 فبراير 1656م، بعد قرابة سبعة أشهر من الحكم ؛ ولم يكن خلفه إبراهيم باشا البشناقي بأحسن حظًا، حيث سجن هو الآخر في 18 مايو من نفس السنة، وتولّى مكانه أحمد باشا الذي أخرج من الحبس.<sup>2</sup>

كان ارتقاء ديوان البلوكباشية في هذه الآونة من المتوقع أن يؤدي بدوره إلى تصاعد نفوذ رئيسه، الباش بلوكباشي ؛ غير أنّ قصر مدّة شغله للمنصب، التي لم تكن بأيّ حالٍ من الأحوال تتعدّى الشهرين<sup>3</sup>، قطعت عليه الطريق إلى هرم السلطة. بالمقابل، لا نرتاب في أنّ الصدارة آلت لأحد أعضاء الديوان المذكور المتنقّذين، الذي أضحت له الكلمة العليا. وقد حفظ لنا التاريخ اسمي شخصيتين لا ثالث لهما، وهما : عبد الله بلكباشي (1654-1655م)، "أول من انفرد بالملك والرياسة في الجزائر....، ثمّ تبعه

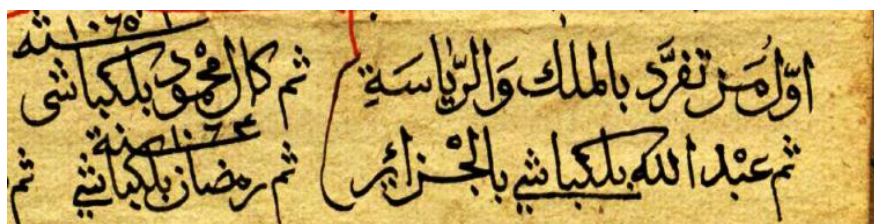
---

<sup>1</sup> محرز، أوجاق...، المرجع السابق، ج. 2، ص. 77-78. انظر أيضًا : حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 121.

<sup>2</sup> ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تحقيق فارس كعوان، بيت الحكمة، العلمة، 2009، ص. 53-54.

<sup>3</sup> محرز، نفس المرجع السابق، ص. 78.

في ذلك كال محمود بلك باشي<sup>1</sup> (1655-1656م) ؛ وما يهمنّا هنا هو الشخصية الثانية، كال محمود بلكباشي، والذي رغم أنّنا نجهل عنه كلّ شيء عنه، إلّا أنّ أهمّيته تكمن في كون "عهدته" شملت التاريخ الذي قرّر فيه ديوان الإنكشارية بناء الجامع الجديد.



## مقطع من مخطوط تاريخ أمراء الجزائر<sup>2</sup>

ومع أنّنا لن نتجرّأ على اعتبار كال محمود "مؤسس" - أو بتعبير آخر الأمر بتشديد - المسجد المذكور في غياب أيّ دليل تاريخي، إلّا أنّه بوسعنا افتراض الباعث على مشروع البناء : ففي إيالة تونس، قام الباي المرادي حمودة باشا (1631-1666م) ببناء جامع غاية في الجمال في جوار جامع الزيتونة بالعاصمة التونسية ؛ وهذا الجامع الحنفي الذي حمل اسمه استغرقت

<sup>1</sup> عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب وال الحال"، تحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص. 225.

الجدير بالتنويه أنّ عضوية ديوان البلوكباشية لم تكن تتعدّى السنتين، فبانتهاء تلك المدّة، كان البلوكباشي يترقّى إلى رتبة اليباباشي، الذي كانت له مهام استشارية بالأساس ضمن أوجاق الإنكشارية. انظر في هذا الصدد : محرز، نفس المرجع السابق، ص ص. 78-82.

<sup>2</sup> مجهول، تاريخ أمراء الجزائر (كذا)، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1639-2، الجزائر، 1745م، و. 5°.

الأعمال فيه أقلّ من سنتين (1654-1655م)<sup>1</sup>. والراجح أنّ "أتراك الجزائر" ساءتهم حالة الضعف التي آلت إليها الإيالة، وحملوا مسؤوليتها للباشوات الفاسدين الذين تعاقبوا على حكم الجزائر منذ عقود، وهذا ما يفسّر غياب أيّ تنويه عن الباشا آواننّديّ ؛ وما يحملنا على الاعتقاد بأنّ "أتراك الجزائر" تأسّوا بحمّودة باشا في بناء الجامع ثلاث مؤشّرات : أولها أنّ الجامع التونسي اكتمل ودشّن في رمضان 1066هـ، أي سنة وشهرين قبل أن يقرّر بناء نظيره بالجزائر - ثانيها هو تماثل موقعيهما، حيث أنّ المسافة الفاصلة بين جامع حمّودة وجامع الزيتونة، المسجد الرئيسي لمدينة تونس، هي نفس المسافة التي تفصل بين الجامع الجديد والجامع الكبير، المسجد المالكي الرئيسي لمدينة الجزائر، خمسة وستين متر بالضبط ؛ وذات التطابق لأحظناه بالنسبة للمسافة الفاصلة بين جامع حمّودة باشا ودار الباي من جهة، والجامع الجديد ودار الإمارة من جهة أخرى، حيث كانت حوالي ستّة وسبعين متراً - ثالثها أنّ كلا الجامعين يقعان في منطقة تجارية تكثّر فيها الأسواق بالمركز التاريخي للمدينتين - وآخرها أنّهما بُنِيا، تبعاً لمشيئة مؤبّسهما، وفق طراز معماري عثماني مميّز تلمح فيه بعض التأثيرات الفنية المحليّة، كما يتّضح في الصور الملحقة أدناه.

---

<sup>1</sup> Justin McGuinness, **The development of conservation management for a pre-industrial North African city: the case of the medina of Tunis**, Thesis for the degree of M.A., Faculty of Social Sciences, Durham University, 1992, p. 36.



مئذنة جامع حمّودة  
باشا المرادي المثمّنة



القبة المركزية البيضوية  
الشكل للجامع الجديد



الأروقة الخارجية لجامع  
حمّودة باشا



العقود الضخمة التي تحمل القبة  
القبة المركزية للجامع الجدي



وتجدر الإشارة إلى أنّ الجامع اختير له موضع المدرسة العنانية أو مدرسة المولى أبو عنان، التي شيدت أواسط القرن الرابع عشر عندما كان المغرب الأوسط تحت الحكم المريني ؛ وشرعت الأعمال فيه قرابة الشهرين بعد قرار البناء، يوم 22 محرّم 1067هـ الموافق لـ 10 نوفمبر 1656م، بهدم المدرسة المذكورة<sup>1</sup>. وقد تمّت توسعة المساحة المخصّصة للبناء بإضافة رقتين مبني عليهما حمّام قديم وقبو (زندانة)، اللّذان كانا يقعان على مقربة من باب البحر<sup>2</sup>. وبوشرت أعمال البناء الفعلية المتمثلة في تسوية أساسات الجامع بتاريخ نهاية صفر 1067هـ الموافق لمنتصف ديسمبر 1656م<sup>3</sup> ؛ ولم يتمّ الانتهاء من الأشغال بوضع آخر اللمسات فيه، إلّا قبيل حلول شهر رمضان 1076هـ الموافق لـ 7 مارس 1666م<sup>4</sup>، أي خلال عهد الحاج علي آغا (1664-1671م) ؛ وهذا يعني أنّ بناء الجامع الجديد، الذي يعدّ أفضل نموذج معماري للجوامع الحنفية العثمانية في الإيالات المغاربية<sup>5</sup>، استغرق ما يقرب من العشر السنوات. ونميل إلى الاعتقاد بأنّ تسمية هذا الجامع لم تأتِ بشكلٍ عرضي، إذ رجّحنا كونها عبارة عن اقتباس لاسم الجامع الذي بنته بإسطنبول السلطانة الوالدة خديجة

<sup>1</sup> Zahra, Op. cit., pp. 58-59.

<sup>2</sup> Chergui, « La "Nouvelle Mosquée"... », Op. cit., p. 236.

<sup>3</sup> Id., p. 241.

<sup>4</sup> Id., p. 238.

<sup>5</sup> عبد العزيز الفضالي، "الجوامع الحنفية في شمال افريقيا بين الأصالة المحلية والتأثيرات العثمانية. دراسة في التخطيط والعمارة"، في : المجلة العلمية بكلية الآداب، ع. 48، 2022، ص. 14.

طورخان بين سنتي 1661 و1663م، وتمّ تدشينه رسميًا في سنة 1665م، حيث حمل اسم "يُكي جامع"، الذي يعني بالعثمانية "الجامع الجديد".<sup>1</sup>

#### الخاتمة :

من خلال دراستنا للمساجد الجامعة الثلاث الأبرز التي عرفتها مدينة الجزائر، يمكننا القول بأنّه اتّضحت لنا فقط بعض الشذرات عن الظروف والشخصيات التاريخية، التي أسهمت في تأسيس تلك المعالم الدينية. ولاعتبارنا أنّ محاولتنا التاريخية قاصرة - في ظلّ الندرة النسبية للمعطيات التاريخية - عن الإحاطة بمجمل جوانب البحث وجزئياته، فإنّ اكتشاف مخطوطات ووثائق أرشيفية جديدة غير مدروسة، علاوةً على القيام بحفريات وعمليات مسح متقدّمة - ولا سيّما فيما يخصّ آثار جامع السيّد المكتشفة حديثًا في ساحة الشهداء -، تبقى وحدها الكفيلة بتنويرنا من خلال سدّ الثغرات وتأكيد أو دحض الافتراضات التي سقناها في ثنايا هذه الدراسة.

---

<sup>1</sup> John Freely, **A history of Ottoman Architecture**, WITpress, Southampton, 2011, pp. 334-339.

## الببليوغرافيا:

1- باللغة العربية :

- بن أبي زرع الفاسي، علي. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تحقيق فارس كعوان، بيت الحكمة، العلمة، 2009.
- بربروس، خير الدين. مذكرات خير الدين بربروس. ترجمة محمد دراج. الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- البكري، أبو عبيد. المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- بلقاضي، بدر الدين و بن حمّوش، مصطفى. تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007.
- بن حمّوش، مصطفى. مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الأمة، الجزائر، 2010.
- بن بلة، خيرة، "مساجد مدينة الجزائر بين مصادر الأوروبيين والدراسات الميدانية"، في: مجلة آثار، مج. 1، ع. 12، 2015، ص ص. 13-23.
- بن بلة، خيرة، "خصائص ومضامين الكتابات التأسيسية بمساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني"، في: المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط، مج. 3، ع. 2، ديسمبر 2023، ص ص. 7-36.
- بورابة، لطيفة. "جامع السيّد المندثر في مدينة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية وأثرية)"، في: مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، مج. 30، ع. 3، 2016، ص ص. 515-543.
- بوزرينة، سعيد. "المساجد المؤرّخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، في : مجلة منبر التراث الأثري، ع. 2، 2013، ص ص. 9-30.
- بوزرينة، سعيد. "الجامع الجديد بمدينة الجزائر... تحفة معمارية عثمانية"، في : مجلة الإنسان والمجال، ع. 1، أبريل 2015، ص ص. 143-154.

- بوزيد، صليحة. "مظاهر التعايش المذهبي بين المالكية والحنفية من خلال وثائق المحاكم الشرعية في الفترة العثمانية في مدينة الجزائر"، في : مجلة دراسات تاريخية، مج. 9، ع. 1، 2024، ص ص. 108-127.
- بومداح، مرزاق. "العلاقات الحمادية المرابطية (445-539هـ/1053-1144م)"، في : الباحث، مج. 12، ع. 1، يناير 2020، ص ص. 156-171.
- تمليكشت، مليكة. "شمعدان جامع الجديد بمدينة الجزائر. دراسة وصفية فنية تحليلية" في : مجلة آثار، مج. 14، ع. 2، ديسمبر 2016، ص ص. 274-281.
- الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد. تاريخ الجزائر العام، ط. 2، ج. 1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.
- حميدة، عبد الرحمن. أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، ط. 3، دار الفكر، دمشق، 1995.
- بن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ج. 6، دار الفكر، بيروت، 2000.
- خليل، وهيبة. "المساجد المندثرة بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية وبعض شواهد المتبقية"، في: مجلة هيروdot للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج. 6، ع. 2، 2022، ص ص. 651-670.
- رصيد المحاكم الشرعية، مركز الأرشيف الوطني، بئر الخادم، العلبة 194، الوثيقة رقم 67.
- زباني، الصادق. "نصوص جغرافية وتاريخية من كتاب 'المسالك والممالك' المفقود لمحمد بن يوسف الوزّاق (ت. 363هـ/974م) مجموعة من كتابي 'المغرب' للبكري و'البيان' لابن عذاري المراكشي"، في: المجلة التاريخية الجزائرية، مج. 7، ع. 2، 2023، ص ص. 159-178.
- سعد الله، أبو القاسم. تاريخ الجزائر الثقافي، ط. 1، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- شريف الزهّار، أحمد. مذكرات الحاج أحمد شريف الزهّار، نقيب أشرف الجزائر، نشر وتعليق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

- عبد القادر، نور الدين. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.
- بن عثمان خوجة، حمدان. المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- عويس، عبد الحليم. دولة بني حمّاد. صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط. 2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
- الفضالي، عبد العزيز. "الجوامع الحنفية في شمال إفريقيا بين الأصالة المحلية والتأثيرات العثمانية. دراسة في التخطيط والعمارة"، في : المجلة العلمية بكلية الآداب، ع. 48، 2022، ص ص. 1-34.
- فويال، سعاد. المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2010.
- كاثكارت، جيمس لياندر. مذكرات أسير الداوي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- لنوار، صبرينة. "مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (القرنين 17-18)"، في : مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية/جامعة بابل، ع. 34، أغسطس 2017، ص ص. 119-126.
- مالتسان، هاينريش فون. ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ج. 1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008.
- مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، الجزائر، 1934.
- مجهول، تاريخ أمراء الجزائر، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1639-2، الجزائر، 1745م.
- محرز، أمين. الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671م)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- محرز، أمين. أوجاق جزائر الغرب (1519-1830م). مقارنة جديدة لدوره التاريخي وتنظيمه العسكري، ج. 1، كوكب العلوم، الجزائر، 2022.
- معروف، بلحاج. "التواصل الفني بين تركيا والجزائر في العصر الحديث. المساجد ذات القبة المركزية بالجزائر دراسة حالة"، في : مجلة منبر التراث الأثري، مج. 8، ع. 1، 2019، ص ص. 163-184.

- منصوري، محمد. "العمارة الدينية المرابطية : مسجدي مدينتي الجزائر وندرومة"، في : حوليات التاريخ والجغرافيا، مج. 5، ع. 9، ديسمبر 2015، ص ص. 173-192.
- موسم، عبد الحفيظ. "التعايش المذهبي بين الحنفية والمالكية في الجزائر خلال العهد العثماني"، في : مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج. 10، ع. 1، جوان 2019، ص ص. 114-159.
- موشموش، محمد. "أثر عمارة مسجد قرطبة على عمارة المساجد المرابطية بالمغرب الأوسط القرنين الخامس والسادس للهجرة"، في : مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج. 3، ع. 1، جوان 2019، ص ص. 270-291.
- موشموش، محمد. "الكتابة التذكارية لمئذنتي مسجدي مدينتي الجزائر وندرومة"، في : مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج. 6، ع. 2، أكتوبر 2022، ص ص. 726-739.
- موقاري، فطوم و شنتوح، ليليا. "الموروث العمراني المرابطي بالجزائري"، في : مجلة التعمير والبناء، مج. 3، ع. 2، جوان 2019، ص ص. 1-28.
- الملي، مبارك بن محمد. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الملي، ج. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.
- الناصري، أحمد بن خالد. كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر بن أحمد الناصري ومحمد الناصري، ج. 1، دار الكتب، الدار البيضاء، 1954.
- الوزان الفاسي، الحسن بن محمد. وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط. 2، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- يوسف، أمير. "الوقف والإدارة الحضرية بمدينة الجزائر خلال القرن 18م (المساجد أنموذجا)"، في : مجلة قضايا تاريخية، ع. 9، جوان 2018، ص ص. 121-130.

## 2- باللغة الأجنبية :

- Bargès, Abbé J. L. « *Inscription arabe de la mosquée maléki à Alger* », in : *Revue de l'Orient, de l'Algérie et des colonies*, T. 5, 1857, pp. 263-270.
- Braun, Georg & Hogenberg, Frans. *De praecipuis, Totius universi urbibus, liber secundus*, Gottfried von Kempen, Cologne, 1575.

- Chergui, Samia. « **Al-Djama' al-A'dham ou le processus conservatoire d'un patrimoine religieux islamique** », in : Vies des villes, n° 5, mai 2006, pp. 75-79.
- Samia Chergui, « **La "Nouvelle Mosquée" d'Alger. Le déroulement d'une procédure constructive au XVII<sup>e</sup> siècle** », in : Revue du Monde Musulman et de la Méditerranée, N° 125, pp. 233-251.
- Colin, Gabriel. **Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie. I. —**  
Département d'Alger, Ernest Leroux, Paris, 1901.
- Corneille, M. **Dictionnaire Universel Geographique et Historique**, T. II,  
Jean-Baptiste Coignard, Paris, 1708.
- Cresti, Federico. « **Description et iconographie de la ville d'Alger au XVI<sup>e</sup> siècle** », in : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n° 34, 1982, pp. 8-21.
- Devoulx, Albert. **Les édifices religieux de l'ancien Alger** (Extrait de la  
Revue Africaine), Typographie Bastide, Alger, 1870.
- Devoulx, Albert. **El Djazaïr. Histoire d'une cité d'Icosium à Alger**, éd. par  
Bedredine Belkadi et Mustapha Benhamouche, ENAG Éditions, Alger, 2003.
- Esquer, Gabriel. **Iconographie historique de l'Algérie depuis le XVI<sup>e</sup> siècle jusqu'à 1871**, vol. 1, Librairie Plon, Paris, 1929.
- Freely, John. **A history of Ottoman Architecture**, WITpress, Southampton,  
2011.
- de Haedo, Fray Diego. **Topographia e Historia general de Argel**, Diego  
Fernandez de Cordova y Oniedo, Valladolid, 1612.
- Ibn Idhâr al-murrâkuchî. **Histoire de l'Afrique du Nord et de l'Espagne musulmane intitulée Kitâb Al-bayân al-mughrib fî akhbâr al-Andalus wa al-Maghrib**, publ. par G. S. Colin & É. Levi-Provençal, T. I, 3<sup>e</sup> éd., Dar Assakafa,  
Beyrouth, 1983.

- Ihadaddène, Nadja. « **Aperçu historique et urbanistique de la ville de Djazaïr bani Mazghanna** », in : Revue d'études archéologiques, vol. 9, N° 1, décembre 2011, pp. 4-63.
- Julien, Charles-André. **Les Africains**, vol. 3, Éditions Jeune Afrique, Paris, 1977.
- van Krieken, Gerard. **Corsaires & marchands. Les relations entre Alger et les Pays-Bas, 1604-1830**, Éditions Bouchène, Paris, 2002.
- Lapène, Edouard. **Tableau historique de l'Algérie**, Imprimerie de S. Lamort, Metz, 1845.
- Marçais, Georges. **L'architecture musulmane d'Occident : Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile**. Arts et métiers graphiques, Paris, 1954.
- Marchika, Jean. **La peste en Afrique septentrionale. Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830**, Jules Carbonel, Alger, 1927.
- de Mayerne Turquet, Loys. **L'histoire générale d'Espagne**, Vol. II, Samuel Thiboust, Paris, 1635.
- McGuinness, Justin. **The development of conservation management for a pre-industrial North African city: the case of the medina of Tunis**, Thesis for the degree of M.A., Faculty of Social Sciences, Durham University, 1992.
- Missoum, Sakina. **Alger à l'époque ottomane. La médina et la maison traditionnelle**, INAS, Alger, 2003.
- Mercier, Ernest. **Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)**, T. 3, Ernest Leroux, Paris, 1891.
- Rang, Sander & Denis, Ferdinand. **Fondation de la Régence d'Alger. Histoire des Barberousse, chronique arabe du XVI<sup>e</sup> siècle**, T. 1, Éditions Bouslama, Tunis, 1984.
- Raymond, André. « **Le centre d'Alger en 1830** », in : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n° 31, 1981, pp. 82-84.



- de Sandoval, C.X. « **Les inscriptions d'Oran et de Mers-El-Kebir. Notice historique sur ces deux places depuis la conquête jusqu'à leur abandon en 1792** », trad. par Dr. Monnereau, in : *Revue Africaine*, N° 15, 1871, pp. 434-446.
- Şükürov, Qiyas. « **Endülüs istidanamesi ve Kemal Reis'in İspanya seferi** », in : *ISTEM*, n° 14, 2009, pp. 332-332.
- Turan, Tufan. « **Çatışmadan Ateşkese Osmanlı-İspanyol İlişkileri (1301-1581)** », in : *History Studies*, vol. 4, n° 3, October 2012, pp. 198-198.
- Zakia Zahra, **D'Istanbul à Alger : la fondation de waqf des Subul al-Khayrât et ses mosquées hanéfites à l'époque ottomane (du début du XVIII<sup>e</sup> siècle à la colonisation française)**, Doctorat en Histoire, spécialité Espaces, Cultures, Sociétés, Aix-Marseille Université, 2012.
- de Zayas, Rodrigo. **Les Morisques et le racismes d'état**, Éditions de la Différence, Paris, 1992.

# الهيئة العمرانية والمعمارية للقصور الصحراوية بالجزائر، حالة قصر بوسعادة

أ.د. خلف الله بوجمعه

د.برغوية فاطمة الزهراء

جامعة المسيلة

جامعة تيارت

## مقدمة

مارس الإنسان نشاط البناء والتعمير منذ القدم ليقوم بتصنيع منتجات عمرانية تشكل له ذلك الملجأ الذي يحميه ويقيه من الفضاء الخارجي بكل ما يحويه بظروف قاسية ومتقلبة وانعدام في الأمن وغياب في الخصوصية، ولقد خضع نمط التركيب العمراني للبيئة التي شيدها الإنسان إلى كثير من الثوابت والمتغيرات حيث يمثل النسيج العمراني لأي اجتماع بشري الكيان العمراني الناشئ من الحوار بين الشكل والخصائص الطبيعية فوق الموضع المختار ثم التفاعل الاجتماعي الثقافي فوق هذا الموضع مع المؤثرات المناخية ليعطي مصهورا للبيئة المبنية يحتل فيها المنتج الاجتماعي الإنساني مرتبة الريادة. ويعكس العمران والعمارة التقليدية تشكيلا ماديا ووظيفيا يؤدي أغراضا إنسانية ومتطلبات حياتية من خلال وسائل زمانية ومكانية مرتبطة ارتباطا وثيقا بحياة الجماعة وتخضع للمؤثرات الاجتماعية والعوامل الطبيعية والمناخ، وتحليل هذه المؤثرات يتضح التباين بينها، ويجعل كل منها تتميز بطبيعة خاصة. فبعضها يشغل مساحات مستوية وبعضها الآخر يتموضع فوق الهضاب والمرتفعات كما يختلفان من حيث نوع الغطاء

النباتي وكثافته وكذا نمط التشكيل والتصميم ومواد البناء المعتمدة. وسنحاول القيام بدراسة تحليلية لخصائص العمران التقليدي في بيئتين مختلفتين تماما من حيث الطبيعة والمناخ ألا وهما البيئة الصحراوية والبيئة الجبلية، فعند الحديث عن الصحراء أو الجبل أول ما يتبادر إلى الذهن هو قساوة الطبيعة واستحالة الحياة فيها إلا أن الإنسان القديم آنذاك طوع هذه العوائق لصالحه ومارس إبداعه في تصنيع بيئته من خلال ما تحويه هذه الأخيرة من إمكانيات وما تخزنه من مصادر طاقة ومواد أولية فأنتج عمارة صديقة للبيئة لا تزال ليومنا هذا مصدر الهام للمختصين في مجال التخطيط العمراني والتصميم المعماري، ولكن السؤال هنا هو كيف تم ذلك؟

1. مميزات العمران التقليدي في المناطق الصحراوية (القصور) تقع القصور بصحراء الجزائر. وهي تمثل صور الإبداع الهندسي الذي ميز جنوب شمال إفريقيا. وقد اختلفت مفاهيمها وتنوعت في المصادر التاريخية. فمفهوم كلمة القصر لا يعني الوحدة السكنية المتصلة بالملك فقط وحرимه (محمد الطيب، 2010)، وإنما هو مكان لاجتماع بشري متجانس ومتربط نسلا وعرفا وعقيدة في موضع به متطلبات الحياة، ويكون نطقه بسكون القاف وفتح وتفخيم الصاد. ومثلما هو الحال في بعض مدن شمال الجزائر التي تسمى بأسماء أولياءها الصالحين كسيدي بلعباس، فإن سكان الصحراء أيضا يسمون مدنها بالقصر وينسبونه إما إلى ولي صالح كان له الفضل في تأسيسه كقصر سيدي عمران أو إلى اتجاهات معينة كالقصر

القبلي أو قبيلة معينة او الى صفة دالة على موقعه أو نسبة إلى لون مادة البناء كالقصر الأحمر والقصر الأبيض.

1. التركيب العمراني للقصر: من الناحية المرفولوجية اختلفت الدراسات في تنميط القصور الجزائرية ولكنها على الأغلب تأخذ شكلين: دائري بربري محض قديم النشأة وشكل مربع جاء كنتيجة لتمازج الخبرات البربرية والعربية، وأما من ناحية الموضع فقد كانت القصور تمتد على طول مسلك مرور القوافل ليتم تزويدها بما تحتاجه من منتوجات (يمينة، 2011). واتصفت تكوينات القصر العمرانية بأبعاد حضرية - تقيد بها الساكن المحلي - نابعة من الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه السمحة، فقد تميز تركيبه العمراني بكتل متضامة ومتراصة محاطة بأسوار محصنة بأبراج معززة بشرفات وتتخللها أبواب محكمة بضوابط الدخول والخروج لمراقبة حركة المارة، احيانا يحيط بالسور خندق، وقد يعوض السور بجدران البيوت الخارجية كتجمونت بالاغواط، أو محصنة طبيعيا بجبال كقصر القنادسة ببشار. وأما بالنسبة للشوارع فقامت على مقاسات تنوعت بتنوع حجم حركة المارة والوظائف اليومية الممارسة، إذ تتسع أحيانا وتمتد وتضيق وتقصر تارة أخرى، وتراوحت بين الاستقامة أحيانا والانكسارات المقصودة للتحكم في المؤثرات الطبيعية وكبحها في الظروف الحاسمة، كتقليل منسوب المياه في الشتاء والحد من الزوايع الرملية، وأيضا نسبة من الرطوبة بكسر وهج الشمس الحارقة. وأما بالنسبة للبنائيات فهي تتموضع على حافتي الدروب وتتكون في الغالب من طابق ارضي وأحيانا تتواجد غرفة في الطابق الأول تستعمل لأغراض خاصة، ترسم تلك

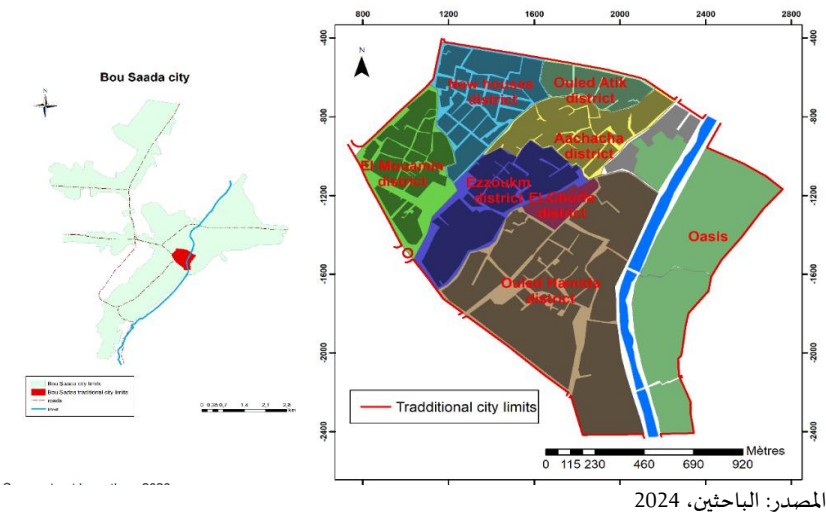
البنائيات بواجهات صماء فقد كان التصميم آنذاك قائم على مبدأ تنظيم الفراغ ما جعل المجال السكني ينفتح نحو الداخل. وقد أخذت جدران الواجهات لون الطين والطوب الذي يعتبر مادة البناء الأساسية تستخرج من تربة المكان ويتم تصنيعها يدويا (صورة م.، ب.س)، وهذا ما جعل المتأمل في المظهر العام للقصر الذي يتميز بالبساطة، التلقائية، الخصوصية، يحس بالانسجام والتوافق بين لون البنائيات ولون الطبيعة المحيطة أي منها واليها "وعليه قد تختلف التسميات ولكن الداخل إلى قصر توات كالداخل إلى قصر واد ريغ، قصور أولف، قصر امدوكال... وغيرها من القصور" (يمينة، 2011).

## 2. المدينة التقليدية ببوسعادة كنموذج للعمران الصحراوي

يمتد اقليم مدينة بوسعادة على المنطقة الرابطة بين الخيمة الحمراء لاولاد نايل والخيمة السوداء للحضنة (Zahi, 2013) وتصنف المدينة من ضمن المدن الصحراوية التي نمت وتطورت بطريقة ذاتية تداخلت فيها ظروف جغرافية واخرى تجارية (عبد الحق م.، 2011). كانت المدينة التقليدية ببوسعادة ماهولة من طرف قبيلة البدارنة المقيمين بالقرب من الوادي (محمد ب، 2014) وبعد مجيء الوليين سيدي ثامر وسيدي سليمان وتفرع عائلاتهم تأسست هذه الاخيرة وتطورت الى منطقة حضارية لتشكل المركز التاريخي للمدينة الحالية. وتقع المدينة التقليدية في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة بوسعادة، تقدر مساحتها ب 71.55 هكتار يحدها من الشمال الطريق الوطني رقم 60 المتجه نحو بسكرة وحي 20 اوت، من الجنوب وادي بوسعادة وحي البلاطو، من الشرق وادي بوسعادة، ومن

الغرب حي 19 جوان الطريق الوطني رقم 08. وتتكون المدينة التقليدية من 07 حارات تتشابه من حيث الخصائص والمميزات العمرانية والمعمارية والتركيبية الاجتماعية والانشطة الاقتصادية ولا يوجد دليل زمني يبين تاريخ تأسيس كل منها ولكن المؤكد انها جاءت على فترات زمنية متعاقبة ومتقاربة حيث تمثل حارة اولاد عتيق مكان اقامة اولاد عتيق احفاد سيدي ثامر اما حارة العشايشة فهي مقر اقامة طلبة العلم والقران وحارة اولاد حميدة احفاد عتيق الذين سكنوا موضع الرملية، حارة الزقم تضم مجموعة من العائلات والطوائف التي تناسبت وتصاهرت فيما بينها ، حارة الشرفة وحارة الموامين تقطنها قبائل عربية تعود لبني هلال انضاف اليهم بعض عائلات سيدي سليمان وقد فقد هذا الحي جزءه الغربي نتيجة الزلزال الذي ضرب بوسعادة عام 1817م (محمد ب..، 2014) ليتم اعادة بنائه بطريقة مغايرة لمبادئ الحارات المتاخمة له وسمي بحي الديار الجدد.

### الشكل رقم (1): موقع المدينة التقليدية بالنسبة لمدينة بوسعادة



1.3. الخصائص العمرانية والمعمارية للمدينة التقليدية ببوسعادة: تنتمي المدينة الى اقليم صحراوي حتم على الراغب في الاستقرار به الى اتباع اشتراطات وتنظيمات لتطويع البيئة الصحراوية القاسية لخدمة حاجياته وقد مثل هذا النمط من التعمير اصدق تعبير عن الاحترام اللامتناهي بين الانسان القديم وبيئته المحلية التي دعمها وكون منها علاقة تبادلية بين احتياجاته ومظاهرها "ما خلق تناسب في مساحة المدينة التقليدية والكثافة السكانية فجاءت هذه الاخيرة محدودة الحجم والسكان وسمحت بالتحكم في الموارد وتنظيم الخدمات" (بوجمعه، 2008).

1.1.3 النسق العضوي والتكامل الوظيفي: تمثل المدينة التقليدية ببوسعادة أحد نماذج المدينة العربية الاسلامية التقليدية فمظهرها المرفولوجي يعكس مفهوم الاحتوائية الذي يربط ببراعة الهيئة الاجتماعية والاجزاء العمرانية والمعمارية الحاوية لها في نسق عضوي موحد متكامل ومتوازن جعل المدينة كيانا واحدا يتميز بالشمولية والتخصيص في ان واحد حيث ان كل عضو له مميزاته ويمارس مهامه بالتنسيق مع بقية الاعضاء لتحقيق الخدمة العامة. و تتجسد المدينة التقليدية ببوسعادة كمنظومة عمرانية مترابطة ومتكاملة الاعضاء تتجسد صورتها الوظيفية ضمن 04 مجالات رئيسية:

ا. المجال الديني: يرتسم المجال الديني في عنصر المسجد الذي يمثل القلب النابض للجزيرات المكونة للنسيج العام. اما حاليا ومع التحولات الوظيفية وتشعب العلوم وتفرعها ظهرت مؤسسات وهيكل مختلفة جردت المساجد من بعض الوظائف واصبح دورها اداء الصلوات واحياء المناسبات الدينية.

ب. المجال السكني: الملاحظ ان اختيار موضع السكنات لم يكن مسبق التخطيط والبرمجة وانما جاء نتيجة الاحتياجات المتجددة انذاك. فعند تتبع المسار التاريخي لهيكله القصر نجد ان اول مسجد تم بناؤه هو مسجد النخلة من طرف المؤسس سيدي ثامر انتظمت حوله مساكن لابنائهم فسميت بحارة اولاد عتيق. وتم اقتطاع الجزء السفلي لحفظة القران وطلبة العلم وسمي بحارة العشاشة ثم حارة اولاد حميدة وبعد تكاثر العائلات وظهرت تجزئات جديدة.

ج. مجال العمل: ركزت مبادئ العمران التقليدي على الاستقرار بالقرب من نقاط الماء والغطاء النباتي وموضع المدينة التقليدية ببوسعادة لا يخرج عن هذا السياق حيث نجد واحة النخيل التي تحدها من الجهة الشمالية والبساتين المترامية على الضفة الغربية لواد بوسعادة اللذين شكلا اهم مصدر القوت الاساسي لسكان المنطقة وكذلك الموضع الاستراتيجي للأسواق (النفاذية) من مختلف جهات المنطقة بالاضافة الى تواجد حي اليهود المعروفون بحرفة السباكة وصناعة الحلي والاولاني التقليدية.

د. مجال الربط والمواصلات: تربط بين المجالات الوظيفية السابقة الذكر شبكة طرق ذات خاصية تجميعية وتوزيعية صممت باحجام حسب استعمالها.

2.1.3 المركزية والتدرج المجالي: تظهر خاصية المركزية بوضوح في التشكيل العمراني العام للمدينة التقليدية وتتخذ مواضع مختلفة من اصغر نقطة والتي تمثل الدار الى مجال اوسع اين يتشكل محيط المدينة، وهي لا تأخذ المركز الهندسي بالضرورة وانما تتجسد في العنصر المسيطر الذي تنتظم



حوله باقي العناصر المرتبطة به حيث نجد الفناء الداخلي الذي تتوزع حوله الغرف المكونة للمسكن وحيانا تفوق مساحته مساحة الغرف لحجم وتنوع الاستعمالات والممارسات فيه ثم مجموع المساكن التي تحيط بالمسجد وهنا تجدر الإشارة الى انه رغم تقارب المسافات بين الحارات المهيكلية للمدينة التقليدية الا ان لكل واحدة منها مسجدها الخاص وهذا دلالة على الدور العظيم الذي كانت تلعبه المساجد في التركيبة العمرانية قديما " حيث تمثل القلب النابض ومحرك النشاطات الحضرية" (ابراهيم ب.، 1992).

3.1.3 المقياس ومنهجية التصميم: ترتسم منهجية وجمالية التصميم العمراني والمعماري للمدينة التقليدية ببوسعادة في مضمون الوحدة بين الشكل والمضمون والتناسب بين حجم الكتل والفراغات التي صممت تبعا لمقياس الانسان واحتياجاته الرئيسية من خلال تقارب المسافات وتوفير الامن والحرمة والراحة الجسدية والنفسية. والتخطيط العام للمدينة يغلب عليه طابع التراص، التلقائية والبساطة ولكن تحكمه عوامل اجتماعية بالدرجة الاولى واخرى اقتصادية ومناخية..

4.1.3 التخطيط المتضام ومراقبة الفراغات: ان التخطيط المتضام والمتراص قد فرضته ثلاث منظومات مترابطة بينها حيث انه لا يمكن تطبيق احداها بمعزل عن البقية وهي كالتالي:

ا. المنظومة الاجتماعية: يتضح مفهوم المنظومة الاجتماعية بصورة جلية في هيكلية القصر الى 07 حارات فكل حارة تقطنها عائلات تربطها صلة القرابة والمصاهرة وفي بعض الاحيان علاقات نفعية. وتمتاز العلاقات داخل العائلات بالتعاقد والتآزر والعصبية. " (زهية ش.، 2006).

ب. المنظومة البيئية: يفرض الطابع الصحراوي والمناخ الجاف على المدينة التقليدية ببوسعادة شكلها ومرفولوجيتها واساليب عيشها فالتفاوت الكبير في درجة الحرارة ليلا ونهارا صيفا وشتاء حتم على السكان المحليين البحث عن الاسلوب الانجع الذي يضمن لهم بيئة داخلية وخارجية مريحة. فتراصف وتكتل المباني يعمل على توفير اكبر قدر من الظلال التي تسقطها هذه الاخيرة على بعضها والنتيجة عن الاختلاف في المستويات وبالتالي تتسرب الطاقة الحرارية الى الداخل في اضيق الحدود، كما يعمل هذا النمط من التخطيط على الحفاظ على ركود الهواء البارد اسفل الشارع (الكعي، ب.س) ما يساعد السكان المحليين على مزاولة انشطتهم في ظروف مناخية ملائمة.

5. المنظومة الاقتصادية: كرس العمران التقليدي مبدا التضام بغية الاقتصاد والاستهلاك الرشيد للمجال الحضري والذي حقق اسس التشكيل العمراني المستدام قبل الاعلان عليه في القمم العالمية "حيث اكد على ضرورة تحقيق التناسب بين مساحة القصر والكثافة السكانية بحيث يتم خلق تجمعات حضرية محدودة الحجم والسكان للتحكم في الموارد وتنظيم الخدمات" (بوجمعه، 2008).

5.1.3 مواد وتقنيات البناء: ان الغاية من استعمال مواد بناء محلية هي توفير مجموعة من الفوائد نذكر منها:

● تلبية اقصى احتياجات الراحة الحرارية للمستعمل على مدار الفصول الاربعة.

● وفرتها، سهولة الحصول عليها، تصنيعها وصيانتها بأقل قدر من التكاليف.

● تحقيق الانسجام بين المحيط العمراني والبيئة الطبيعية الحاوية له.

● الجودة والديمومة بحيث لا تسبب تأثيرات سلبية على الصحة والبيئة سواء عند استخراجها، نقلها، عملية البناء وحتى بعد انتهاء عمر المبنى الافتراضي حيث تصبح موردا ومصدرا يتم اعتماده في بناء منشآت اخرى.

وعلى اعتبار ان مدينة بوسعادة تنتمي الى المجال الصحراوي فقد تم اعتماد عنصر المناخ كمتدخل مهم في تصميم البيئة المبنية بمواد ذات خاصية عالية في تحقيق التوازن بين الحرارة والبرودة، وتنوع مواد البناء المعتمد في المباني التقليدية بالمنطقة على النحو التالي: الحجارة، الطوب، الجير، الماء، الخشب والنباتات. وبالنسبة لتقنيات البناء المعتمدة في المدينة التقليدية ببوسعادة نجد:

- تقنية الحشو والمزج باستخدام حجارة غير مهذبة بطريقة متراصة وتملا الفراغات بينها باحجار صغيرة او مواد بناء اخرى كالجير وتتطلب هذه التقنية تغطية الجدران بالملاط حتى تبدو متجانسة.

- تقنية المداميك (جمع مدماك) وهي عبارة عن صفوف افقية متتابعة من مواد بناء مستعملة سواء الحجارة او الخشب او الطوب (مرزوق، 2014) وقد استخدمت في اسوار البساتين والاجزاء العلوية لجدران المساكن. تتطلب تقنية المدك استعمال حجارة مهذبة تربطها طبقة من الملاط وتوضع كل قطعة من الصف الموالي في منتصف قطعة الصف السابق

لسد الفجوات كما انها تضيي جانب جمالي ولا تستلزم تلبيس الجدران لستر التشوهات.

2. 3 العناصر المعمارية والعمرانية المكونة للمدينة التقليدية ببوسعادة: سنتطرق في هذا العنصر الى مختلف الاجزاء المكونة للمدينة التقليدية ببوسعادة والتي تعكس بصدق الخصائص السالفة الذكر.

1.2.3 المساجد: تتوفر المدينة التقليدية ببوسعادة على مجموعة من المساجد الاثرية تقدر مساحتها ب 5596.39م<sup>2</sup> وتمثل حوالي 8.52% من المساحة الاجمالية (مديرية الشؤون الدينية والاقواف، 2017)، ويعتبر المسجد العتيق او مسجد النخلة او مسجد سيدي ثامر اول لبنة معمارية تم توطئها على ارض بوسعادة يتصف بالهندسة الاسلامية الاصلية في موقعه ومواد بناءه ما جعله يصنف كمسجد وطني. بني المسجد عام 1935م الموافق ل 795هـ على يد مؤسسي المدينة سيدي ثامر وسليمان بن ربيعة كما خضع لعملية ترميم وتوسعة عام 1983م لاستيعاب عدد المصلين المتزايد فاصالته وعمقه التاريخي تجعلانه عامر طوال العام خاصة في الاعياد وهذا كونه رمز للحنين الى الماضي وتعبير صادق يستحدث احاسيس وافكار السكان الاصليين. وبالنسبة لباقي المساجد داخل المدينة التقليدية فهي تتوزع على النحو الاتي:

- مسجد الروضة بحي أولاد عتيق (العرقوب) يتربع على مساحة تقدر ب 160م<sup>2</sup> تعود ملكيته للوقف.

- مسجد مصعب بن عمير يقع بحي الزقم وتفيد الروايات انه ثاني اقدم مسجد بمدينة بوسعادة.

- مسجد الشرفاء يقع بحارة الشرفة يتربع على مساحة تقدر ب 280م<sup>2</sup> تعود ملكيته للدولة.

-مسجد عبد الحميد بن باديس يقع بحارة أولاد حميدة بمساحة تقدر ب 200م<sup>2</sup> وتتبع ملكيته للدولة.

-مسجد عبد الله بن مسعود في الجهة الجنوبية لحارة الموامين يتربع على مساحة تقدر ب 1021 م<sup>2</sup>.



2.2.3 الشوارع والرحبات بالمدينة التقليدية ببوسعادة: تمثل شبكة الطرق شرايين تتغذى منها كافة الحارات المهيكلية للمدينة التقليدية. وهي متدرجة حسب حاجة المستعمل ووسائل النقل انذاك. فقد انتظمت في

تكامل واضح من شوارع رئيسية الى شوارع ثانوية تفصل بين المساكن تؤول الى دروب وازقة نفوذة وغير نفوذة (بوجمعه، 2007). ورغم التفاوت في عدد وحجم الشوارع الا انها لم تخرج في مجملها عن اسس التخطيط العمراني التقليدي الاسلامي الذي اكد على ضرورة الاستغلال الامثل للمجال الحضري (Nouibat, 2007) بخلق فضاءات خارجية حسب الحاجة صالحة للممارسات الجماعية سواء بالنسبة للحركة او الاستراحة.

ا. الشوارع الرئيسية: تحتوي المدينة التقليدية على شارعين رئيسيين يتمثلان في محور حارة الموامين بطول 500م ومحور حارة اولاد حميدة بطول 800م يكونان العصب النابض لنظام الحركة للمدينة سواء الميكانيكية او الراجلين. ويربطان منافذ المدينة ببعضها البعض حيث ينفتحان على الطريق الوطني رقم 08 غربا، يشغل الشارعين الرئيسيين الجهتين الشمالية والجنوبية للمدينة التقليدية وكأنها امتدت على رواق محصور بينهما، ولا يسمحان بالتوغل مباشرة اليها الا عبر المنافذ التي تتفرع عنهما.

#### ب. الشوارع الثانوية:

وهي تسمى بالدروب او الأزقة. وتمتاز بأبعاده القصيرة والضيقة عن سابقه. فعرضه لا يتجاوز 2.5م ولا يسمح بمرور الحركة الميكانيكية، يربط هذا النمط بين الشوارع الرئيسية والوحدات السكنية وفق تدرج مجالي من العام نحو الخاص لتستعمل فقط من الساكنة المحلية او من لهم اتصال بهم. وهي تنفتح على نقاط عامة (رحبات واسواق) حيث الانشطة التجارية والخدمية (اياد عاشور، 2010). ونلاحظ وجود دروب مغطاة او ما يعرف

بالمسابط الذي تتعدد استعمالاته بين خاصة وعامة. وهي تمثل غالبا فواصل بين الحارات، وله تأثيرات ايجابية من الناحية المناخية حيث يحدث تلاعبا بين الضوء والظل ما يضفي لمسة خاصة على الصورة البصرية للمدينة (اياد عاشور، 2010).

ج. الممرات غير النفوذة: تمثل العنصر الاصغر في شبكة الحركة والتنقل بحيث لا يتجاوز عرضها 01م تربط بين مسكنين على الاكثر وتجمع بينهما في الطابق العلوي، تسمح الممرات المغطاة غير النافذة بممارسة مختلف النشاطات العائلية حيث توفر مكان لالتقاء الجيران ولعب الاطفال والمناسبات كما توفر جو منعش يسمح بالاستراحة والتبريد اثناء القيلولة.

د. الرحبات والتقاطعات يقصد بالرحبات المجالات الخارجية غير المبنية وتصميمها لا يقل اهمية عن تصميم الوحدات العمرانية المبنية المكونة للمدينة التقليدية ببوسعادة كما انها لم تات كمحصلة نهائية بعد الانتهاء من اقامة الوحدات السكنية وانما وفق مخطط مدروس حدد موقعها بحيث يكون نفوذ وسهل الوصول ومساحتها التي تتناسب طرديا حسب النشاطات والوظائف التي تؤديها، ولقد اثبتت بعض الدراسات لمساحة الفراغات الخارجية المكشوفة ان نسبتها في المدينة التقليدية حوالي 11% من مساحتها بينما في المدن الرومانية تبلغ 31% وهذا راجع لملاءمة واعتدال المناخ عكس سابقتها. "وتلعب الرحبات دورا هاما في شحن الحياة الاجتماعية والاقتصادية". (بوجمعه، 2007).



ثانوي شارع : (6) رقم الصورة



رئيسي شارع : (5) رقم الصورة



نفوذ غير ممر : (7) رقم الصورة

3.2.3 السوق: يستجيب سوق المدينة التقليدية ببوسعادة لمختلف المقاييس السالفة الذكر اذ لا يزال يمثل عصبها التجاري وقد اختير له موقع الجهة الجنوبية برحلة البيض التي تقع بمحاذاة المدخل الرئيسي الجنوبي الغربي للأسباب التالية:



□ البعد عن الوحدات السكنية وبالتالي تجنب الحاق الضرر بالسكان  
جراء الفوضى اليومية الحاصلة في السوق.

□ تحقيق مبدا النفاذية والسيولة الحركية بحيث تصب فيها العديد من  
الشوارع والممرات.



4.2.3 الاسوار والبوابات: يعتبر الامن والحماية من اهم الاشتراطات  
الواجب تحقيقها في المدن ويتجسد في اقامة اسوار وابراج دفاعية شديدة  
الصلابة والمقاومة للهجمات العدائية (محمد الطيب، 2010) ، وبالنسبة  
للمدينة التقليدية ببوسعادة فهي على غرار المدن الاسلامية التقليدية قد  
شهدت في مراحلها الاولى اقامة سور يحيط بها ولا يوجد دليل ملموس على  
ذلك ولكن ما جعلنا نعتقد بقيام هذا العنصر البنائي هو وجود 03 بوابات:

■ باب لوبيب لحارة الموامين، باب جمعة لحارة الزقم، باب بوعبد  
الله الذي تشترك فيه الحارات الاولى (اولاد عتيق، العشاشة والشرفة).

5.2.3 المساكن التقليدية ببوسعادة: المسكن التقليدي ببوسعادة جاء  
تصميمه وفق ابعاد انسانية تقتضي تحقيق الامان والحماية والاستقلالية

والانتماء والاستدامة فقد عكس مظهره العمراني بساطة حاجيات الانسان. وتتنوع بين:

- نمط كبير لا تفوق مساحته 314م<sup>2</sup>، عددها قليل يعكس الحالة الاقتصادية لبعض المساكن تطل على الشوارع الرئيسية والممرات.

- نمط متوسط تتراوح مساحته من 50م<sup>2</sup> الى 100م<sup>2</sup> وهو الغالب يضم مجموعة من 03 الى 04 غرف.

- نمط صغير لا تتعدى مساحته 50م<sup>2</sup> يتواجد في الممرات غير النفوذة به العائلات الفقيرة

اما من حيث تكوينها فهي تضم العناصر التالية:

ا. الواجهات: من ميزات الواجهات الخارجية للمساكن التقليدية ببوسعادة انها بسيطة وصماء حيث لا تتجاوز نسبة الفتحات فيها من 10% الى 12%.

ب. الابواب: صنعت الابواب من الخشب المحلي (الصنوبر والنخيل) واما تشكيلها فهو بسيط ليس فيه من اثر الزخرفة حيث يتكون من دفتين ولا تفتح الدفة الثانية الا للضرورة القصوى، لا يتجاوز عرض الابواب 01م واما طولها فبقدر طول الشخص. وهي لا تتموضع مقابل بعضها على طول الشارع.



ج. النوافذ: لا يتعدى دور النوافذ في المساكن التقليدية ببوسعادة توفير نوع من التهوية والاضاءة وابعادها صغيرة التي تتراوح بين 30سم و40سم تحميها قضبان حديدية وخشبية. كما أنها تتموضع في الطابق الارضي فوق المداخل على بعد 30سم من السقف وقد تم اعتماد هذا المقياس قديما حتى لا يتسنى لراكب الجمل التطلع الى الداخل واما قوامها الهندسي فقد كان بسيطا يتمثل في شكل مربع او مستطيل خال من الزخرفة والبروزات وقد جاءت هي الاخرى في مواضع متناوبة احتراما لحرمة الجار.

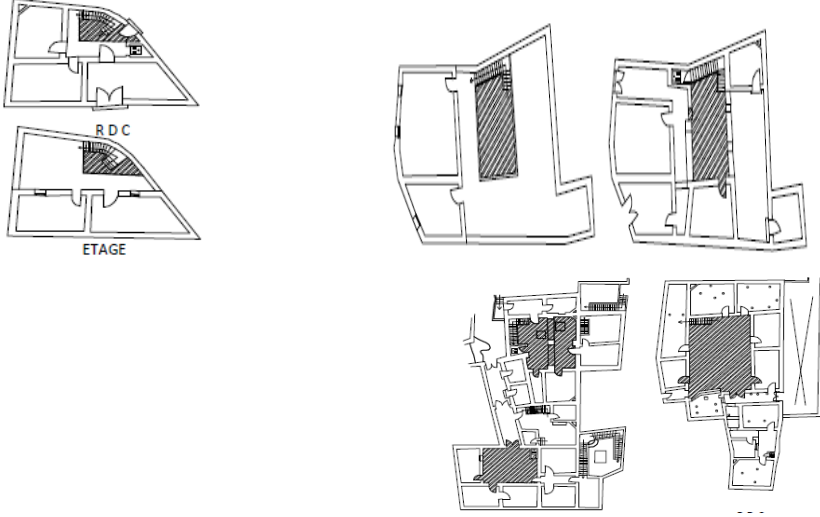
د. الفناء: يمثل الفناء او الصحن او الحوش كما هو متداول عند عامة الناس النواة المركزية التي تطل عليها مختلف الوحدات المكونة للمسكن

تتراوح مساحتها حسب مساحة المسكن من صغيرة الى واسعة وحيانا نجد اكثر من فناء في المسكن الواحد. وهذا العنصر ضروري في البيئة الصحراوية لتعدد استعمالاته من مصدر للاضاءة والتهوية، مقر لتجمع افراد العائلة خاصة في فترة المساء وهنا يلعب دور الرحبة ولكن على مستوى مصغر، و تمارس فيه حتى الاعمال المنزلية كالغسيل والطبخ في المناسبات

هـ. السقيفة: تختلف اشكال السقائف من حيث التخطيط والمساحة وتعتبر همزة وصل بين الداخل والخارج حيث انها اول عنصر انشائي يلي مدخل المسكن له عدة وظائف معنوية وعملية تخدم البيت واصحابه (عبد الحق م.، 2011) اذ يشكل حاجزا يخفف تدريجيا من حدة درجة الحرارة بالنسبة للداخل الى الدار في بيئة صحراوية كما انها تمثل مدخل منكسرا يمنع السائل امام الباب من مد بصره الى الداخل.

و. المطبخ والمخزن: كثيرا ما يتموضع المطبخ والمخزن بجانب بعضهما البعض حيث انهما يكملان بعضهما، يطل المطبخ عادة على الهو ويضم ادوات بسيطة وضرورية مخصصة للطهي كما ان مساحته في اغلب المساكن لا تسمح باضافة تجهيزات حديثة، اما المخزن فخصص لتخزين المؤونة ومختلف مستلزمات الاسرة ما جعل مساحته تفوق احيانا مساحة المطبخ ولكن ما يعيب على هذين المكونين المعماريين انهما يفتقدان لقدر كاف من التهوية والاضاءة التي تحد من انتشار البكتيريا والطفيليات.

ز. الغرف: تخصص الغرف لاستقبال الضيوف والنوم تتبع اضاءتها وتهويتها لعنصر الفناء واما مساحتها وعددها فتتنوع حسب نمط الوحدة السكنية من صغيرة الى متوسطة الى كبيرة الحجم.



ببوسعادة التقليدية بالمدينة السكنات نمطية : (15، 16، 17) رقم الصورة

## الخلاصة

مثلت العمارة على مر العصور انعكاسا صادقا للبيئة الحضارية التي كانت تسود كل مرحلة من المراحل التاريخية المتلاحقة، فشكلت بصمة واقعية مقروءة عكست المنهج والتفكير الذي انتهجته الحضارات السابقة طيلة فترة وجودها. والجزائر تعتبر من بين الدول القلائل التي تحتضن مواقع أثرية وتاريخية تعود لمختلف الحضارات التي استوطنت العالم بدءا من العصر الحجري ثم البربر الذين أقاموا أول دولة منظمة في الصحراء مرورا إلى البحارة الفينيقيين الذين تركوا بصماتهم على موانئ المتوسط إلى سيطرة الرومان أعظم المهندسين الذين عرفهم التاريخ ثم رايات الفتح الإسلامي التي جاءت لتمزج بين العرب والبربر في عقيدة واحدة، حيث تميزت العمارة الإسلامية بطرز وإنشاءات زاوجت فيها بين ذكاء أهل الجماعة ومتطلبات البيئة المحيطة.

لقد فرضت الساكنة المحلية آنذاك جملة من الضوابط والتقييدات الصارمة نابعة من الدين الحنيف فاحتوت بذلك العمارة الإسلامية روح الحياة الاجتماعية البسيطة التي تجلت في توحيد النمط المعماري والعمراني وبساطة المظهر الخارجي لمساكنه وتضامها وانسجامها والبيئة المحيطة، ما جعلها تستوعب مفهوم التنمية المستدامة قبل الإعلان عليه في القمم العالمية، "ويتجلى ذلك في بالتوفيق بين التنمية العمرانية وحاجات السكان" (بوجمعه، 2008)، أين تم الحفاظ على البيئة الطبيعية وكذا احترام نوااميس البناء في اعتماد مبدأ التدرج الهرمي في تخطيط الشوارع أما نمط البناء فقد ركز على تحقيق الخصوصية كمطلب اجتماعي وهذا ما جعل

منظمة اليونسكو تضيف إلى قائمة التراث العالمي كل من قصر بني ميزاب وقصبة الجزائر كونهما يعكسان قيمة عالمية استثنائية. والمدينة التقليدية ببوسعادة تعكس أيضا قيمة وهوية محلية إلا أنها مؤخرا تشهد حركة عالية من التوتر والاختلال على مستوى مظهرها العمراني والمعماري نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية أنماط غريبة فرضت تغييرات على نمط تقليدي استطاع الصمود لفترات طويلة، وهذا يتطلب تضافر كل الجهود سواء القطاع العام، القطاع الخاص والمجتمع المدني للحفاظ وتثمين العمارة التراثية وإكسابها قيمة سياحية، حيث أفادت إحصائيات منظمة السياحة العالمية أن 80% من السياح أصحاب الذوق الراقى يرغبون بالعيش خارج المألوف والبحث عن تجارب أكثر أصالة واندماجا في مجتمعات محلية" استطاعت التوفيق بين موارد الماضي ومتطلبات الحاضر.

## المراجع باللغة الاجنبية

- . (2003). le musée national Etienne Dinet de Bou-Saada 1930/1993 genèse. Berkahoum Ferhati. Nasr-Eddine-Dinet.
- Direction du tourisme et de l'artisanat. (2012). étude d'aménagement de la zone d'expansion touristique de Bou-Saada (première phase). M'sila.
- Ministère de la culture. (S.D). Musée national Nasr-Eddine-Dinet. Bou-Saada.
- Nacib, Y. (S.D). cultures oasiennes essai de l'histoire sociale de l'oasis de Bou-Saada. université de Sao Paulo.
- Nouibat, B. (2007). l'occupation optimale du sol urbain dans les quartiers résidentielles en milieux arides et semi-arides étude de cas Bou-Saada (thèse de doctorat). Université de Sétif, Département d'architecture.
- Zahi, F. (2013). Bou-Saada en quelque traits. Alger: ENAG édition.

## المراجع باللغة العربية

- اكلي كزار محمد. (2008). التحولات المجالية في القرى الجبلية القبائلية حالة قرى ومداشر المنطقة (مذكرة ماجستير). كلية علوم الارض والجغرافيا والتهيئة العمرانية.
- الابباري ناهد نجا عباس. (2006). النمو العمراني للمدن المصرية وتأثيره على المناطق التراثية، اطروحة دكتوراه فلسفة. جامعة طنطا، كلية الهندسة، مصر.
- البوطي احمد. (2017). بوسعادة: مكتب دراسات مكلف بمتابعة مشاريع ترميم المدينة التقليدية.
- الطائي اياد عاشور. (2010). تخطيط المدن في المغرب العربي دراسة تراثية حتى مطلع القرن الرابع هجري. عمان الاردن: دار دجلة.
- الغوثي بسنوسي سيدي محمد. (2011). التذوق الجمالي في العمارة الاسلامية تلمسان نموذجا. تلمسان الاسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني. تلمسان.



بركات عبد الحق. (2010). الصورة النفسية الايحائية في فن الزخرفة العربية والاسلامية. مجلة العمران والتقنيات الحضرية(2).

بسكر محمد. (2014). الافادة بما علم من اخبار بوسعادة وارشاد الحائر الى ما علم من احوال بوسعادة واخبار سيدي ثامر. حي البلاطو، بوسعادة: دار كردادة للنشر والتوزيع.

بن سعيد سعاد. (2007). علاقات الجيرة في السكنات الحضرية الجديدة دراسة ميدانية في المدينة الجديدة علي منجلي-الوحدة الجوارية رقم 6 (مذكرة ماجستير). كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة.

بن صغييري حاضري يمينه. (2011). القصور الصحراوية بالجزائر صور الابداع الهندسي. مجلة الواحات للبحوث والدراسات(15)، 141.

بن يوسف ابراهيم. (1992). اشكالية العمران والمشروع الاسلامي. مطبعة ابو داوود.

بوخليفة قويدر جهينه، و بن ميسي احسن. (2016). تطور النظام الواحاتي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفضة-الزيان قصر طولقة نموذجا. مجلة العلوم الانسانية.

جعيدل جمال، و زحوط اسماعيل. (2012). الحرف والصناعات التقليدية كفرص لترقية السياحة الداخلية في الجزائر. ملتقى وطني حول فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر (صفحة 14). باتنة: كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير.

حمداوي عمر، و عجاس سهام. (ب.س). التحولات الاجتماعية للمدينة الجزائرية وتمظهراتها في الانتماء والهوية الثقافية. تحولات المدينة الصحراوية-تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية.

حنان نادر الكعبي. (ب.س). تخطيط وبنوية عمارة الصحراء. مديرية الابنية الحكومية لمحافظة العقبة.

خلف الله بوجمعه. (2007). المدينة الاسلامية بين الوحدة والتنوع. عيم مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

خلف الله بوجمعه. (2008). ملامح الاستدامة في العمارة والعمران التقليدي الجزائري حالة قصر بوسعادة بالجزائر. مجلة العمران والتقنيات الحضرية (3)، 2.

خلف الله بوجمعه. (2010). الجزائر، المجال المقلوب. تأليف مارك كوت. دار الهدى.

خليفة عبد القادر. (2009). مدن الصحراء الجزائرية في تحولات قصور الامس اليوم مدن.

داوود حسام الدين. (2008). مساق الحفاظ المعماري. الجامعة الاسلامية، كلية الهندسة، غزة.

شتوح رياض. (2010). 20 مليون دينار لترميم حصن ركن حكاية مكان. الشروق اليومي.

شويشي زهية. (2006). مجتمع القصور دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافية لقصور مدينة تقرت (مذكرة ماجستير). كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة.

شيبان اسيا. (2009). دور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في التنمية الاقتصادية حالة الصناعات التقليدية والحرف بالجزائر (مذكرة ماجستير). كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر.

عسلي سعد. (2010). علاقات الجيرة في المدينة دراسة مقارنة بين الاحياء العتيقة والاحياء الجماعية-حارة اولاد عتيق حي القصر وحارة 110 سكن جماعي بمدينة بوسعادة نموذجا (مذكرة ماجستير). كلية الاداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة.

عقاب محمد الطيب. (2010). مساكن قصر القنادسة الاثرية في المنظور الاثري. الجزائر العاصمة: دار الحكمة للنشر والترجمة.

علي بن عبد الله مرزوق. (2014). الفاظ العمارة التقليدية بمنطقة عسير. دراسات من التراث العمراني. الرياض، السعودية.

قبالة مبارك. (2010). تطور مواد البناء واساليب البناء في العمارة الصحراوية (مذكرة ماجستير). بسكرة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.

لعربي صالح. (2010). البيئة الحضرية داخل الانسجة العمرانية العتيقة والتنمية المستدامة حالة قسنطينة (مذكرة ماجستير). معهد تسيير التقنيات الحضرية، جامعة المسيلة.

مدور وليد. (2010). التحولات الحضرية في المناطق الجبلية حالة مراكز منطقة وادي عابدي (مذكرة ماجستير). كلية علوم الارض والكون والتهيئة العمرانية، جامعة قسنطينة.

مديرية التخطيط والاحصاء. (2015). المسيلة.

مديرية الشؤون الدينية والاقواف. (2017). المسيلة.

مروشي صورية. (ب.س). منعة...تجربة في الترميم والمحافظة على التراث. صفحة 6. مروى عصام صلاح. (2014). التاريخ والثقافة المعمارية. الاردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.

معزوز عبد الحق. (2011). العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف. تلمسان: منشورات وزارة الشؤون الدينية والاقواف.

مقيدش فتيحة. (2015). التحولات الاجتماعية بمدينة دوز الصحراوية وانعكاساتها. تحولات المدينة الصحراوية-مقاربات حول التغيير الاجتماعي والممارسات الحضرية. ورقلة.

# المعالم المعمارية التي تبرز هوية المدن الصحراوية مدينة قمار انموذجا

عبد الله لمحنط

جامعة بسكرة

## مقدمة:

الجزائر بشساعتها وتعدد المناخ فيها اختلفت كل منطقة على الاخرى بعاداتها وتقاليدها وطريقة العيش فيها، ومن أهم مظاهر الحضارة تبرزت العمارة والعمران ليكونا موروث مادي شاهد على حضارة كان لها الأثر البالغ في تحديد هوية المكان. ولتحديد المعالم والعناصر المعمارية التي تمتاز بها العمارة الصحراوية الجزائرية، تطرقنا الى منطقه قمار التي بقيت محافظة على هويتها في مظهرها العام بالقباب والسباط ومواد البناء التقليدية الى وقت قريب، وفي عمق التحولات الحضرية بدأ تفقد المدينة طابعها المعمري المتعارف عليه. وفي بحثنا هذا سنركز على أهداف تتمحور حول هوية المجال الحضري وتحديد المعالم والعناصر المعمارية التي تميز مدينه قمار، والمحافظة عليها في العمارة الحديثة وللحصول على هذه الاهداف قمنا بوصف وتحليل المعطيات التي جمعت من الملاحظة الميدانية والمقابلات مع سكان المنطقة والمختصين في البناء التقليدي بالإضافة الى بعض الصور والملفات من أرشيف الولاية والمحافظة على الهوية والعمارة الخاصة بالمنطقة، فتوصلنا إلى بعض النتائج تمثلت في تغليب النمط

الأوروبي، والميل الى ما يكون بثمن اقل، كما أن ارتفاع المواد واليد العاملة للبناء التقليدي كانت سببا في الابتعاد عنها، وقمنا بتوصيات لإدراج عناصر العمارة الخاصة بالمنطقة في البرامج السكنية، وفرضها في رخص البناء الخاصة بالسكن وكذا استبدال البرامج السكنية التي تدعو إلى هدم وتغيير النمط المعماري إلى برامج تساهم في المحافظة على الهوية من خلال الترميم وبناء بنايات بنفس النمط المعماري وتتماشى مع هوية المنطقة ومتطلبات العصر.

وتبرز العمارة هوية وانتماءات المدن الجغرافية والثقافية كما تعكس مدى رقي المجتمع وتقدمه، حيث واكب تغير شكل المسكن تطور الانسان منذ الازل حيث استعمل الكهوف والمغارات في بادئ الامر، ثم انتقال تدريجيا الى أن استطاع بناء القصور والسكنات الفاخرة، حيث كانت الطبيعة هي مصدر المواد الأولية لعملية البناء ليشكل مظهرا اخر من مفهوم التعايش مع الطبيعة، والمدن الصحراوية الجزائرية خير دليل على ذلك حيث اشتملت العمارة الصحراوية بالجزائر على مواد محلية، واشكال تم توظيفها بعناية لتتماشى والمتطلبات المناخية والثقافية، إلا أننا نشهد اليوم تراجعاً ملحوظاً في الاهتمام بهذا النمط المعماري، واستبداله بتصاميم حديثة غالباً ما تكون مستوردة وغير متجانسة مع العمارة المحلية، وهذا ما يجعلنا نطرح تساؤل عن ماهي الأسباب التي كانت وراء التخلي عن العمارة التقليدية بالمدن الصحراوية؟ وما هي الآثار المترتبة على ذلك على الهوية الثقافية والبيئة المبنية؟

فرضية البحث:

- المنازل التقليدية لا تلبي احتياجات المواطن ما جعله يقرر التخلي عنها والبحث عن بدائل غير مدروسة.

- النمو المتسارع للمدينة الحديثة جعل الساكن لا يلتفت لهوية المكان.

- المشاكل المترتبة على السكن التقليدي أدى للعزوف عنه ما جعل المدين تفقد هويتها تدريجيًا.

#### أهداف البحث:

نحاول من خلال هذا البحث اظهار المعالم وملامح الهوية في العمارة الصحراوية بالمنطقة ولان الموضوع له الأهمية البالغة في توجه الدولة الحالي للحفاظ على الطابع المعماري نحاول إيجاد تدابير تساهم في الحفاظ على هوية المكان وبما ان التوسع الجديد والمواد الجديدة لا تخدم الهوية المعمارية ولا الاستدامة الحضرية للمدن الصحراوية نحاول توجيه المعنيين للحفاظ على الهوية المكانية للمنطقة لأنها الأنسب في المناخ والتضاريس المتواجدة بها المدينة، ونحاول من خلال هذا البحث اظهار المعالم وملامح الهوية في العمارة الصحراوية بالمنطقة وإيجاد تدابير تساهم في الحفاظ عليها

#### 1. استعراض الأدبيات:

انطلقنا في بحثنا هذا من دراسات سابقة للعمارة بمدينة قمار ومنطقة سوف ابتداء من دراسة حسونة والذي قام بدراسة عن تاريخ العمارة بالمنطقة ثم خص مدينة قمار بذكر أحيائها الأولى مما يتطرق بعد ذلك الى

ملاح العمارة بها (حسونة، 2015) ، وفي الدراسة التي اجراها الجباري والتي قدم من خلالها ملاح العمارة في المنطقة ثم انتقل الى البحث فيما كتبه الرحالة والزوار الاجانب عن المنطقة في تلك الفترة حيث لخصت هذه الدراسة بان العمارة بمنطقة سوف كانت متشابهة حيث اتصفت بالبساطة وعدم التكلف فتميزت عن باقي المدن الصحراوية بالقبة والسباط كما يذكر ان العمارة بمنطقه سوف شهدت تطورا خلال النصف الثاني من القرن 19 م. حيث تم الاستفادة من الخبرات الأجنبية ليتم توظيفها في العمارة وفق معاييرهم الخاص.(الجباري، 2016) كما ان الدراسة التي قام بها لمحنط التي درس الاطار المبني لمدينة قمار القديمة ومراحل تأسيسها ، وحدد ملاح العمارة للمدينة وطرح اشكالية هجر وهدم المباني التقليدية لاستبدالها بمباني ذات طابع معاصر ليتماشى مع المتطلبات الحالية للمواطن وسعى الى ابراز التقصير الحاصل للعمران والتراث العمراني بالمنطقة، كما اقترح تسجيل مدينة قمار القديمة في قائمة التراث العالمي للحفاظ على العمران والهوية العمرانية بالمنطقة.(لمحنط، 2014)

## II. ملاح الهوية:

### ● المدينة والنسيج العمراني:

تعد مدينه قمار احدي أعرق مدن ولاية الوادي، حيث يعود اول ظهور لها في كتب التاريخ لسنة 1180، حين تم الهجوم عليها من طرف حكام تمرت، تم بناء المدينة لتكون منيعة على الأعداء بشكل قصر كانت الجدران الخارجية للمنازل هي التي تشكل السور فيما كانت المنازل موجهة نحو وسط المدينة اين يتواجد الرحبة والمسجد المدينة بها مداخل المعروفة

الان بالبواب الغربي، والبواب الشرقي والبواب القبلي والبواب الظهراوي بالإضافة الى الفج والبويبة لتشكل بذلك حصن ضد الأعداء. (لمحنت، 2014)

ان المتجول في المنطقة يظهر له ان النسيج العمراني فوضوي وتم دون التخطيط المسبق له وان المباني تراصفت بجانب بعضها من باب الصدفة الا ان المتعمق في دراسة المجتمع بالمنطقة يجد ان هناك معايير ثقافية ومبادئ تم اتباعها من طرف السكان كانت بمثابة المرجع التنظيمي للمدينة (لمحنت، 2014)

امتازت الازقة بالاستقامة الا ان الكثير منها كان دروب حادة يتراوح عرضها ما بين 2-2.5 م، فيما كانت الشوارع الرئيسة لها انكسارات لتوفير الظل وكسر الرياح (حسونة، 2015) بالإضافة الى توفير مكان تختبئ فيه النساء لتفادي التقابل مع الرجال القادمين في الاتجاه المعاكس (لمحنت، 2014). امتاز النسيج العمراني بوجود الساحات والرحبات والسباطات العمومي والتي استعملت لوقت قريب في التجمع ولعب الخريقة المحلية (حسونة، 2015)

#### ● مواد البناء:

##### 1- الحجارة:

لم يستعمل اهل المنطقة في عملية البناء القوالب الطينية ولا الأسمنتية، انما استعملوا الحجارة المتواجدة في بيئتهم في عملية البناء، واستخدمها كماده اوليه ثم ربط بين هذه الحجارة بالجبس وهو الملاط



الذي يشد الحجارة فيما بينها، كانت الحجارة غير منتظمة لذلك نجد ان الجدران في الغالب كانت ذات سمك كبير يصل الى 30 سم او أكثر، بنوا بحجارة اللوس كما توجد حجارة الصلاح تستعمل في البناء، هذه الحجارة ذات لون أبيض، تستخرج مع حجارة التافزة المستعملة لصناعة الجبس التقليدي لكنها شديدة الصلابة تستخرج من مقالع تقليدية، لكنها أقل صلابة من حجارة اللوس و أكثر امتصاص للرطوبة، فهي لم تستعمل قديما لهذا السبب. (لمحنت، 2014)

## 2- الجبس:



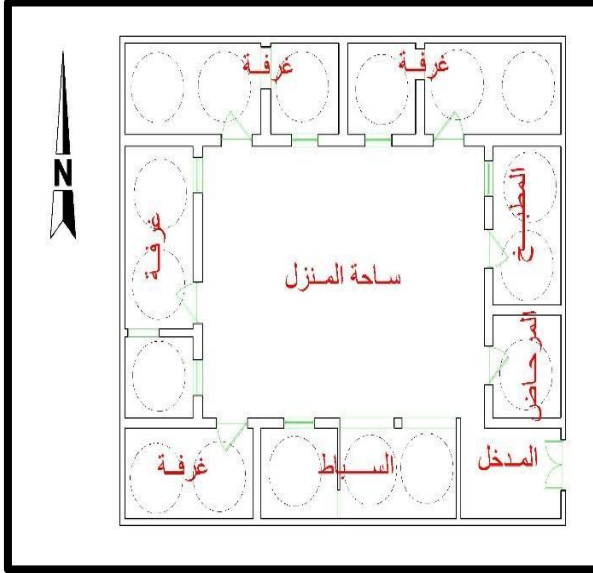
هو مادة متينة تستعمل في البناء بالمنطقة يتم انتاجها انطلاق من حجارة التافزة (حجر كيلسي رسوبي متواجد بالمنطقة) التي يتم استخراجها من تحت الطبقات الرمل ثم يتم حرقها في افران الجبس وبعدها يتم طحنها ثم تصفيتها ليكون الجبس جاهزة للاستعمال (باهي، 2018)

### 3- جذوع النخيل والجريد:

هي مواد محلية استعملت في الغالب في التسقيف لتكون وسائل دعم للأقواس كانت تقسم جذوع النخيل الى اجزاء وتوضع متعامدة على الجدران لرفع القباب والادماس، التي تم استبدالها فيما بعد الحديد ذو الشكل H لتعطي صلابة أكثر وتتمكن من توزيع احمال القباب والادماس بشكل متوازن فيما وجده في بعض البنايات حديد بشكل T (حسونة، 2015) كما استعمل الجريد الأخضر كدعامة مساعدة لتشكيل للأقواس الحاملة للقباب حيث يستعمل وهو مازال أخضر لين ليسهل تشكيله.

ويتم نزعه عندما يتم الانتهاء من عملية البناء (لحنت، 2014). كما شهدت المنازل التقليدية غياب الاقواس الحاملة داخل الغرف التي عوضت بالحديد كما في الصورة 1،

#### ● شكل المسكن:



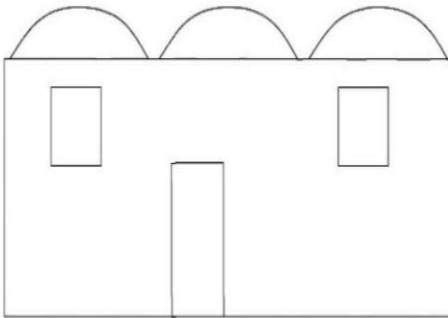
ان المنزل التقليدي بالمنطقة في الأصل كانت ابعاده مختلفة عما هو عليه الوضع الان وهذا استنادا على اثار المباني المجودة للحقب الأولى للمسكن

القماري بالإضافة الى ما ورد عن المؤرخين الذين كتبوا عن المنطقة منهم Henri Duveyrier "هنري ديفاري" الذي وصف ارتفاع المسكن بمدينة قمار بعد زيارتها ضمن رحلته سنة 1861، على انه بطول شخص متوسط القامة، وأكد ذلك من بعده "لفكتور لارجو" الذي زار المنطقة في 1881 م. وأضاف ان طولها يتراوح ما بين 7 إلى 8 أمتار وعرضها من 1.51 إلى 2 متر (الجباري، 2016)، الا اننا نجد ان المسكن التقليدي المعروف حاليا عند اهل المنطقة ارتفاع جدار الغرفة فيه يقارب 2.6 م وعرضها يصل الى 2.4 فيما يصل طول الغرفة الواحدة ما بين 5.3 الى 8 م، اما الفناء نجد انه بعد التعديل في التصميم زاد اتساعه ليقارب في بعض الأحيان 13×13 م.

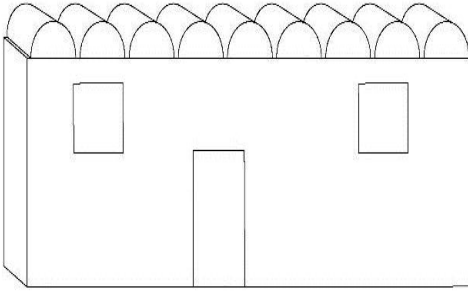
#### ● التسقيف:

من خلال الملاحظة الميدانية والمقابلة مع اهل المنطقة تبين لنا ان التسقيف المستعمل والغالب في البناء التقليدي هو القباب والأقبية.

#### 1- القباب



تعد القباب التي استعملت في التسقيف المباني ذات شكل نصف كروي وفي بعض الأحيان تميل الى اشكال بيضوية تستند الى حامل والمتمثلة في الجدران والتي تشكل



مربعا او مستطيل تتضمن  
الغرفة الواحدة بين قبتين  
الى 3 قباب. هذه القباب  
التي ترمز لهوية المنطقة  
فكل غرفة لا تخلو من  
القبة

## 2- الادماس:

نوع اخر التسقيف يعكس هوية البناء بالمنطقة من مستعمل في  
المنطقة اقل انتشار عكس القباب والذي يسمى أيضا بالقبو في بعض  
الأحيان والمتمثل في سقف على شكل نصف أسطوانة مجوف حيث  
تسقف الغرفة بتكراره أكثر من مرة استعمل في الغالب في الغرف  
الشاسعة مثل المستودعات وغيرها، نمط التسقيف بالقبو لم يكن  
شائعا في المنطقة حتى مطلع القرن العشرين وأول استعماله كان في عمارة  
الزاوية التيجانية (لمحنت، 2014). (حسونة، 2015)

## ● الزخارف:

اتسمت العمارة بالمنطقة ببساطتها في بادئ الامر حيث لم يكن اهل  
المنطقة يولون أهمية الى الجانب الجمالي للعمارة أكثر من الجانب  
الوظيفي لها الا وهو السكن لم يتم تحديد متى ظهر هذا الاهتمام عند  
اهل المنطقة بالزخارف وبالرجوع الى "هنري ديفاري" نجد انه ابدى



اعجابه بالزاوية  
التيجانية بمدينة  
قمار (الجباري،  
2016)، والتي لحد الان  
معروفة بالزخارف  
الموجودة بها.

أبدع أهل المنطقة  
في الزخارف والتي  
استعملت في الأماكن  
الدينية كالمساجد

والمدارس القرآنية كما استعملت في بعض المنازل حيث برز منهم حرفيين  
طوروا من أنفسهم خصوصا في مجال النقش على الجبس كما يعتبر  
التلبيس على الجدران الخارجية نوع اخر من الزخرفة على الجدران  
الخارجية للمنازل على شكل تموج بأصابع اليد لخلق منظر جمالي وخلق  
مساحة مظلمة، وهذا ما تمليه طبيعة المنطقة التي تتعرض لاشعة  
الشمس

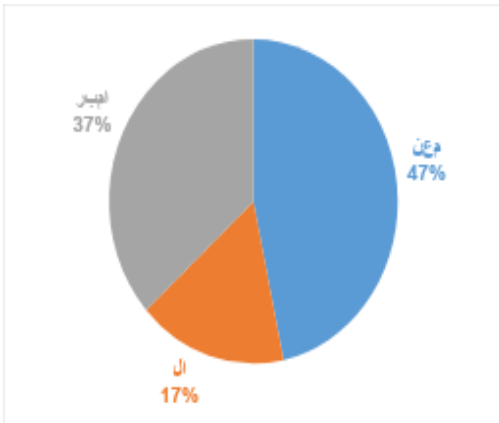
#### ● النوافذ:

لم تستعمل في بادئ الامر النوافذ وذلك قد يرجع الى عدم الحاجة الى  
التهوية والإضاءة لتوفرها من خلال الفناء وهذا ما ورد عن "لفكتور  
لارجو" والذي أضاف انه هناك حفرة بجانب الباب استعملت لخروج

الدخان منها، فيما ظهر استعمال النوافذ في أواخر القرن 19 م من خلال ما ورد عن " ايزابيل ابرباردت " (الجباري، 2016)

### III. النتائج :

#### ● التوجه الفكري للمجتمع



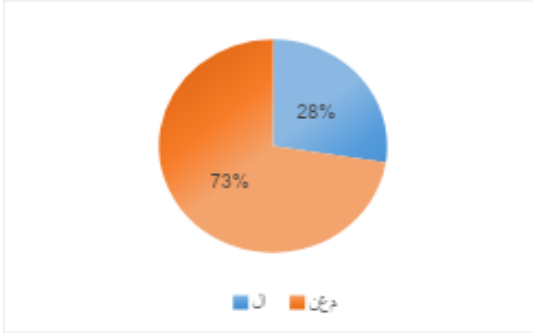
الشكل SEQ الشكل 1: ARABIC \\* نسبة تقبل المواطن لفكرة العيش في مسكن تقليدي

مدى تقبل الناس واستعدادهم للرجوع الى العمارة التقليدية حيث طرح هذا السؤال من اجل فهم توجه السكان الفكري وتحديد مدى وعيهم بأهمية المحافظة

على التراث المعماري تطويرها لتواكب متطلبات الانسان في

هذا العصر ، حيث تبين لنا ومن خلال طرح السؤال (هل انت مستعد الى ان تنتقل للعيش في مسكن تقليدي ؟) ، حيث كان 17 % رافض لذلك تمام فيما ، 37 % منهم متردد بين الایجاب والرفض ، وبما ان 54 % منهم بين رافض و متردد لفكرة الانتقال و العيش في منزل تقليدي فهذا مؤشر يبرز لنا انه هناك خلل على مستوى التوجه الفكري او على مستوى السكن التقليدي والذي يجعل اكثر من نصف السكان لا يرغبون فيه . ولهذا طرحنا أسئلة متعلقة بالمبنى.

### ● الحرمة والخصوصية:

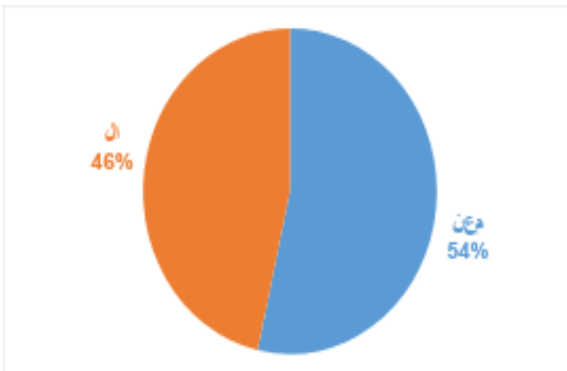


بعد انتشار البنايات  
متعددة الطوابق أصبح  
سكان المنازل التقليدية لا  
يسعه استغلال فناء  
منزله كما في السابق،

وهنا عند طرح هذا التساؤل على اهل المنطقة من خلال الاستبيان الإلكتروني رد 27 % منهم بالإيجاب حيث يرون انهم لا يمكنهم اجراء تجمعات عائلية بفناء المنزل بسبب ذلك، كما انه جرت العادة في المنطقة ان أي جار يريد استعمال السطح يعلم جيرانه بتبليغهم. هنا الهوية المجتمعية تأثرت بالتغير العمراني فبالتدريج بدأ استغلال الفناء يضمحل

### العوامل الطبيعية :

### ● التيارات الهوائية:



يرى 54 % من افراد  
العينة المدروسة ان  
الرياح والتيارات  
الهوائية تخلق مشاكل  
كثيرة منها تطاير الرمال

بالفناء وانتقاله الى الغرف بالإضافة الى انه هناك اختلاف في درجة الحرارة

بين الفناء والغرف فاذا أراد أي فرد التنقل بين مرافق المنزل يتوجب عليه المرور بالفناء ليكون في عرضة لهاته التيارات الهوائية خصوصا الباردة منها شتاء والساخنة في منتصف يوم الصيف الحار.

#### ● الرطوبة:

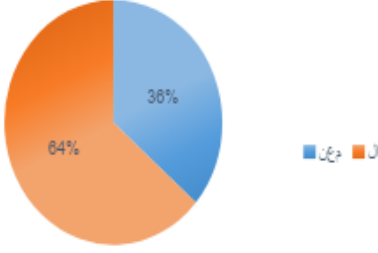


يتأثر الجبس بعامل الرطوبة بشكل كبير إذا كان معرض لها لفترات طويلة ما يظهر لنا من خلال تفقد حال المنازل بالمنطقة نلاحظ وجود أماكن بالأجزاء السفلية للجدران ظهر عليها التلف ووقع لها تنافر طبقت الجبس والطلاء وهذا يرجعه البعض الى انه من جراء تسربات المياه بقرب من هاته الجدران، فيما الأجزاء العلوية منها والاسقف تبدوا سليمة من هذا التأثير.





## ● الامطار



رغم قلة الامطار بالمنطقة مما  
ورد عن سكان المنطقة الا ان  
تأثيرها في أوقات هطولها لفترات  
طويلة يظهر للعيان، حيث تحدث

تسربات لمياه الامطار لداخل الغرف ومختلف مرافق المنزل او تظهر بقع  
لتأثير المياه على القباب. حيث تبين لنا من خلال نتائج الاستبيان ان 36  
% من العينة فقط من يرون ان الامطار تخلق سببا لتفكير في التخلي  
عن العمارة التقليدية.

## ● درجة الحرارة:

رغم ان الطقس حار صيفا وبارد شتاء، الا ان درجات الحرارة داخل  
المنزل تكون مقبولة مقارنة بالبناء المعاصر في نفس الظروف ومن خلال  
الاستبيان نجد ان 16 % من يرون ان مشكلة ارتفاع وانخفاض درجة  
الحرارة مطروح على مستوى البناء التقليدي. فهذا البناء الذي عاش في  
وسط الصحراء كان له الأثر البالغ في التعايش مع الحرارة المرتفعة وهذا  
ما ميزة المنطقة

## ● التشققات والتصدعات:

من خلال اللقاءات مع سكان المنطقة وطرح التساؤل تبين لنا ان العديد من المنازل تعاني من التشققات الا انه يظهر بشكل أكثر وضوحا في السكنات التقليدية، الا انها تظهر اقل في البنايات التي اضيف لها الحديد

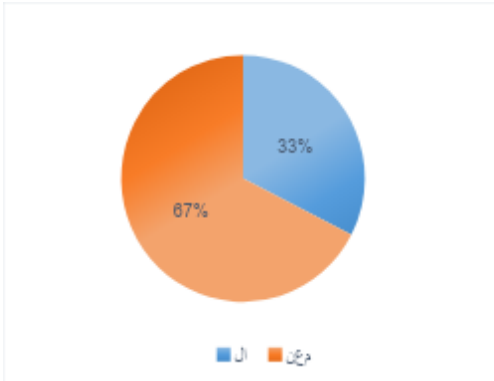


لها الحامل الجدار مع القبة التقاء مكان في تصدع: 7 الصورة

## ● التكلفة العالية لمواد

البناء واليد العاملة:

من اهم الأسباب التي جعلت المواد الأولية ترتفع أسعارها هو ندرتها والتي ترجع بدورها الى صعوبة



استخراج حجارة التافزة المستعملة في صناعة الجبس وحجارة اللوس والمستعملة في عملية البناء، مما جعل العمال يبحثون على نشاطات أخرى. ومن خلال الاستبيان تبين لنا انه 67 % يرون ان أسعار هاته المواد مرتفعة وغير متوفرة ليصعب بذلك استغلالها في عملية البناء. بهذا بدأت هوية العمارة تتلاشى بسبب المواد الأولية

#### المناقشة:

من خلال القيام بالزيارة الميدانية للمنطقة ونتائج الاستبيان يمكننا القول ان من اهم أسباب التي أدت الى التوجه نحو البحث عن بديل للعمارة المحلية دون إيلاء أي أهمية الهوية والتراث المعماري للمنطقة هو نقص الوعي بأهمية المحافظة على التراث، بالإضافة الى عدم إعطاء أهمية لمبادئ الاستدامة في انشاء أي مشروع معماري حيث يتم بناء مباني معتمدين فيها على الطاقة الكهربائية في الإضاءة والتهوية والتبريد والتدفئة، التي تعتبر حلول تكنولوجية دون توظيف المعطيات البيئية للمنطقة وتشويه المنظر الخارجي حتى للبناء التقليدي الذي يعاني من ارتفاع حرارة الاحياء المجاورة له بسبب الاسفلت والمكيفات الهوائية .

فالمنزل التقليدي بالمنطقة انطلق من كونه غرف تتموضع طوليا بجانب بعض ثم تم الحاق غرف ومرافق أخرى كلما دعت الحاجة الى ذلك، حيث كان دوما عرضة للرياح والتيارات الهوائية والتي تجنبها السكان في السابق بتوجيه الغرف مع اتجاه التيارات الهوائية لتفاديها، بالإضافة الى ان الغرف كانت ارضيتها رملية في السابق ما جعل مشكلة الاتربة غير مطروح الى ان تم استبدالها بأرضية من الجبس. كما تبين لنا

من خلال المعاينة الميدانية ان المباني التقليدية لا تتحمل التعرض للحرارة لفترات طويلة خصوصا في الأماكن التي لا تتعرض لأشعة الشمس بكثرة والذي ارجعه اهل المنطقة الى انه هناك اختلاف في كيفية وكمية المياه المستعملة داخل المسكن بين الماضي والحاضر حيث كان يعتمد حصر استعمال المياه في منطقة واحدة وعزلها عن البيت لتفادي الاضرار بالإضافة الى ان المياه كانت يتم جلبها للبيت بواسطة الدلاء والجرار ولندرتها يتم المحافظة عليها عكس الوقت الحاضر صارت المياه متوفرة في الحنفيات بالمنزل مما جعل رقعة استعمالها تتسع، فاغفل المواطن اثرها على المبنى وتناسى أهمية المحافظة عليه .

وهذا الذي تسبب في ضياع موروث ثقافي يعكس اصالة الصحراء برزت فيها هوية المكان والزمان فالمنطقة بدأت تسير نحو المدن الأخرى بدون رسم للهوية التي توارثها جيل بعد جيل لوقت قريب ومازال البعض يتمسك بهذه المناطق المعمارية .



وتعتبر العمارة  
بمدينة قمار نتاج  
فكري لسكان  
المنطقة في محاولة  
لتوفير عمارة تلبي  
الحاجات اليومية  
وفقا لمبادئ  
واساسا تتبلور في  
المرجعية الدينية  
لأهل المنطقة

والعرف السائد بها، رغم قلة الإمكانيات للسكان المنطقة في السابق الا انهم  
اجتهدوا في تطوير هذه العمارة والمحافظة عليها، ولحد الان هناك اجتهادات  
من اهل المنطقة لتطويرها حيث نجد ان البعض منهم استعمل الخرسانة  
المسلحة في الاساسات والاعمدة فيما اقام الجدران والاسقف باستعمال  
الجبس، في ما قام البعض بتغليف الاسطح بالأسفلت (القار) من اجل عزل  
السقف ومنع تأثير الامطار عليه ،

من خلال ما سبق يمكن القول ان من اهم العناصر المعمارية التي  
تعكس الهوية لمدينة قمار

الجبس: هي مادة البناء التي استعملت لتشييد المباني بالمدينة القباب  
والادماس: حيث لا يمكن ذكر مدينة قمار دون ان نخطر ببال من عرف  
العمارة التقليدية بها القباب والادماس. السباطات العمومية وداخل

المنازل: التي لم تقتصر استعمالها على فئة معينة من المجتمع ولا فترة زمنية من السنة الزخارف: انطلاقاً من التلبس الى الزخارف المعقدة وفن النقش على الجبس الذي تفنن فيه اهل المنطقة التصميم الداخلي للمنزل: ان المنزل التقليدي بقمار ارتبط تصميمه بمبادئ الحرمة حيث لا يخلو منزل من السقيفة او المدخل هو ممر صغير يأتي بعد الباب الرئيسي ليكسر مجال الرؤية بين المارفي الشارع وفناء المنزل، كما لا يخلو المنزل من السباط حيث من لوازم المنزل التقليدي بالمنطقة.

#### IV. الخاتمة:

تمثل العمارة الصحراوية بمدينة قمار نسيجاً عمرانياً فريداً يجسد الهوية الجماعية للسكان، حيث تتفاعل القيم الروحية والبيئية مع حرفة البناء التقليدي، لتنتج فضاءاتٍ عمرانية تُعبّر عن حكاية مكانٍ وتاريخ شعب. فالقباب المتناغمة مع خط السماء، والأداس المزخرفة بأنامل حرفي المنطقة، والأفنية التي تُجسّد خصوصية الحياة العائلية، ليست مجرد عناصر معمارية، بل هي رموزٌ للذاكرة المجتمعية والانسجام مع البيئة الصحراوية. غير أن هذا الإرث يواجه اليوم تحدياتٍ وجودية تهدد بقاءه، بدءاً من التدخلات الحديثة غير المدروسة، مثل إدخال أنظمة مياه داخلية تسببت في تفاقم الرطوبة، ومروراً بسياسات الإسكان الحكومية التي تُحوّل المساكن التقليدية إلى كتل إسمنتية تفقد المدينة روحها، وانتهاءً بالتغيرات الاجتماعية التي تفضل النمط الغربي على حساب التراث المحلي. هذه العوامل مجتمعةً تُهدد بفقدان الهوية المعمارية التي صمدت لقرون. لكن الحل لا يكمن في رفض الحداثة، بل في إعادة تفسيرها عبر عدسة

الهوية المحلية. فدمج التقنيات الحديثة - كمواد العزل الحراري والمائي - مع التصميم التقليدي يمكن أن يُحيي القباب والأدماش بأداءٍ أفضل، بينما يُمكن توجيه سياسات الإسكان لانتهاج العمارة التقليدية بع د تطويرها في تنفيذ مشاريع الإسكان المستقبلية، مع تشجيع السياحة الثقافية لتعزيز الوعي بأهمية التراث. كما أن تمكين المجتمع المحلي من ابداء آرائهم سيجعل منهم شركاء فاعلين في الحفاظ على تراثهم، بدلاً من أن يكونوا متلقين سلبيين للتغيير.

في النهاية، فإن الحفاظ على عمارة ليس مجرد إنقاذ للمباني او طابع معماري معين من الزوال، بل هو حمايةٌ لرواية ثقافية تقدم دروساً في الاستدامة والتكيف مع البيئة، وتُثري التنوع الحضاري الإنساني. تحقيق هذا الهدف يتطلب رؤيةً متوازنة ترفض الانقطاع عن الماضي، ولكنها لا تخشى حواراً خلاقاً مع الحاضر، حيث تصبح العمارة جسراً بين الأجيال، وشاهداً على إبداع إنسان الصحراء في صياغة جماليات البقاء.

## القائمة الببليوغرافية:

- 1- باهي، أ. ف. (2018). أفران الجبس التقليدية ودورها في تنشيط الحركة العمرانية في وادي سوف مطلع ق 20. مجلة كابس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 2(2)، 348-367.
- 2- حسونة عبد العزيز. (2015). عمارة الحواضر في منطقة وادي سوف -مدينة قمار نموذجاً-. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 7(22).
- 3- الفرجاني، محمد الصغير، د.، والفيتوري، عبد الباسط محمد، د. (2023). ملامح الاستدامة البيئية في المساكن التقليدية بالمدن الصحراوية الليبية: غدامس كحالة دراسية. مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، 8(15)، 139-151.
- 4- لمحنط، علي. (2014). الاستدامة في العمران وإشكالية المحافظة على التراث العمراني في المدن الصحراوية: مثال مدينة قمار بوادي سوف. [رسالة ماجستير، معهد تسيير التقنيات الحضرية، جامعة قسنطينة 3].
- 5- الوردي، طرطاق. (2018). مظاهر العمران الإسلامي الصحراوي بوادي سوف "الأعشاش نموذجاً". مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، 18(غير متوفر)
- 6- عثمانى، الجباري. د. (2016). العمارة والعمران في وادي سوف (1845-1900) م بعيون الرحالة والمستكشفين الفرنسيين. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 5(17)، 27-37.



## بعض الملامح السلبية للعمارة الكولونيالية في الجزائر

ط/د. سارة حُمورة

دارالقران المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية

جامع الجزائر

### مقدمة

ان العمارة هي الشاهد المادي و الحقيقي لكل حضارة، حيث تعكس ثقافة و هوية مجتمعاتها، فالاختلاف و التنوع في الأنماط المعمارية على مر العصور و الفترات الزمنية، يرجع الى تنوع و اختلاف ثقافة الشعوب وخصوصياتها من حضارة الى أخرى، فالهوية المعمارية هي مطلب أساسي يسعى كل مجتمع الى بلورتها و تشكيلها، فهي المستند و الركيزة لإبراز المقومات الثقافية و قيمها المجتمعية، خاصة في خضم مقتضيات الوقت الراهن، وكثرة التحديات المعاصرة، كالعولمة و الحداثة و هيمنة النمط المعماري الغربي، فمسألة الهوية تشكل هاجس حقيقي للمجتمعات القيمة التي لا تزال تتمسك بتراثها و موروثها الثقافي .

فالجزائر تمثل مجتمعا أصيلا له تراث غني، غير أنها تعاني أكثر من غيرها من البلدان في موضوع الهوية عامة، والهوية المعمارية خاصة، وذلك يرجع ربما بسبب الاحتلال الفرنسي الذي دام (132 سنة)، فطول هذه المدة أحدث شرخا عميقا، و قطيعة مستمرة بين الماضي و الحاضر، أي بين

العمارة المحلية قبل الاحتلال، ذات الطابع الإسلامي، التي كانت تزيد من لحمة المجتمع وقوة تماسكه، وتعينه على قيمه كحسن الجوار، و الحرمة، والتعاون، والضيافة... وغيرها الكثير من القيم والاخلاق الإسلامية، وبين العمارة الحالية العشوائية، و الخالية في معظمها من معالم الهوية الجزائرية، و التي افقدت المجتمع روابطه و جردته من قيمه. فالعمارة الكولونيالية هي مرحلة مهمة من تاريخ العمارة في الجزائر، ولا نستطيع التحدث أو فهم موضوع الهوية، و ما آلت اليه العمارة في الجزائر دون التطرق اليها، فتعتبر مرحلة مفصلية عرج فيها منحى العمارة في البلاد، فكما يقول المنظر الايطالي "غوستافو جيوفانوني"<sup>1</sup> أن النتيجة المعمارية المتحصل عليها حاليا في المدينة ما هي الا نتاج التجارب و تراكم الطبقات السابقة. ومما يزيد موضوع العمارة الكولونيالية في الجزائر أهمية، هو ثقلها في الساحة المعمارية والعمرانية من حيث كثرة عدد المنشآت وتنوعها، وبسبب واقعها المعاش في المجتمع الجزائري، فهي لا تعتبر مرحلة تاريخية قد مضت، بل لا تزال حاضرة ومؤثرة على المشهد المعماري، فهي ذاكرة لتاريخ متجذر، وواقع لمجتمع يتأثر، فهي تأثر بطريقة مباشرة او غير مباشرة على المجتمع وهويته وخصوصيته. فمكان اليوم كانت له ذاكرة بالأمس، وهذا ما قاله "بيارنورا" عن أماكن الذاكرة lieu de mémoire "فهي أي كيان ذو أهمية، سواء كان مادياً أو غير مادي، أصبح بفعل الإرادة البشرية أو تأثير

---

Gustavo Giovannoni (1873- 1947) \*مهندس معماري و عمراني، خبير في التراث، و منظر في المجال، قال في كتابه "l'urbanisme face aux ville ancienne" أن المدينة مجرد طبقات تراكمية سابقة « la ville comme palimpseste » .»

الزمن عنصراً رمزياً في التراث التذكاري لأي مجتمع.<sup>1</sup> وقد تجلّت هذه التأثيرات التي مست الهوية المعمارية عبر تدمير النسيج العمراني التقليدي، وطمس المعالم التاريخية، وإحلال أنماط معمارية غريبة عن السياق الثقافي والاجتماعي المحلي، وغيرها من الأساليب المعمارية المختلفة التي حاولت التأثير سلباً على العلاقات الاجتماعية، وعملت على تكريس الطبقية والعنصرية، فحاولنا من خلال هذه الورقة، استعراض بعض من هذه الملامح والتأثيرات السلبية للعمارة الكولونيالية، دون الإحاطة بها كلها.

اعتمدت في هذا البحث على الكثير من المصادر الأدبية والارشيفية المختلفة، من أهمها: كتاب فرنسي صدر سنة 1855 بعنوان: Manuel Descriptif Et Statistique De l'Algérie للكاتب JULES DUVAL، والذي وصف فيه أحوال الجزائر، في عدة مجالات، إدارية واقتصادية وغيرها، خلال هذه الفترة، وركز في الأخير على موضوع " تحرير المرأة العربية" وتجريدها من هويتها من خلال العمارة، كما سيتضح لاحقاً. أيضاً كتاب الجزائر "Alger" لـ Guiauchain George، عام 1905، والذي تحدث فيه عن أحوال مدينة الجزائر قبيل الاحتلال وبعدها، مع دراسة مميزات المجتمع الجزائري ومختلف أعراقه، العادات، الحرف، والبيئة المعمارية المحلية، إلا أنه لم يخلوا من الفكر الاستشراقي والكولونيالي. خاصة في محاولة دمج العمارة المحلية بالعمارة الفرنسية وبما يخدم مصالحهم على حساب هوية المجتمع الجزائري. ودراسة مشروع مدينة نابليون الثالث.

---

<sup>1</sup> - Pierre Nora. Realms of Memory: Rethinking the french Past .Columbia University Press. 1996, vol 1. p 18.

Etude pour l'avant-projet d'une cité Napoléon-ville à établir sur la place de Mustapha à-Alger . 1858 للمهندس Frédéric Chassériau . حيث وثق فيها عدة معلومات ارشيفية، و تتمثل أهميتها في انها خطاب عمراني سياسي، يشرح أوضاع تلك الفترة. وغيرها من المصادر الأخرى القديمة منها أو الحديثة والتي لا تقل أهمية عن الأخرى، وقد تم ادراجها كلها آخر هذه الورقة.

### 1. الإشكالية:

تُعتبر العمارة انعكاسًا للبنية الاجتماعية والثقافية لأي مجتمع، فهي ليست مجرد هياكل مادية، بل فضاء يُعيد تشكيل سلوك الأفراد والتفاعل الاجتماعي، وهذا ما يراه كورت لوين (Kurt Lewin) أن "البيئة تؤثر بشكل جوهري على سلوك الإنسان، حيث تشكّل الفضاءات العمرانية إطارًا نفسيًا يوجه تصرفاته ويحدد طريقة إدراكه للعالم من حوله". فالعمارة لا تقتصر على تلبية الاحتياجات الوظيفية، بل تؤثر في أنماط العيش، وتُعيد إنتاج القيم المجتمعية أو تُغيرها. ومن منظور ابن خلدون ايضا، حيث أشار في مقدمته الى العلاقة القوية والمتلازمة والمتفاعلة بين العمران البشري وما ينتجه من عمران مدني، فالمجتمعات الحضارية تُنتج عمارة تحافظ على القيم الجماعية، بينما تنتج المجتمعات التي تعاني من الانفصام الهوياتي، عمرانًا مشوشًا يعكس حالة الاضطراب الاجتماعي. ومن هنا، فان العلاقة بين العمارة والمجتمع علاقة تبادلية، إذ تؤثر العمارة في تشكيل المجتمع، تمامًا كما تؤثر التحولات الاجتماعية والثقافية في شكل العمارة. وبدوره يميز المجتمع الجزائري، بروابطه الاجتماعية المتينة القائمة على قيم

التكافل والتضامن، حيث أن الأسرة هي النواة الأساسية لتنظيم الحياة الاجتماعية، وهي اللبنة الأساسية لبناء المجتمع، حيث أن القيم الأخلاقية المستمدة من الدين الإسلامي والتقاليد المحلية تشكل الأساس في العلاقات بين الأفراد. فكان مبدأ (التعاون الجماعي) راسخاً في المجتمع، وغبرها من المبادئ، كما كانت المدينة التقليدية بتركيبها المعمارية والعمرانية الخاصة، تعكس هذا النمط الاجتماعي وتعززه. إلا أن الاحتلال الفرنسي حاول قلب هذه المعادلة، واستعمل في ذلك العمارة الكولونيالية كأداة فعالة لإعادة تشكيل المجتمع الجزائري، وفق رؤية المحتل وبما يخدم مصالحه. فلم تكن هذه العمارة مجرد إضافة معمارية إلى النسيج الحضري، بل كانت وسيلة لإعادة إعادة صياغة المدينة، بطريقة تتنافى مع أساليب العيش التقليدية، حيث فرضت أنماطاً معمارية لا تعبر عن الثقافة المحلية والخصوصية المجتمعية، مما جعلها عاملاً رئيسياً للتأثير سلبياً على الهوية المحلية، وإحداث تحول عميق في أنماط الحياة والعلاقات الاجتماعية. فمن خلال الربط بين العناصر السابقة، يبرز تساؤل جوهري حول سلبات العمارة الكولونيالية على الهوية والمجتمع في الجزائر: فكيف أثرت هذه العمارة سلباً على هوية الجزائرية؟ وما مدى هذا التأثير على العلاقات الاجتماعية والقيم الثقافية؟ وهل أدت هذه التحولات إلى خلق نموذج عمراني هجين أفقد المدينة الجزائرية أصالتها وهويتها؟

## II. أهم المحطات في تاريخ العمارة الكولونيالية في الجزائر:

هناك الكثير من الكتب والمصادر القديمة والحديثة، التي تحدثت عن المراحل التاريخية التي تشكلت بها العمارة الكولونيالية في الجزائر، وتنوعت

تقسيماتهم، كل حسب السياق الذي كان فيه، وفي سياق هذا البحث، سيتم التركيز في هذا التقسيم على أهم المحطات التي كان فيها التأثير السلبي واضحا على الهوية والمجتمع الجزائري، من خلال المراحل المذكورة في كتاب "دراسات في التخطيط العمراني بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية" لمعاوية سعيدوني، ولكن سنقتصر بالدراسة الا على الفترة الممتدة من 1830 الى 1930 للأسباب التالية:

- أن المراحل الأولى للاحتلال الفرنسي كانت تشكل البدايات للسياسة الكولونيالية، وأساسا لما بعدها.

- أن الأنماط المعمارية التي تبنتها السياسة الكولونيالية في هذه الفترة، لها قبول معتبر في المجتمع والطبقة المثقفة من مختصين في المجال وغيرهم، من حيث جماليتها، تراثيتها ودمجها للعناصر المحلية، فوجب علينا تبين التأثير السلبي لهذه المظاهر المعمارية وتركيز عليها.

- أن الفترة الأخيرة 1930-1962، (غير موضوع الدراسة) التي بدأت فيها العمارة الحديثة architecture moderne، تمثل موضوعا يكثر ويطول التفصيل فيه، نظرا لتعدد المشاريع في تلك الفترة، وتنوع السياسات المعمارية والعمرانية، وأنها تعتبر محلا للنقد أكثر من الاعجاب عند نفس الفئة السابقة.

وسنركز في هذه الدراسة أيضا، على مدينة الجزائر-على سبيل الايضاح لا الحصر-باعتبارها النموذج المثالي الذي يحتذى به في بقية المناطق، والمركز

الاساسي لدراسة العمارة الكولونيالية. وقد حاولنا تقسيم هذه المراحل على الفترات التاريخية التي شهدت مشهدا معماريا خاصا بها، واستنادا لما

1. المرحلة الأولى: 1830 – 1855 (المدينة العسكرية) شهدت هذه المرحلة هيمنة الطابع العسكري، من حيث المشاريع التي كان يشرف عليها ضباط سلاح الهندسة العسكرية (Génie Militaire De L'armée d'Afrique)، فقد كانت مهمتهم تعتمد أساسا على تحويل المجال الحضري القديم بشكل جذري<sup>1</sup>، أي تطويق المدينة وحصرها في مجال محدود، ومن أبرز مشاريع هذه الفترة:

● المسرح (théâtre des rue des consuls): كان أول مشروع معماري كولونيالي، كما قال هنري كلان" إنجلترا بدأت استعمارها بسكة الحديد، اسبانيا بالكنيسة، وفرنسا بالمسرح»، فهذه البداية المعمارية، تعكس رغبة المحتل الفرنسي في الهيمنة الثقافية كمشروع أولي لأهميته، فاستغلت بذلك المسرح لإظهار ثقافتها وهويتها الفرنسية والأوروبية، للشارع المحلي، ومنه محاولة لتفكيك أواصر الهوية المحلية لدى المجتمع الجزائري.

● تهيئة ساحة السلاح (places d'armes): ولعل التسمية تدل أكثر على الطابع العسكري لهذه الفترة، فقد كانت هذه الساحات، مقرا لاستعراض المجتمع الأوروبي، وابرار ثقافتهم وهويتهم من خلالها "فكانت هذه الساحة بمثابة منتدى حقيقي حيث كان يجتمع كل يوم المسؤولون المدنيون

---

معاوية سعيديوني. دراسات في التخطيط العمراني بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية. -<sup>1</sup> 21. القافلة. 2015. ص

والعسكريون من جميع الرتب للاختلاط بالبرجوازية الجزائرية، و في المساء جمعت الموسيقى العسكرية المجتمع بأكمله"<sup>1</sup>



صورة01: تظهر ساحة (السلاح – الجمهورية) بها تمثال دوق أورليان، ملتفتا الى المسجد بظهره. عام 1849 في عيد الرب

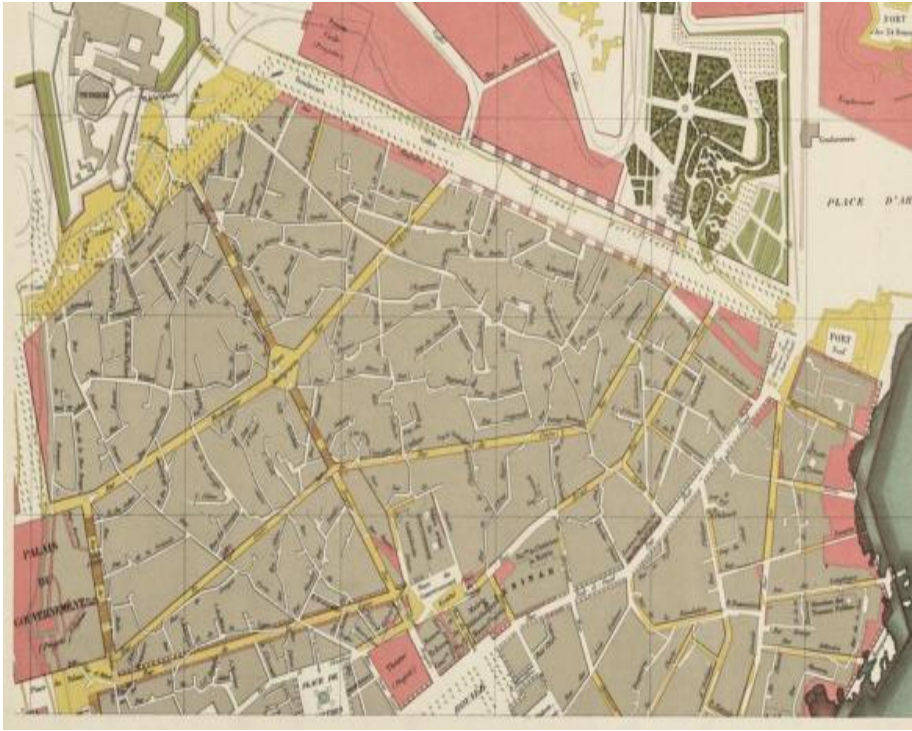
المصدر: Archives de l'Archevêché d'Alger

نلاحظ من خلال الصورة، طريقة ابراز مظاهرهم الثقافية والدينية في الساحات المكشوفة على الجمهور، مع حضور قوي للمجتمع المحلي المتواجد حتى على سقف الجامع الجديد، وعلى مختلف المنازل يرقبون هذه الاحتفالية، وهذا ما أرادته السلطة الاحتلالية ان تكشف عليهم هويتها لإبهارهم وجذبهم اليها.

<sup>1</sup> - Guiauchain G. Alger . edition de l'imprimerie algerienne . 1905. P 29



كما شهدت هذه المرحلة، تجاهل المدينة الإسلامية من قبل السلطات الفرنسية، بالتعالي عليها، أو الانتفاع منها واستغلالها، فشقوا فيها الطرق والشوارع المستقيمة والساحات الفسيحة، وقاموا بهدم الكثير من المنشآت، وانتهاك حرمة المساجد، وتملك أبرز الأماكن، كالقصور والديار المميزة، مبررين بذلك افعالهم، بأسباب صحية وتنظيمية وأمنية، تستدعي ذلك.



مخطط 01: يوضح اختراق مساكن القصبة لإقامة الطرقات المستقيمة

1847

المصدر: BNF

وانتهت هذه المرحلة بمحاولة فصل المدينة الاصلية عن المدينة الجديدة، أي الفصل بين العشوائية والتنظيم، أو بين المشهد المشوه والمشهد الفني الجميل، باعتبارهم أن المدينة التقليدية غامضة، متسخة، ضيقة، غير نظيفة الهواء، دروبها صعبة<sup>1</sup> .... وغيرها من الاوصاف المهيئة للمدينة الإسلامية التقليدية، ولا يزال هذا الفصل بين هذين المحيطين قائما ليومنا هذا ذهنيا وماديا، في مدينة الجزائر يشعربه كل زائر لها.<sup>2</sup>

## 2. المرحلة الثانية: 1855-1885: (المدينة المدنية)

تعتبر هذه المرحلة نقلة مهمة في كيفية تصور المدينة، بحيث بدأ المجتمع المدني الأوروبي أو الاستيطاني يطالب السلطات بمدينة نموذجية كالتي جاؤوا منها في أوروبا، والرغبة في التحرر من القيود العسكرية التي فرضتها سلطات سلاح الهندسة في المدينة، فقد كان هناك صراع كبير بين الجهتين.

و مع زيارة نابوليون الاولى للجزائر سنة 1860، والثانية 1865، بدأت مظاهر التمدن تزداد، بإقامة المعالم المعمارية ذات الجمال الكلاسيكي في الميادين الواسعة، لإبراز هيمنة وسيطرة عمارة المدينة الجديدة على المدينة القديمة (التقليدية)، و جعلها النموذج الأمثل و الذي يحتذى به في الرقي و الحضارة المجتمعية، فبدأت السلطات الكولونيالية في هذه الفترة باستيراد نماذج السكنات الهوصمانية، كقالب جاهز للوضع دون الاكتراث للطبيعة

---

<sup>1</sup> - JULES DUVAL. Manuel descriptif et statistique de l'Algérie. Editeur de la revue d'orient d'algerie. 1855. p110.

<sup>2</sup> - معاوية سعيدوني. دراسات في التخطيط العمراني بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية. - 23. القافلة. 2015. ص

المكانية و الخصوصية المجتمعية، فكلما كانت المدينة مدنية للمجتمع الأوروبي كلما كانت عمارتها مشابهة للعمارة الأوروبية .



صورة 02-03: توضح نموذج ل immeuble de rapport haussmannien :  
الواجهة الخرجية علي اليسار و تقسيم الطوابق اجتماعيا على اليمين.  
المصدر: Stéphane Bern and Lorànt Deutsch. The crazy adventure of  
Haussmannian Paris.youtube

نلاحظ في الصورة العلاقة المتناسبة بين المظهر الخارجي والداخلي لهذه  
السكنات، حيث ان الطابق الأكثر ديكورا وزخرفة في الواجهة، هو الأكثر  
رفاهية و ثراء في الداخل، وهذا يعكس اظهار الطبقة الاجتماعية على  
الواجهات المعمارية، وفلسفة هيمنتها على المجتمع.



مخطط توضيحي 01: يوضح كيفية تقسيم الطبقات الاجتماعية المختلفة  
داخل السكنات الهوصمانية

المصدر: الكاتب

نلاحظ من خلال هذا المخطط مدى التفرقة الاجتماعية داخل المبنى الواحد، من الطبقة الفقيرة الى الطبقة الغنية على شكل هرمين مقلوبين يلتقيان في المنتصف، مركز المبنى والهيمنة الطبقية.

نذكر أيضا أن من ابرز مشاريع هذه المرحلة، مشروع جادة واجهة البحرية (جادة الامبراطورة اوجيني) للمهندس المدني فديريك شاسيريو: و التي كانت بنفس النمط السابق، فيعتبر هذا المشروع اللبنة الأولى لهذه المدينة الجديدة التي كانت تسعى لترسيخ التواجد الاستعماري على حساب المدينة القديمة، واقتبس هنا في هذا الصدد ما أرسله هذا المهندس الى نابليون الثالث -حول دراسة لمشروع سابق له ( لم يتم إنجازه)، حيث أن هذا الخطاب يعكس طريقة تفكير أغلب المهندسين في تلك الفترة : "لا ينبغي لنا أن ناسف على المنازل القليلة التي سيتم ازالتها بهذا العلاج البطولي، فحن لم نعد في زمن الخلفاء او بني سراج، لا شيء يذكرنا بين المغاربة، بقصر الحمراء في غرناطة او قصر اشبيلية ، او تلك القلاع المهيبة في باليرمو، وهي نماذج من الهندسة المعمارية التي لا نجد لها هنا سوى تقليد بربري، فلن تفقد الفنون شيئا وسيتم تطهير المدينة".<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - Frédéric Chassériau. Etude pour l'avant-projet d'une cité Napoléon-ville à établir sur la place de Mustapha à-Alger .imprimerie Doubos frères. 1858. P7

فقد غير مشروع جادة الجمهورية صورة الجزائر للقادم اليها من بعيد، فحجب بذلك المدينة القديمة وعمارتها وأظهر الواجهة المعمارية الأوروبية، كالباب الفرنسي الذي يفتح على الجزائر وافريقيا، وهنا تتجلى قمة الهيمنة والسلطة الاحتلالية، باستعمال الهندسة المعمارية (العمارة السلطوية حسب منظور ميشال فوكو<sup>1</sup> Architecture du pouvoir).



صورة 04: تظهر جادة الجمهورية مسيطرة على المشهد العمراني للجزائر.

المصدر: Getty image

---

<sup>1</sup> - Michel Foucault, Discipline and Punish: The Birth of the Prison, 1975





صورة 05: تظهر الهوية المعمارية الجزائرية قبل الاحتلال. المصدر: VISTA

DE LA PLAZA DE ARGEL 1783 BNE

من خلال الصورتين نلاحظ الفرق بينهما، فالتغيير في الواجهة البحرية وهويتها أدى ال تغيير كامل في المشهد العمراني والمعماري، والذهنية الفكرية والتصورية للمدينة و مجتمعها.

### 3. المرحلة الثالثة 1930-1885 (المدينة الحضرية والانماط المحلية)

تميزت هذه المرحلة بمشاريع عمرانية كتهيئة الطرقات، سكة الحديد، الميترو وغيرها من المشاريع العمرانية الحضرية الكبرى، وفي هذه المرحلة تناقص اعتماد النمط النيو-كلاسيكي للمباني الذي كان يهيمن على مراكز الاحتلال، واستبداله تدريجيا بالأنماط المحلية، ومحاولة ادماجها مع النمط

الأوروبي، غير أن النمط النيو-مورسكي للعمارة الكولونيالية، أعاد تجسيد العناصر المادية دون المعنوية للعمارة التقليدية، كما ظهر ذلك في عدة مشاريع.

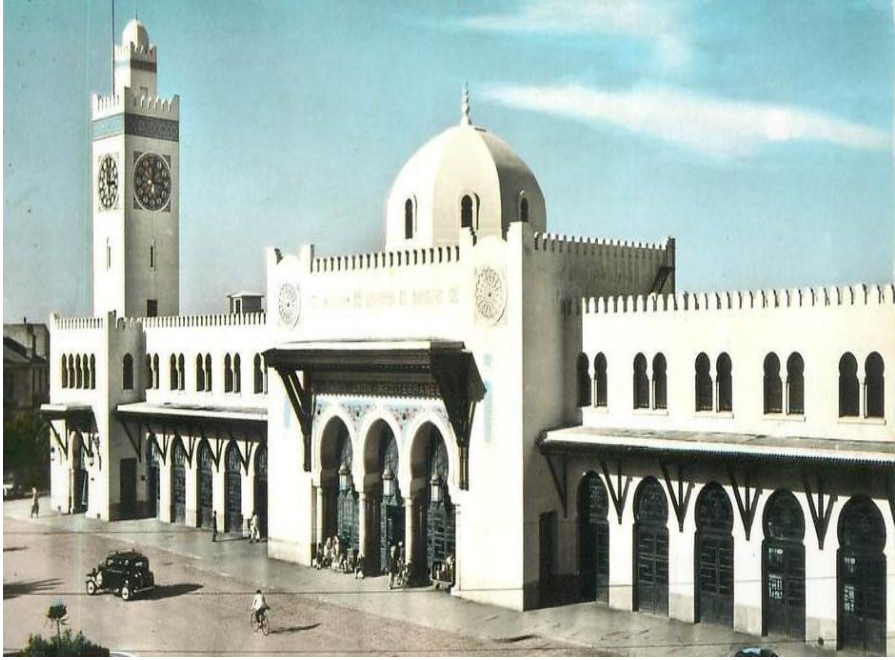


صورة 06: توضح مركز البريد في الجزائر بنمط النيو مورا سك، نلاحظ إعادة  
توظيف العناصر المعمارية المحلية شكليا. المصدر : (cartes GENEANET)  
postale

وقد حقق هذا النمط نجحا كبيرا، في استعمال العناصر المحلية شكليا  
على الواجهات، وإعطاء طابع جمالي خاص وهجين في نفس الوقت، إلا أنه  
في بعض المشاريع، قدم صورة خاطئة لماهية المشروع، وهو عندما أعاد



استعمال هذه العناصر في غير محلها ووظيفتها، كما هو الحال في محطة النقل في وهران.



صورة 07: توضح محطة وهران ذات الطابع النيو-مورسكي.

المصدر: Getty image carte postale

توحي صورة هذه المحطة لمن يراها بانها مسجد، اعتمادا على الشكل الخارجي ومن خلال العناصر المعمارية الدالة على رمزية المسجد كالقبة والمنارة، الاستعمال الشكلي دون دلالاته الرمزية، يزيّف حقائق البنايات، أو تشويه رمزية العناصر المعمارية المحلية، كما أنه يفقد هذه الدلالات الرمزية من ارتباطها بموضوعها، أي محاولة تجريد العناصر المعمارية من هويتها. وان تطبيق هذا النمط كان لأسباب سياسية أكثر من كونه هيكلية

معمارية، فقد أتى به الحاكم العام جوناو 1903، لغرض سلمي ولاستمالة الجزائريين وتقبلهم للاحتلال، بإظهار الهوية المحلية على العمارة الكولونيالية شيئا فشيئا، وما يؤكد هذا، القول التالي لغيوشان الذي كان مؤيدا لفكرة جوناو "ان العمارة فن معقد للغاية ولا يمكن أن يتطور بسرعة...وهي تعكس ببطء الحالة الفكرية والاجتماعية للبيئة التي تتطور فيها، وهي تكتب تاريخ الشعوب"<sup>1</sup> بالإضافة الى نمذجة هذا النمط حسب احتياجاتهم وثقافتهم، و عدم مراعاة الخصوصية المحلية فيه، كما قال ايضا "و القدرة على تعديل الاشكال غير المتوافقة مع احتياجاتنا... فان النافذة هي عنصر مهم للغاية ... أرادها المغاربة صغيرة و قليلة... أما نحن فنريدها كبيرة و كثيرة العدد... فهي اطار لوحة بانوراميه واسعة، متاحة للجميع...و يجب أن يكون التوزيع الداخلي مرضي لاحتياجاتنا والمظهر الخارجي مناسب لذوقنا"<sup>2</sup>، ومنه فالنمط النيو-مورسكي لم يكن الا كذبة على المجتمع الجزائري لتجسيد الهوية المحلية، بل كان امتدادا لنفس السياسة الاحتلالية الاستيطانية ولكن بقالب آخر. ومن الامثلة البارزة أيضا في هذا السياق la maison centenaire، الذي أنشأ بمناسبة مئوية الاحتلال عام 1928، وكان بمثابة معلم ثقافي وسياحي للأجانب، لاكتشاف العمارة المحلية وسكن الأهالي، الذي تشكل من عناصر مختلفة كالسقيفة، وسط الدار، البيوت ...وغيرها، الا أن هذا المشروع كان منفتحا على الخارج، ومنعزلا عن المحيط، مجسدا مفهوم الفيلا الغربية، فتعتبر هذه

---

<sup>1</sup> - Guiauchain G. Alger. Edition de l'imprimerie algérienne. 1905. P. 151

<sup>2</sup> - Guiauchain G..op.cit. p154.

المحاولة لتجسيد العمارة المحلية، محاولة فاشلة، لأن أساس السكنات في البيئة الإسلامية هو التجاور والتراص، واندماجها مع محيطها.<sup>1</sup>



صورة 08: la maison indigène centenaire

المصدر: carte postale eBay

---

<sup>1</sup> -Ben Hamouche Mustapha. L'architecture et l'urbanisme au Maghreb aux 19-20 siècles, cas d'Alger (1800-2000). Medina fondation 2017-2018. P 137-138.

### III. بعض الملامح والتأثيرات السلبية للعمارة الكولونيالية:

من خلال ما سبق سنحاول استخراج بعض الملامح والتأثيرات السلبية الظاهرة والباطنة منها للعمارة الكولونيالية، وتقسيمها الى ثلاث مستويات:

#### 1. على مستوى الهوية:

ان الهوية هي ذلك الكيان المعنوي الذي يتجسد في ثقافة الشعوب، فهي غير مرتبطة بمجال دون اخر، بل هي كل متكامل لكل المظاهر الثقافية، والهوية المعمارية هي جزء مهم وأساسي من الهوية الكلية، فكما قلنا سابقا ان العمارة هي الشاهد المادي لهذه الهوية، وبما ان موضوع الهوية موضوع حساس لجمعه لثلاثية أساسية: تكوينات الماضي وشخصية الحاضر ومحددات المستقبل.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع، حاول الاحتلال الفرنسي قدر المستطاع ان يضرب كيان الهوية الجزائرية، وأن يجردها من كل مقوماتها، فكانت العمارة الكولونيالية وسياستها، سلاح فعال لهذه المهمة، من خلال ما يلي:

#### ● محو الهوية عن طريق الهدم:

ان من بين سياسيات الاحتلال التي ظهرت بقوة في المراحل الاولى، وقد وُثق ذلك من خلال كتابات بعض الفرنسيين، امثال غيوشان في كتابه الجزائر: "... في عام 1830 كانت أسوار المدينة تحتوي على حوالي 12200 منزل سكني، ويمكننا أن نقدر أن أكثر من ثلث هذا العدد قد اختفى الان تحت معاول عمال الهدم التابعين لبلديتنا، وبالتالي لا يزال هناك حوالي 8000 منهم، جميعهم تقريبا في الجزء العلوي من المدينة، وعدد قليل جدا

في الجزء السفلي.... لسوء الحظ فان أجمل هذه المنازل وأكثرها فخامة هي  
التي اختفت..."<sup>1</sup>



صورة 09: تهديم جامع السيدة 1831

المصدر:

Description de l'Algérie vers 1835, illustrée des gravures d'A. Genet

---

<sup>1</sup>Guiauchain G. Alger. Edition de l'imprimerie algérienne . 1905. P 18 -



فهدم التراث المحلي، هو محاولة اقصائية لهوية الاخر ومحوها تماما عن الوجود، فكل عملية هدم قام بها الاحتلال لأي عمارة كانت بسيطة او متميزة، أفقدت جزءا لا يعوض من الهوية المعمارية والتراث المحلي.

#### ● الانفصام في الهوية عن طريق الهيمنة:

لقد هدف الاحتلال من اعتماده النمط الأوروبي (النيوكلاسيكي)، اظهار التمايز والتباين بين الهوية المعمارية الأوروبية المهيمنة والسلطوية، التي كانت تتميز بالضخامة والفخامة والانتظام، والهوية المعمارية المحلية، التي كانت تتميز بالبساطة والتواضع والتداخل، فهذا الفرق الشاسع بينهما في التركيبة المعمارية في مكان واحد، ولد انفصاما في الهوية او الازدواجية فيها، والذي لا تزال تعاني منه معظم مدن الجزائر، خاصة في مراكزها أين نجد هذا النمط مهيمننا أكثر.



صورة 10: توضيح غياب الهوية المعمارية الواضحة (انفصام وازدواجية) في القصبة

المصدر: المصور فاروق تومي

## ● تشويه الهوية بالأنماط المعمارية الهجينة:

كالنمط النيوموراسكي (دمج بين الثقافة المحلية والفرنسية)، الذي أحدث ضجة سياسية وثقافية في المجتمع الاستيطاني عندما تبنته السلطات الفرنسية، بين مؤيد ومعارض، اما بالنسبة للمجتمع الجزائري فلم يكن هذا النمط معبرا عن هويته الحقيقية، بل الشكلية منها فقط، وأحيانا كان يستعمل بطريقة خاطئة مثل ما ذكرنا سابقا عن محطة وهران (الصورة 07).

فإنشاء صورة مشوهة (هجينة)، أو ناقصة (إظهار الشكل دون مضمون الثقافة المحلية)، يؤدي الى مغالطات في تشكّل الصورة الهوياتية للطابع المحلي، والتي تضع تصورا خاطئا للأجيال اللاحقة، وهو ما نستطيع القول عنه بالتلاعب بالهوية وإنتاج هوية مشوهة.

ومما سبق، نستخلص أن سياسة الاحتلال قامت بعدة إجراءات معمارية مختلفة، حسب السياق التاريخي والسياسي التي كانت فيه، لأجل: محو الهوية أو انفصامها أو تشويهها، وكل هذه الأهداف وان اختلفت الأساليب، تصب في غاية واحدة وهي التأثير السلبي الأني ( وقت الاحتلال) والمستقبلي (الوقت الحاضر)، وهذا ما تثبته النظرية ما بعد الكولونيالية، التي تحدث عنها ادوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" وفرانس فانون في كتابه "معذبون في الأرض"، التي تقول أن التأثير الكولونيالي يبقى في المجتمعات المستعمرة حتى بعد استقلالها ، وبالتالي فان للعمارة الكولونيالية تأثير مستمر على مستقبل الحياة المدنية. لما لها من تداعيات قوية على هويات الدول المستقلة، وذلك ما يجعل هذه العمارة والتعامل

معها، وضع في غاية الأهمية، كونه يرتبط في الكثير من النواحي بمسألة استعادة الهوية الوطنية.<sup>1</sup>

## 2. على مستوى المجتمع الجزائري:

### ● ضياع هوية المجتمع بين المعالم، التماثيل وأسماء الشوارع:

تميزت العمارة الكولونيالية، بالنصب التذكارية للشخصيات المرتبطة بالأحداث التاريخية، وتسمية مختلف الشوارع والمنشآت بها، وإقامة التماثيل المختلفة للجماد، النبات، الحيوان، الإنسان، وحتى الإلهة، فبالرغم أن المجتمع المحلي الأصلي لم تكن لديه هذه الثقافة (التجسيد)، إلا أن التعود على هذه المظاهر في الحياة المدنية، يكسبها نوعا ما طابعا من الشرعية والقبول<sup>2</sup>، فهي تتواجد في كل من العمارة والعمران، من البنايات (ديكور الأبواب- السلالم- الواجهات)، إلى الميادين والساحات، فلا يخاد يخلو مشهد من العمارة الكولونيالية دونها.

---

<sup>1</sup> - بن حموش مصطفى. التراث الكولونيالي، الحياة والتراث المتنازع فيهما. ص 06-07

<sup>2</sup> - Bioud Ghofrane. Exploring the Cultural Significance of The French Colonial Legacy. Indonesian Journal of Social Science Research. 2024.





صورة 11: تماثيل لتزين الواجهة، مبنى بالقرب من ساحة الشهداء

المصدر: Michael Runkel (2010)

فبالنسبة للنصب التذكارية لمختلف الشخصيات التي خلدت أسماء كولونيلية، فقد تم إزالة معظمها كنصب الدوق اورليان عام 1962، كسياسة اتبعتها الجزائر المستقلة، لتحرير الوطن من الرموز الاستعمارية، وكذا تغيير أسماء الشوارع من أسماء لأشخاص كولونيليين الى مكافحين وطنيين، الا ان هناك بعض منها لم يغير بعد، ولكن الاشكال لا يكمن هنا في عدم تغييرها كلها، بل يكمن في الشوارع والأماكن التي استبدلت اسمائها، ولكن المجتمع طُبع عليه استعمال الصيغة الكولونيلية، كـ " لافيغري" (مبشر مسيحي)، الذي لا يزال يتداول، بالرغم من طول الفترة الزمنية ( تعاقب أجيال)، و بالرغم من تغييره الى "المحمدية"، وهذا ما يؤكد " ضياع الهوية" المجتمع الجزائري.

فحسب ما يفسره "بيارنورا" في قابلية تغير ذاكرة المكان: فالذاكرة تخضع للتذكر والنسيان، وهي عرضة للاستحواذ والتلاعب، "فأماكن الذاكرة الاستعمارية، تعتبر عوامل محفزة في فرض بنية السلطة، وكذلك في تحديد الهوية واستمراريتها في السياق الاستعماري. فقد استمرت المواقع الرمزية لثقافة المستعمر في الاحتفاظ بأهميتها في الحقبة ما بعد الاستعمارية، حيث سمحت قدرتها على التغير واكتساب معانٍ جديدة لها بأن تكون أيضًا أماكن ذاكرة للمستعمرين"<sup>1</sup>. أما بالنسبة للتماثيل، فهي تهديد آخر للمجتمع، وذلك لما لها من سيمائية رمزية معارضة للثقافة المحلية وخصوصياتها، ودلالات ايحائية تتعارض مع الدين الإسلامي، إلا أن الكثير من الافراد، لا يرون وجودها تهديدا لهويتهم أو هوية الأجيال اللاحقة، فكثرت هذه التماثيل وانتشارها، سيجعل الامر مستقبلا مقبولا عند المجتمع<sup>2</sup>، ولعل من أبرز هذه الأمثلة التي تثير الجدل في المجتمع الجزائري بين مؤيد و معارض: تمثال عين الفوارة بسطيف<sup>3</sup>، فمنهم من يرى أنه معلم للمدينة ويرمز لها، ولا يمكن المساس به على أساس تراثيته، ومنهم من يرى أنه غير مقبول اجتماعيا وأخلاقيا، ولا تزال الآراء تتضارب فيما بينها، منذ الاستقلال الى حد اليوم ، ولا يسعنا الموضوع للتفصيل فيه،

---

<sup>1</sup> -Zeynep Çlik. Colonial/Postcolonial Intersections, lieu de mémoire in algeria. Third Text. 1999. P 163.

<sup>2</sup> - Bioud Ghofrane. Exploring the Cultural Significance of The French Colonial Legacy. Indonesian Journal of Social Science Research. 2024. P 672.

<sup>3</sup> \* بناءا على عمل بحثي ميداني قامت به الباحثة على مركز مدينة سطيف. عام 2015.

وانما اظهار حقيقة مدى تأثير هذه العمارة في تماثيلها على المجتمع كواقع معاش اليوم.



صورة 12: عين فوارة واجتماع الناس حولها المصدر: الكاتب 2015

#### ● اللااستقرارية المجتمعية في السكنات.

تعتبر هذه السكنات les immeuble de rapport في مراكز المدن الجزائرية، عمارة ثقيلة ولها حضور قوي، وأصبح المجتمع الجزائري في أغلبه يتغنى بها وبجمالها<sup>1</sup> - أي الفن الكولونيالي - مقارنة مع العمارة الحالية، ولربما يعلم أو لا يعلم، أن العمارة الكولونيالية هي سبب أساسي لما هي عليه الان العمارة في الجزائر. ومن أكثر الأمور سلبية التي تظهر في هذه البنايات السكنية: الطبقيّة الاجتماعية، فهذه السكنات لم تكن

---

<sup>1</sup> -Bioud Ghofrane. Exploring the Cultural Significance of The French Colonial Legacy. Indonesian Journal of Social Science Research. 2024. P 673.

مخصصة للأهالي، بل للمستوطنين، وبعد الاستقلال سكنها الجزائريون، دون مراعاة للعواقب، وللظروف استدعت ذلك، ومنه فهذه الطبقية الاجتماعية التي تركزها هذه السكنات، لها تأثير سلبي وعدم استقرار علاقات الجوار داخل المبنى الواحد وعلى العلاقات المجتمعية خارجه، وهذا عكس ما الفه المجتمع الجزائري من تماسك وتآخي بينهم. وأيضا من علامات تأثير هذه السكنات الكاشفة لخصوصية الاسرة، المحاولات الفردية لتكيفها وتغييرها وفق خصوصية الساكن، ويظهر هذا جليا في ستر الشرفات، واختلفت الأساليب وتعددت في ذلك، وأبسطها استعمال الستائر كحاجز بين الفضاء الداخلي الخاص والفضاء الخارجي العام، لان الستر والخصوصية داخل المنزل الجزائري يعد من الضروريات الاساسية.



صورة 13: توضيح ستر بعض الاسر الجزائرية الشرفات، بستائر قماشية ,

المصدر: الكاتب 2015

فهذا الصراع الداخلي في عدم رضوخ هذه العمارة، للمبادئ الفردية والمجتمعية، وتكييفها بطرق غير ناجحة، خلق جوا مضطربا من عدم ارتياح الفرد في سكنه، الذي يجدر أن يكون ملاذا للسكنة والاستقرار.

### ● تحرير المرأة بالمشاريع الصناعية:

من خلال كتاب Manuel Discriptif Et Statistique De l'Algerie: للكاتب JULES DUVAL سنة 1855، الذي تناول أهم الموضوعات التي تخص المجتمع، وهو "موضوع المرأة الجزائرية"، والتي أرادت السياسة الكولونيالية من خلال عمارتها، أن تخضعها وتجردها من هويتها، لما رأت فيها من شخصية متماسكة وركيزة أساسية للأسرة، فحاولت السلطات الاحتلالية بشتى الطرق والأساليب، تحريرها وكشفها للمجتمع، وذلك بإنشاء مصانع للخبز والطحين والنسيج، لتخرج هذه المرأة من المنزل فتعمل في هذه المصانع وتندمج مع المجتمع الاوروبي، فتكسب معاشها واستقلاليتها المالية عن الرجل من جهة، ولتخفيف الاعياء المنزلية عنها من جهة أخرى" ولتحقيق هذا الهدف فان الوسائل العملية بسيطة للغاية، و يكفي أن توفر هذه الفنون اليدوية. التي تعود عليها بفوائدها، وفروا لها معامل الطحين، الخبز، الحلويات، والنسيج، والخياطة..."، ويقول أيضا في موضع آخر " عندما نحول البيئة التي يعيش فيها العرب، من درجة اقصائية للمرأة الى مبدعة في الحياة، بحيث نؤكد على مكانتها الاجتماعية بجانب الرجل، فتصبح أكثر نبلا وأكثر قيمة"، ولم يتوقف الامر الى هذا الحد فقط، بل حتى التجرو على الدين الإسلامي وتحويله وفق ما يدعم هذا المشروع، فيقول " علينا انشاء الفقه الإسلامي في جميع المسائل

الحساسية التي تعرض عليه من قبل السلطات... فيجب أن يكون لدينا دائما نص فقهي تحت تصرفنا، و دعمه بأكثر التعليقات علما و التي لا تقبل الجدل"<sup>1</sup>. فمن خلال ما تطرقنا اليه، توضح أن التأثير السلبي للعمارة الكولونيالية على المجتمع الجزائري كان كبيرا جدا، ولا يزال، فعلى الرغم من تعدد وتنوع في العمارة الكولونيالية للتأثير السلبي، من مصانع، عمارات، تماثيل وحتى أسماء الشوارع، إلا أن كلها موجهة على هدف واحد وهو المجتمع الجزائري، لاعادة تشكيل هويته، ولعل مقولة ونتسون تشرشل تلخص ما قلناه "نحن نشكل بناياتنا، ثم تعود لتشكلنا".

#### الخاتمة:

ان قيمة المجتمعات تُعرف من مدى التمسك بالهوية، فضياعها يدل على ضياع المجتمع، فهما عاملان متلازمان، يستوجب أحدهما حضور الآخر فيه، لذا يعتبر التطرق الى هكذا مواضيع ضرورة لما تمليه تحديات الحاضر، فواقع الجزائر اليوم، من حيث الهوية غير واضح المعالم، والهوية المعمارية أشد غموضا وحرجا، وهذا ما يستدعي، إعادة دراسة الماضي ومعرفة مواطن الخلل، لتدارك الحاضر ومواكبة المستقبل، بمجتمع متماسك وذو هوية صلبة. فقد تبين من خلال هذا البحث المقتضب، واجابة على الإشكالية، أن العمارة الكولونيالية هي من الأسباب الرئيسية لما

---

<sup>1</sup> - JULES DUVAL. Manuel descriptif et statistique de l'Algérie. Editeur de la revue d'orient d'algerie.1855. p411- 412.

آلت اليه العمارة في الجزائر، وفقدانها لهويتها، وذلك أن أهداف سياسة الاحتلال الأولى، ضرب هذه الهوية الجزائرية، واستبدالها بأخرى فرنسية، واستعملت في ذلك سلاح ذو حدين، سلاح الهندسة المعمارية، الذي يؤثر ماديا ومعنويا، فاستطاعت بذلك أن تؤثر تأثيرا سلبيا كبيرا وطويل المدي على مستوى الهوية وعلى مستوى قيم المجتمع، في نقاط كثيرة، استعرضنا بعضها منها في هذه الورقة. فالعمارة الكولونيالية مخالفة تماما للبيئة المحلية الجزائرية ولا يمكن التكيف معها الا بإعادة نمذجتها، وفق هوية المجتمع الجزائري وما يخدم خصوصيته، ولا تزال تحمل هذه العمارة في طياتها أسراراً خفية حقيقية، لخطابات علنية كاذبة، لذلك يجب إعادة قراءة ما بين السطور لهذه العمارة، والتركيز على التفاصيل دون اهمال الأطر الكلية.

ومن غرابة المجتمع الجزائري الأصيل، ورغم كل هذه الهجمات التي تعرض لها، من العمارة الكولونيالية على هويته طول فترة الاحتلال، أنه بقي متمسكا بأصالته وجذوره، فالتسلح بالثقافة الإسلامية والأخلاق المجتمعية، والالتزام بها في إطار الرؤية الكونية، جعل المجتمع الجزائري يميز بين المظاهر الخاطئة والصائبة، وبالتالي نقدها وتمحيصها، ثم قبول الا ما تمرره مصافي التوحيد الإسلامي.

## القائمة الببليوغرافية المعتمدة :

- بن حموش مصطفى. التراث الكولونيالي، الحياة والتراث المتنازع فيهما. مجلة العمارة والبيئة والطفل. 2021.
- معاوية سعيدوني. دراسات في التخطيط العمراني بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية. القافلة. 2015.
- Ben Hamouche Mustapha. L'architecture et l'urbanisme au Maghreb aux 19-20 siècles, cas d'Alger (1800-2000). Medina foundation 2017-2018.
- Bioud Ghofrane. Exploring the Cultural Significance of The French Colonial Legacy. Indonesian Journal of Social Science Research. 2024.
- Claudine Piaton et autres. Algèr ville et architecture 1830-1940. barzakh. 2016
- Edward Saïd, Orientalism, 1978
- Frantz Fanon, the Wretched of the Earth, 1961
- Frantz Fanon Black Skin, White Masks, 1952
- Frédéric Chassériau. Etude pour l'avant-projet d'une cité Napoléon-ville à établir sur la place de Mustapha à-Alger .imprimerie Doubos frères. 1858.
- .Guiauchain G. Alger . edition de l'imprimerie algerienne . 1905.
- JULES DUVAL. Manuel descriptif et statistique de l'Algérie. Editeur de la revue d'orient d'algerie.1855.
- Michel Foucault, Discipline and Punish: The Birth of the Prison, 1975
- Michel Foucault The Order of Things, 1966
- Discipline and Punish: The Birth of the Prison, 1975، -Michel Foucault
- Pierre Nora. Les Français d'Algérie (préfacé par Charles-André Julien), Paris, Julliard, 1961.
- Pierre Nora. « Ernest Lavisse : son rôle dans la formation du sentiment national », Revue historique, no 463, 1962
- Zeynep Çlik. Colonial/Postcolonial Intersections, lieu de mémoire in Alegria. Third Text. 1999.



## القصور الصحراوية أرشيف مفتوح يواجه التزييف

د. عبد الحميد خليفه

جامعة مستغانم

### مقدمة:

يزخر الجنوب الجزائري كإقليم توات بولاية أدرار بموروث حضاري متنوع وثري، يعبر عن هوية وأصالة وعمق تاريخه. ونجد من ذلك عمارة القصور مع لواحقها الأثرية، والتي تعدّ بمثابة أرشيف يحوي داخله مرافق تشكل أوراقا هامة فيه من جهتي الخصوصية الانشائية (المواد والأشكال) والتخطيطية للمسكن الصحراوي، وفي هذه المداخلة البحثية سوف نقوم بعرض أهم الأمور التي يكتنزها القصر الصحراوي بمختلف مرافقه ولواحقه؛ والتي تعد بمثابة أرشيف يستدعي حل شفرات مجمل أجزائه. وإشكالية البحث إلى أي مدى يمكن اعتبار القصور الصحراوية إرثا يُعتمد عليه في التوثيق؟ وكيف يتم ذلك؟ فمن حيث مادة الانشاء والبناء الخاصة بالعناصر المعمارية للقصور تنبثق إشكالية محلّيتها أو أنها دخيلة عن المنطقة، وبالتالي تفرض طرح استفهامات من، متى وكيف جُلبت؟ ونفس الشيء من الناحية التخطيطية (الأفقية والسطحية) والهيكلية (العمودية والقائمة) عن مخططات أصلية ومن مصمّموها (أصل الساكنة وتاريخهم) والوقوف على أهم التغييرات فيها؛ إذ أن لكل عصر ميزته ورؤيته، فالمحلّيون قد يختلفون عن الوافدين. كما ترتبط القصور بالفقارات وعن أصلها، منشؤها، أنماطها وكذا أماكنها وتموقعها بالنسبة للمحور الأم. ولا

يمكن إغفال المخطوطات المتباينة المشارب والمختلفة المواضيع، فالفقهية منها قد تتطرق إلى الموارث ولا تأنف عن ذكر بعض الملاك، كما نجد التاريخية منها المتناولة أصل السكان وفئات المجتمع وأجناسهم وكذا أسمائهم ومسمياتهم فضلا عن تصاميم وتقسيم الملكية لديهم. كما نجد أن للجانب اللامادي كالممارسات الفلكلورية والصناعات التقليدية دور في تيبولوجية وتأريخ القصور، خاصة ما ارتبط بالدروب والساحات وغيرها. وهذا ما يقودنا إلى مساءلات تحتاج تفحص كل الجوانب المرتبطة بذلك. ورغم الزخم الهائل الذي يحويه هذا الأرشيف المفتوح من معلومات يعاني التشويه والتدمير، وذلك ما يشكّل ضبابية في قراءة صفحاته؛ ما يستدعي حاجة ماسة للمحافظة عليه من خلال صيانتته، تثمينه وإعادة الاعتبار إليه.

## 1- مفهوم القصر:

لغة: هو المنزل، وقيل كل بيت من حجر، وسمي بذلك لأنه تقصر في الحريم، أي تحبس، وقد وردت كلمة قصر في القرآن الكريم عدة مرات، كقوله تعالى: "...وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا"<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: 73.

اصطلاحاً: يختلف مفهوم القصر في المناطق الصحراوية عن المفهوم السابق للقصر، فهو قرية محصنة، أو تكتلات سكنية متراسة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعة بشرية<sup>1</sup>

## 2- مميزات القصور:

### 2-1- من ناحية مواد البناء المستخدمة:

إن مواد البناء المستعملة في تشييد معالم القصور الصحراوية بقيت صامدة عبر الأزمان، حيث شكلت أحد مصادر الانشاء المحلي، تبعا لجيولوجية المنطقة

#### 1- الحجارة :

تعد إحدى المواد الأساسية في البناء، وفي معظم الأحيان، يتم وضعها كأساسات للجدران، وتستعمل أيضا كقواعد للأبراج و الأسوار، ويتمثل دورها في متانة وحماية المبنى، فتوضع الحجارة في أسفل البناء بسمك 90 سم أو غير ذلك تبعا للحاجة، ويواصل البناء بها أو بالطوب، ونجد من بين هذه الحجارة ما يسمى بالصقّاح (حجارة محلية سميت بذلك لتصفحها، ولكن ما يطبع عليها أنها حجارة رسوبية تتميز بصلاقتها)، كما استعملت في التسقيف وصنع بعض الأغراض اليومية كمهاريس أو رحي أو مدقات وغيرها. كما يوجد نوع حجارة (التافزا) وتوجد بعض الأماكن التي تطلق

---

<sup>1</sup> عليق ريحة نابت، قصر ملوكة بأدرار، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، 2001/2002، ص: 45

عليها التسمية هذه كالمرتفعات فضلا عن بعض القصور المميزة للجنوب الجزائري.

## 2- الطوب:

يصنع الطوب من مادة الطين، ويشكل على طريقتين، إما باليد أو بالقالب، ويكون مستطيلا أو مربعا، والقالب يكون مصنوعا من اللوح أو المعدن في فترات متأخرة، والذي يمتاز بسهولة انفلات الطين منه، فتنتج كميات معتبرة في وقت قصير<sup>1</sup>، ويوضع تحت أشعة الشمس، حيث تصبح جاهزة للاستعمال، ولأنه مقاوم، فهو يعتبر المادة الأولى والشائع في المنطقة<sup>2</sup>. كما تدخل فيه مواد عضوية طلبا في زيادة مرونته كالليف وبقايا النباتات. وتجدر الإشارة إلى أن مقاسات اللبنة تتباين فيما بينها خاصة تلك اليدوية بينما المقولبة فغالبا ما تكون متجانسة في حالة استعمال نفس القالب، وموازة مع نظيراتها في الدول المجاورة التي تستخدم نفس المادة البنائية فتختلف عنها حجما وثقلا (الجدول 1)،

---

<sup>1</sup> مجموعة مؤلفين، ديوان حماية "وادي ميزاب وترقيته"، العمارة الترابية، 2010، ص: 18

<sup>2</sup> مجموعة من الباحثين، فن الهندسة المعمارية، تر: شريف سلطاني، دار الهدى للطباعة والنشر، 2006، ص: 26

الجدول 1: جرد لمقاسات طوب عالمية			
القارة	البلد	المقاسات	ملاحظة
آسيا	اليمن	8 × 30 × 30	هذه المقاسات المشهورة داخل كل بلد، وإلا فإن هناك مقاسات أخرى في نفس البلد.
افريقيا	مصر	11 × 14 × 22	
	تونس	4 × 10 × 20	
أوروبا			
	فرنسا	8 × 14 × 30	
امريكا	الولايات المتحدة الأمريكية	11 × 19 × 48	

وهذا ما يبين أصالة هذا النوع من المواد ولو من حيث الحجم تكيفا مع الوضع المناسب مقارنة بالبلدان الأخرى (الجدول 2).

الجدول 2: جرد لمقاسات قوالب طوب جزائرية صحراوية			
القصر	شكل الطوب	المقاسات (سم)	ملاحظة
ملوكة ( ولاية أدرار)	هيكل خماسي	30 x 15 x 10	قد نجد نوعي الشكل في نفس القصر
بوسمغون (ولاية البيض)	تكعيب مستطيل	25 x 15 x 10	
موغل (ولاية بشار)	تكعيب مستطيل	40 x 20 x 10	

## 5- الطين:

يعتبر اسمنت البيوت، بحكم أنها تتوفر بكثرة، وبها يتم ربط الطوب مع بعضه البعض، وهذا الأخير مصنوع من مادة الطين نفسه. فباعتباره المادة اللاصقة بين أجزاء الطوب أو حتى الحجارة فإن سماكة الطبقة تلك تتباين داخل البناء نفسه (جدران أو أسوار) فضلا عن اختلافها في أنحاء الجنوب الصحراوي وغير بعيد عن البلدان المستخدمة لذلك.

## 8- خشب النخل:

بحكم توافر النخل بالمنطقة، كان لزاما على الساكن المحلي استعماله بأجزائه كالجريد وكرناف (الطرف العلوي من ورقة النخل) في العديد من الأغراض ومنها تسقيف البيوت، إذ يتم تقطيعها إلى جزئين متقابلين طوليا لتشكيل عارضة رئيسية. كما يستخدم أيضا كمادة ربط في عنصر معماري واحد أو بين عنصرين بنائين مختلفين. وهنا ندخل في تقنية بناء يمثل فيها خشب النخل رافدا حيويا يسهم في تماسك الجدران.

وهنا تتجلى القيمة الأثرية لهذا العنصر. كما تجدر الإشارة لاستخدام نوع من الأعمدة الخشبية لأشجار الأثل والسدر ذات سمك معتبر، وهو ما يعطي ملمحا عن الجانب الإيكولوجي المميز للمنطقة عبر أزمان مختلفة.

## 2-2-العناصر والوحدات المعمارية في القصر:

تحتوي القصور الصحراوية على وحدات معمارية أساسية، لكل منها وظيفة معينة، وترتبط بعض الفضاءات والمعالن الممثلة للتراث المادي بجزء كبير من التراث اللامادي وخاصة الاحتفالات والأعياد الوطنية

والمواسم الدينية زمانا ومكانا، وأهم العناصر والمعالم الأثرية الموجودة بالقصور نذكر:

## 1- الأسوار:

هو البناء المحيط بالبيت ومفرده سور<sup>1</sup> ، يطوف بالبيت أو البلدة، أما في المصطلح الأثري المعماري فإن السور هو جدار عالي ضخيم يحيط بالبناء لحمايته<sup>2</sup>، وهو نوع من التحصينات الدفاعية يأخذ شكل حاجز ترابي، خشبي، أو حجري<sup>3</sup> ، وبهذا يتمكن أهل القصر من مراقبة كل الوافدين إليه ومعرفة هويتهم. وقد زوّدت القصور بمنظومة دفاعية ممثلة بأسوار خارجية يفوق ارتفاعها 12م وسمكها 2.5م، وغرضها حماية الممتلكات والأرواح والحدّ من زحف الرمال، وهنا نلتمس معطين؛ أحدهما مرتبط بمورفولوجية الأشخاص (القوة) البنائين مع ظهور التلاحم والتعاون بين فئات المجتمع ومن جهة أخرى عن النظرة العدائية التي كانت خارجية المصدر. حتى وإن ذلك ملاحظ في القصور المتقاربة أو حتى القصبات داخل القصر الواحد. ونجد أن القصور تحاط بخندق (آغوسرو) (سارداير) له غاياته الدفاعية وحتى البيئية.

---

<sup>1</sup> أحمد بن محمد علي المعنري، المصباح المنير "صح: مصطفى السقي، 1950، ص:

315

<sup>2</sup> عاصم محمد رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق ، مكتبة مدبولي، مصر، ،

ص: 153

<sup>3</sup> الموسوعة العسكرية، ج: 4، ط: 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،

(1990، ص: 458)

## 2- الأبراج:

مفردها برج وهي بروج سور المدينة والحصن، وتسمى بيوت لبنانيها على نواحي أركان القصر وبرج الحصن سكنه والجمع بروج وأبراج<sup>1</sup>، وهي جزء قوي التحصينات مسلّح بقوة معد للدفاع وتنفيذ الرميات<sup>2</sup> ونجد من هذه الأبراج المربعة الشكل والدائري تقريبا، ذات أضلع وارتفاعات مختلفة، إما أن تفوق الأسوار المحاذية أو مساوية لها. ومن الأبراج نجد منها ما تكون وسط السور، وبها مدخل من داخل القصر، وفي نفس الوقت يعدّ فناء للبيت المحاذي له بعد استتباب الأمن (اللوحة 1).



<sup>1</sup> الفيروز آبادي معي الدين، القاموس المحيط، ج: 1، دار الخليل، بيروت، د ت، ص:

<sup>2</sup> بيخ بيرتون، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، تر: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد

يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص: 15



### 3- المداخل:

تميزت مداخل الأبنية العامة والقصور في العمارة الإسلامية، بعظمتها، والباب هو مدخل سور المدينة، وقد يكون بمصرع واحد أو اثنين<sup>1</sup>، وتأخذ هذه الأبواب غالبا أسماء مشهورة ومعروفة، ففي كل مدينة أبواب معروفة المكان والاسم وترتبط بها غالبا أحداث تاريخية<sup>2</sup>. وهو ما نجده في جل القصور التواتية . أما من حيث التخطيط والتصميم فإن الداخل من الباب يقابله مباشرة جدار، وهذه سمة من سمات القصور الصحراوية، فالمهاجم حينما يدخل لا يجد إلا ذلك الجدار الذي يقابله، ما يسمح لمن في داخل القصر بالقضاء عليه قبل دخوله للقصر. ولهذا المدخل مكانة دينية خاصة في العربية منها، إذ يراعى جانب الحرمه وكذا فإن منه يخرج وفد المصلين للعيد والمناسبات بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير باتجاه مصلى العيد الجامع.

### 4- الشوارع:

تعتبر المسالك والطرق العناصر الأساسية في تشكيل هياكل القصر، فهي بمثابة شريان القصر، الذي يربط بين قلبه وبقيّة أطراف جسده، فتتنظم بذلك حركته، وتنقسم الشوارع في العمارة الصحراوية إلى نوعين رئيسية وثانوية تعرف بالأزقة أو الدروب. وقد تميزت الشوارع بالتعرج والالتواء

---

<sup>1</sup> حملاوي علي، منطقة جبال عمور، أطروحة دكتوراه، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، ص: 39

<sup>2</sup> جمعة احمد قابة، موسوعة فن العمارة الإسلامية، ط: 1، ملتي للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص: 316

وذلك لكسر التيارات الهوائية، وأيضا لتأدية وظائف أخرى، مثل تضليل العدو أثناء الحروب. وقد نالت هذه الطرق حظها من العناية لارتباطها بالطقوس الدينية كسير المهنيين بتهاني العيد فيها، وعدت كنقط أساسية في سير المعلن (البرّاح) عن السحور في شهر رمضان، إذ كانت تعد بمثابة مواطن إسماع مشتركة بين الأهالي، كما خصت بمرور حاملي الرايات (الأعلام) الخاصة باحتفالية المولد النبوي الشريف فيها حتى سميت بتسمياته ك(زقاق لعلام)، (زقاق الفاتح) وغيره. ونجد ما يوثق بعض القصور هو تسمية أزقتها ببعض الشخصيات الهامة أو الحوادث التاريخية فضلا عن تباينها زناتيا أو عربيا (أسكلو، الزقيق...)

#### 5- الساحات:

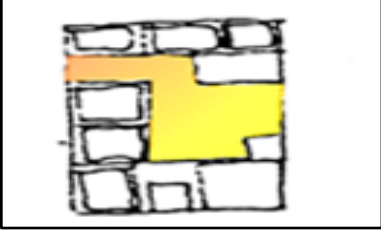
هي تلك الفراغات غير المبنية، كثيرا ما أخذت اسم "الرحبة" أو "الرحيبة"، حيث تشغل جزءا هاما في القصر، إذ أنها تشكل أهم مجالات اللقاء وتوفر مجال الممارسات الجماعية والاجتماعية في القصر، فهي فراغ جامع موحد<sup>1</sup>. وفي أماكن مختلفة من القصور توجد ساحات صغيرة، تعددت وظائفها حسب الفصول وأوقات اليوم والمناسبات حيث كانت تستعمل لعمل الجماعة ولمناقشة الأمور المختلفة الدينية، السياسية، الاجتماعية كالأفراح والسفر، والتجمع لدق نذر الحرب وفض النزاعات بين الفلاحين وإصلاح ذات البين إذا وقعت خصومة بين الأفراد أو بعض الأسر. وقد خصت أيضا تلك الساحات بالطبوع الفلكلورية المتعلقة بالمواسم


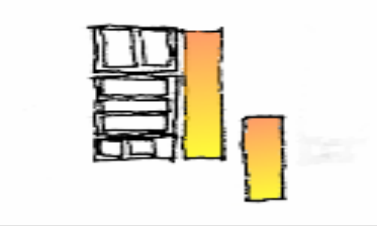
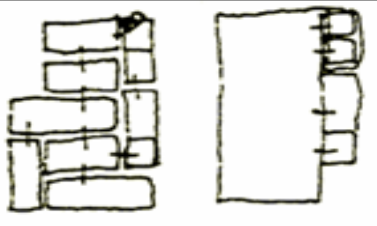
<sup>1</sup> (دحمون منى، قصر بوسمغون بولاية البيض، دراسة أثرية وتحليلية، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص: 66).

الدينية ك"البارود" في أسبوع مولد الرسول عليه الصلاة والسلام أو رقصة "إيشو" في عاشوراء.

## 6- المنزل العتيق:

يعتبر المنزل الوحدة المعمارية الأساسية التي يتألف منها القصر، والبناء بالطين والممرات الضيقة، جعلها باردة صيفا ولطفت الجو للاستقرار. والمنزل العتيق هو المنزل الأول الذي يبنى في المنطقة والذي يسكنه المؤسس الأول للقصر، وغير بعيد نجد المسجد العتيق كسالفه بالنسبة للقصور العربية، ويحظى المنزل العتيق بالتحديد الخاصة بالزيارة، فهو جاذب سياحي لقاصدي البركة والشفاء والفضولين أيضا من شتى البلدان حتى أنه يضيق بالزوار تلك المواسم. ونجد بعض التميّز نوعا ما عن باقي المساكن وإن كانت المرافق الخاصة بها متشابهة كالرجبة (الفناء الداخلي)، التاقمين (جهة الحيوانات المستأنسة وما يخص بها)، وعموما هناك خصوصيات لتوزيع الفضاءات الداخلية لكل نوع (الجدول 3)

جدول 3: فضاءات داخلية لأحد المساكن التواتية (تبعاً للعناصر الموزعة)			
النوع	العنصر الموزع	ميزة الشكل والحجم	أمثلة تشكيلية
1	السباط + الرحبة	مربع ومتسعة نوعا ما	

		مربع وأكثر اتساعا	الرحبة	2
		استطالة ضيقة	السَّباط	3
		هيكل غير منتظم مع الميلان الى الطول مع ضيقه	/	4

وحتى من حيث المستويات فغموما تكون أرضية مع وجود السطح، فيما نجد استثناءات الزيادة عن مستويين فهو ما يميّز بعضها من وجود الدهليز أحيانا (مستوى تحت الأرضي قليلة التعرض للهدم استخدمت كملاجئ سرية أو مخازن وقيل أنها استخدمت لخزن الماء الذي يعاد تفريغه في الخندق المحيط بالقصر)، ونادرا ما تتكون من طابقين سكنيين. (اللوحة 1)

	
تحت أرضي (الدھليز)	فوق أرضي
لوحة 2: مستوى البناء والسكن بأحد قصور توات	

## 7- خزائن المخطوطات:

الحديث عن خزائن منطقة توات وعن العلوم التي تضمنتها، يجعل السامع يرفع من شأن المنطقة كونها ذات علم وعلماء من جهة وأنهم عمدوا إلى تدوين وكتابة علومهم للانتفاع بها من جهة أخرى، حرصا عليها من الضياع وذهاب العلم بعد وفاة العلماء وجعله في مهب الرياح، ولذلك فقد تواجد لدى التواتيين وغيرهم عدد لا يستهان به منها، هذه الخزانات نسبت إلى مؤلفيها أو القائمين على أشغالها، احتوت مواضيع شتى، كالفقه خاصة المالكي منه، العقيدة، التفسير...، ولقيت اهتماما كبيرا من ملاكها

(درجة التقديس)، ولهذه المخطوطات مكانة في جلب المثقفين والدارسين وحتى داعي الفضول لمعرفة ما تحويه من معارف وأسرار. ولكن وجب الاعتناء بهذا الإرث الثقافي المزدوج (مادي حامل للامادي) الفذّ قصد إعطائه الوجه اللائق والمناسب.

#### 8- الضريح:

تقع الأضرحة عادة خارج مساحة القصر، وتتميز مشارف أو مراكز جل المقابر أو الجبانات بتموضع لا يضر بالسكنة بيئيا ولكن يكتسي مكانة المقدس بالنسبة لهم. فحظوة المؤسس والصالح ذات اعتبار، كما كان بعضها بمثابة خلوة ومكان للعبادة. ولون الضريح الأبيض يحضر أساسا من مادة الجير المحلية والرامز للصفاء والنقاء المميز لاستخدام هذا اللون في الطلاء. وترتبط بالضريح زيارات ومواعيد خاصة يحضرها القاصي والداني كما ونوعا وتسمى بأسمائهم ما يحفظ الذاكرة بصفة غير مباشرة. ويطلق فيها الضريح وتقدم فيها الهبات والصدقات. مع الإشارة أن للدور التعبدية تعلق بالاتجاهات الصوفية التي تدين بها مختلف الزوايا. وغير بعيد عن ذلك تقام الأهزيج كطلقات البارود ومرافقتها بإيقاعات الطبل والمزامير والرقص، ومسابقات الخيل، تعبيرا وفرحا بمناسبة أسبوع مولد الرسول عليه الصلاة والسلام طيلة يوم كامل، ليشكل بذلك ملاذ الزوار، السواح والباعة كل حسب مقصده، وبهذا يشكل المكان والزمان (موروث مادي مع لامادي) عنصرا جذب سياحي فائق النظير يمكن تنظيمه وتقنينه.

### 9- أضرحة العلماء وخلوات العبادة:

تعاقب في الفترة الإسلامية على الزوايا عدة شيوخ تفرغوا للتدريس والقضاء ونشر العلم، ولما ماتوا عنهم تلامذتهم وغيرهم بالزيارة لقبورهم في أزمان مختلفة، وهي توثق لتلك الشخصيات إقامتهم وترحالهم. كما نشير إلى ظاهرة التعليم القرآني والتي اتسمت محاضنه (الكتاتيب) بمسميات مختلفة كأقربيش بالقاف أو بالخاء.

### 3- اقتراحات وتوصيات عامة:

إن أهم خصائص البناء الصحراوي هو محلية، مواد البناء مع توزع العناصر المعمارية داخل القصر، فكل واحدة منها تؤدي هدفا معينا إما عسكريا مثل الأسوار والأبراج أو دينيا مثل المسجد أو غيره، والوقوف على الحالة الراهنة للقصور كمعالم أثرية وجردها يسهل عمل المرممين لاحقا في تحديد نوع التدخل المطلوب، إضافة إلى الاقتراحات التي ترفع من قيمتها وتسهم في سياحة استثمارية ونذكر منها:

- السعي إلى وضع خرائط أثرية للمنطقة، تشمل جميع المواقع الأثرية، وفي كل الحقب التاريخية، واستعمال برامج متطورة لهذا الغرض مثل نظام المعلومات الجغرافية (SIG)، وغيره من أنظمة الإعلام الآلي، ووضع هذه المعطيات في قاعدة بيانات، وإتاحتها على شبكة الإنترنت للباحثين والدارسين، قصد التعريف بها، وتقديم المواقع الأثرية عبر القنوات الإذاعية والتلفزيونية الوطنية والدولية كخدمة ذات قاعدة عامة.

- فتح المجال أمام المواطنين لزيارة هذه المعالم، وتدعيم نشاطات الجمعيات الفاعلة في مجال حماية التراث، كالصناعة التقليدية، ومنحهم دكاكين لبيع منتوجاتهم، وكذا النماذج التذكارية، والبطاقات البريدية والصور والمطبوعات والمنشورات، كما يمكن اتخاذها نقاط مراقبة وحراسة، ومكان تواجد للمرشدين السياحيين<sup>1</sup>، مما يدفع بالسياحة في المنطقة.

- السعي إلى تصنيف تلك المعالم الأثرية وحمايتها وبرمجة ترميمات متخصصة مع إعطاء ديناميكية للتراث اللامادي وربطه بالمادي.

- توثيق عمليات الترميم والصيانة لهذه المعالم لتبقى مصدرا ومرجعا، يستفاد منه عند الحاجة إما تقييما وتقويما.

---

<sup>1</sup> فوزية سعاد بوجلابة، "أخطار التلوث على المعالم الأثرية، مدينة تلمسان"، ماجستير قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2010/2009، ص: 113



## الخاتمة:

ما نخلص إليه في الختام هو أن للقصور الصحراوية مكانتها التوثيقية إذا ما تناولناه من الناحية التاريخية ومن الناحية الأثرية. فالقيام بمعرفة الجانب البشري وتعاقباته المختلفة في الإنشاء والتشييد يجسد أرشيف الشخصيات، كما أن جرد معالمه الأثرية الباقية ولواحقه يعدّ بنك معلومات مرقمن، سواء في شقيه الملموس والمحسوس. فالمادي المنقول كالخطوط والعقاري كالقصبات، المساجد والبيوت العتيقة والمرتبطة بالتراث المحسوس اللامادي. أهمية كبرى لتثمين المعالم الأثرية، فبدونه لا تنطلق مشاريع الحفظ والصيانة والترميم، وتختفي الآثار وتندثر أو تتعرض لزحف المشاريع التنموية، وبالتالي نخسر تراثنا الذي يعدّ خير لبنة لبناء صرح وحدة أمتنا. وحتى تؤتي هذه المعالم الأثرية أكلها التوثيقي وجب الاعتناء بها وحفظها وكذا ربطها بالجانب اللامادي الذي يتماشى وخصوصية كل إرث مادي، ويربط الجانبين بعضهما ببعض وزيادة سبل التحسيس والتعريف المحلي والعالمي نستطيع المحافظة على هذا الأرشيف المفتوح بالغ الأهمية.

## القائمة الببليوغرافية المعتمدة:

● القرءان الكريم

● المصادر والمراجع:

بيخ (بيرتون)، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981  
رزق محمد (عاصم)، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مكتبة مدبولي، مصر، 1996  
المعتري (أحمد بن محمد علي)، "المصباح المنير" تصحيح: مصطفى السقي، 1950.  
مجموعة من الباحثين، فن الهندسة المعمارية، ترجمة: شريف سلطاني، دار الهدى للطباعة والنشر، 2006.

● الموسوعات والقواميس:

الفيروز أبادي (محي الدين)، القاموس المحيط، الجزء الأول، دار الخليل، بيروت.  
جمعة (احمد قابة)، موسوعة فن العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، ملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2000.  
الموسوعة العسكرية، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990.

● الأطروحات والمنشورات:

بوجلابة (فوزية سعاد)، "أخطار التلوث على المعالم الأثرية، مدينة تلمسان"، رسالة ماجستير قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، السنة: 2010/2009.  
حملاوي (علي)، "منطقة جبال عمور"، أطروحة دكتوراه، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر.  
دحمون (منى)، "قصر بوسمغون بولاية البيض، دراسة أثرية وتحليلية"، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2004-2005.  
نابت (عليق ريحة)، "قصر ملوكة بأدرار، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، 2002/2001.

# الهوية العمرانية في تمطيط: أثر التنوع العرقي والثقافي في تشكيل التراث المعماري

ط د/ زمام مريم

أد/ مصطفى بن حموش

دار القرآن المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية

## مقدمة:

تحظى الهوية العمرانية بأهمية كبيرة كونها تعكس التفاعل بين الإنسان والمكان عبر الزمن، حيث تشكل العمارة جزءاً لا يتجزأ من التراث الثقافي والاجتماعي للمجتمعات. وتُعد مدينة تمطيط الواقعة في قلب منطقة توات بولاية أدرار شاهداً حياً على تفاعل الحضارات وتعدد الأعراق التي تعايشت فيها عبر التاريخ. فقد مثّلت المدينة مركزاً اقتصادياً وروحياً استقطب قوافل التجارة، والعلماء، والحجاج، وكانت همزة وصل بين مختلف العواصم الاقتصادية والحواضر العلمية، مما ساهم في تشكيل هوية عمرانية مميزة تعكس هذا التنوع الثقافي والعرقي. وتحمل العمارة في طياتها أصوات من عاشوا، وعملوا، وأبدعوا فيها، إنها استمرار مرئي لهوية الشعوب؛ فتكمن أهمية هذا البحث في استكشاف كيف ساهم التعدد العرقي في تشكيل النسيج العمراني والمعماري للمدينة؛ بما في ذلك الأقباط، والعرب، والأفارقة، والمجتمعات اليهودية. ومن هنا جاء هذا البحث إلى

تحليل ودراسة الهوية العمرانية لمدينة تمنطيط، واستكشاف كيف ساهم التعدد العرقي في تشكيل النسيج العمراني والمعماري للمدينة. كما يسعى إلى توضيح العلاقة بين العناصر المعمارية وأنماط العيش، وكيف انعكس هذا التفاعل الحضاري في تصميم الفضاءات السكنية، والأسواق، والمساجد، والقصور والقصبات. وهذا يتطلب دراسة هذه المدينة من خلال بعدين متمثلان في العمارة المادية والبعد الاجتماعي والثقافي للمدينة التي تشكلت بفعل تنوع الأعراق التي استوطنتها عبر العصور؛ والسعي إلى استكشاف ملامح الهوية المعمارية والعمرانية وتحليل العلاقة بين النسيج العمراني والتنوع الثقافي والعرقي لمجتمعها.

لطالما كان العمران انعكاساً لهوية المجتمعات التي تشكله، فهو ليس مجرد تجمع للمباني والفضاءات، بل سجل حيّ يعكس تفاعل الإنسان مع بيئته، ويحمل بصمات ثقافته وتاريخه وقيمه الاجتماعية. وفي منطقة تمنطيط، الواقعة ضمن إقليم توات، يتجلى هذا الترابط بشكل واضح، حيث لعب التعدد العرقي على مر العصور دوراً جوهرياً في تشكيل نسيجها العمراني والمعماري، مما جعلها نموذجاً فريداً يعكس الامتزاج الثقافي والحضاري بين مختلف الشعوب التي استوطنتها. فلقد شهدت تمنطيط استقرار مجموعات بشرية متنوعة، من بربر وزناتيين، إلى عرب هلالين، إضافة إلى الجاليات اليهودية وأفارقة السودان الغربي، وقد انعكس هذا التنوع على النمط العمراني للمدينة، حيث نجد في بنيتها المعمارية مزيجاً من التأثيرات البربرية التي ظهرت في أسلوب التحصين وبناء القصور المحصنة، والتأثيرات الإسلامية التي تجلت في مركزية المسجد في التنظيم

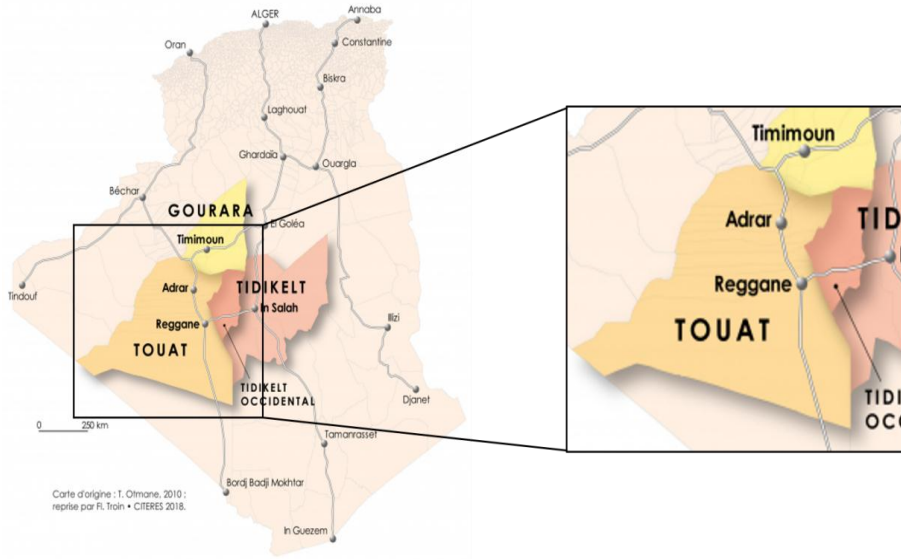
العمراني، فضلاً عن العناصر الإفريقية التي تتجسد في الأبراج المخروطية والأضرحة ذات الطابع الهرمي، وكذلك بعض التأثيرات اليهودية التي برزت في تخطيط بعض الأحياء السكنية والأنماط الدائرية للبناء. ومن خلال هذه المداخل، سنتناول خصائص العمارة التواتية، وندرس كيف أثر التعدد العرقي على أنماط البناء وتخطيط القصور والمساجد والمنازل والفضاءات العامة. كما سنسلط الضوء على كيفية تداخل هذه التأثيرات العمرانية المختلفة لتشكيل هوية معمارية موحدة، تعكس تاريخ المنطقة، وتبين مدى تفاعل ساكنيها مع المتغيرات البيئية والاجتماعية والثقافية؛ فكيف انعكس التعدد العرقي على الهوية العمرانية لتمنيط؟ وما دور العمارة في حفظ هذا التراث؟

أولاً- الجذور التاريخية لمدينة تمنيط وتأثير الأعراق المختلفة على نسيجها العمراني:

1. لمحة تاريخية عن توات: إقليم توات مجموعة من واحات الصحراء، والتي تقع في الجنوب الغربي للجزائر، مكونة إقليمًا من ثلاث مناطق رئيسية: تينجورارين، توات الوسطى، وتيدكلت.<sup>1</sup> تعدّ من أهم المناطق الصحراوية التي شهدت استيطانًا بشريًا مبكرًا، حيث استقرت بها مجموعات بشرية منذ العصور القديمة، واستمر تعميرها وتطورها عبر العصور المختلفة.

---

<sup>1</sup> حوتية، (الصالح)، توات والأزواد، ج 1 و ج 2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 28.



## الشكل 01: الموقع الجغرافي لمنطقة توات ضمن الواحات الصحراوية الجزائرية

يكتنف أصل تسمية "توات" العديد من الروايات والتفسيرات، حيث أشار عبد الرحمن السعدي في كتابه تاريخ السودان إلى أن الاسم مرتبط بمرض أصاب حجاج سلطان مالي أثناء رحلتهم إلى الحج، مما دفعهم للاستقرار هناك، ومن ثم أطلقوا اسم المرض على المنطقة (السعدي). بينما يرى المؤرخ المحلي محمد بن عمر البوداوي أن عقبة بن نافع عندما فتح بلاد المغرب سأل أصحابه عن أماكن في الصحراء تصلح لنفي المجرمين، فأجابوه بأنها "تواتي"، ومن ثم تحول الاسم إلى "توات" لعلّة التخفيف (البوداوي). وهناك آراء أخرى تشير إلى أن الاسم يعود إلى إحدى القبائل الصحراوية، بينما يرى بعض الباحثين أن "توات" مشتقة من "الأتوات"، وهي الفاكهة التي كان السكان يقدمونها كضريبة للملوك الموحيدين. كما يُقال

إن الطوارق والعرب أطلقوا هذا الاسم على الواحات الممتدة على ضفاف وادي الساورة ووادي مسعود (روكليس). أما الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي فيرى أن المنطقة سميت بهذا الاسم لأنها "تواتي" للعبادة، مما جعلها مركزاً للعلماء والأولياء الصالحين (الإدريسي). وعلى الصعيد الغربي، يرى كل من الباحثين روكليس (Reclus) ومارتان (Martin) أن الاسم ذو أصول بربرية أو إغريقية ويعني الواحة.<sup>1</sup> ورغم اختلاف التفسيرات، تتفق معظم المصادر على أن الاسم بربري الأصل، حيث كان أول من استوطن المنطقة هم البربر المثلثون وزناته، كما أن معظم أسماء القصور في المنطقة تعود إلى أصول بربرية، مما يعزز فرضية أن الجذور اللغوية للاسم ذات صلة بالسكان الأوائل. وتاريخياً، ورد ذكر توات في مصادر عديدة منذ العصور القديمة. أشار المؤرخ الإغريقي هوميروس إلى سكان المنطقة الذين أطلق عليهم "الأثيوبون".<sup>2</sup> في حين قدم هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد وصفاً للصحراء الكبرى، مشيراً إلى وجود مناطق قاحلة وخالية.<sup>3</sup> كما تحدث عن رحلة الشبان الناسامون الذين انطلقوا من فزان باتجاه

---

<sup>1</sup> (بن سويس،) محمد (،) العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجاً، من القرن (6هـ إلى 13هـ | 12م إلى 19م)، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم الآثار، السنة الجامعية 2007، ص 13.

<sup>2</sup> J.C, (Echalier), Villages désertiques et structures agraires anciennes, Paris , 1972, P17

<sup>3</sup> Ibid, P17.

الغرب ووصلوا إلى مدينة يسكنها سود البشرة وقصار القامة، يمر بها نهر كبير.<sup>1</sup>

أما في العصور الإسلامية، فقد ذكرها الجغرافيون المسلمون، حيث وصفها ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي بأنها منطقة نائية قليلة المياه فيقول " وأرض المغرب سكان من البربر ومفاوز وبراري منقطعة، قليلة المياه متعذرة المراعي، لا تسلك إلا في الشتاء".<sup>2</sup> بينما أشار أبو إسحاق الإصطخري إلى أن لون بشرة السكان يزداد سوادًا كلما اتجهنا جنوبًا فيقول "أرض المغرب ما كان منها في شرقي بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سمرة وكلما تباعدوا فيما يلي الجنوب والمشرق ازدادوا سوادا حتى ينتهوا الى السودان فيكون الناس فيها أشد سوادا".<sup>3</sup> أما الرحالة ابن بطوطة، فقدّم وصفًا دقيقًا لمنطقة توات خلال زيارته لقصر بودة سنة 1353م، حيث أشار إلى أن المنطقة تعتمد على التمر والجراد كمصدر غذائي رئيسي نظرًا لندرة الزراعة والمواد الغذائية الأخرى حيث قال في حديثه عن توات " وقصدت السفر إلى توات، ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات" وفي موضع آخر يقول " ثم وصلنا إلى بودة ، وهي من أكبر قرى توات ، وأرضها رمال وسبخ ، وتمرها كثير ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت ، وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب، وأكل أهلها التمر،

---

<sup>1</sup> A.G P, ( Martin), Les oasis sahariennes , challamel, Paris ,1908, P28.

<sup>2</sup> أبو القاسم، (ابن حوقل)، صورة الأرض، طبعة برلين ، 1938، ص83.

<sup>3</sup> إبراهيم ، ( محمد الفاسي الأصطخري )، المسالك والممالك، تحقيق محمد صابر عبد العالي، القاهرة، 1961، ص36.



والجراد ، وهو كثير عندهم يخزنونه كما يخزن التمر ويقتاتون به ، ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس ، فانه لا يطير إذ ذاك لأجل البرد. وأقمنا ببودة أيامًا، ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في أوسط ذي القعدة إلى مدينة سجلماسة...<sup>1</sup> وفي القرن السادس عشر، وصفها الحسن الوزان (ليون الإفريقي 1550) بأنها إقليم مأهول في صحراء نوميديا، يتميز بفقر موارده الزراعية، لكنه يشكل مركزًا مهمًا للقوافل التجارية المتجهة نحو بلاد السودان، فيقول " إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد نحو مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة .... سكانه فقراء جدا، لا تنبت أرضهم غير التمر وقليل من الشعير بشرتهم سوداء، إلا أن نسائهم جميلات سمراوات". وأما بخصوص منطقة تيكورارين يقول " تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا، بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلا عن شرق تسبت، وحيث يوجد ما يقرب من خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل. وسكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان. وهنا مجمع القوافل، لأن تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان، ثم يذهبون جميعا....."<sup>2</sup> وفي القرون اللاحقة، ازدادت الرحلات الاستكشافية الأوروبية إلى المنطقة، حيث زارها المستكشف جيرار رولف عام 1864م متنكرًا في هيئة طبيب تركي، بينما تعرض كاميل دول للقتل خلال رحلته الثانية سنة 1887م. كما قام المستكشفون العسكريون الفرنسيون برحلات عديدة إلى

---

<sup>1</sup> محمد، ( بن عبد الله ابن بطوطة)، تحفة النظار في غرائب الأمصار ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص 700 .

<sup>2</sup> الحسن، ( بن محمد الوزان ) ، المصدر السابق ، ص 134.

المنطقة، مثل الماجور لينغ عام 1826، ورينية كاييه عام 1828، حيث ساهموا في جمع المعلومات الجغرافية والأنثروبولوجية عن توات.<sup>1</sup>

## 2. لمحة تاريخية عن تمنطيط:

1. تمنطيط (الموقع والتاريخ): عند الحديث عن التاريخ الحضاري لمنطقة توات، لا يمكن تجاهل الدور المركزي الذي لعبته تمنطيط، التي كانت بمثابة العاصمة والحاضرة الكبرى لهذه المنطقة. فقد شهدت المدينة عبر تاريخها الطويل نشاطاً اقتصادياً وثقافياً مكثفاً، عزز من مكانتها كمركز حضاري رئيسي في الصحراء الكبرى.



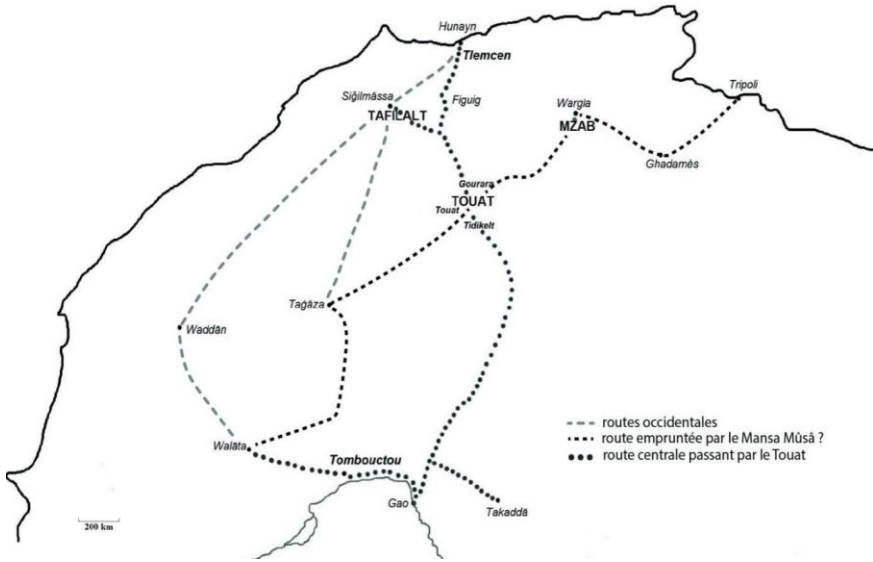
الشكل 02: الموقع الجغرافي لتمنطيط

<sup>1</sup> (بن سويس،) محمد (، مرجع سابق، ص 16).

ازدادت أهمية تخطيط بفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي، حيث تقع في منتصف طريق القصور بين مدن الشمال والجنوب، مما جعلها حلقة وصل بين مختلف المراكز العمرانية والتجارية. وكما هو الحال في العديد من المدن، فإن الموقع الجغرافي كان له تأثير مباشر على تطور المدينة من حيث البنية التحتية، والنشاط التجاري، والتطور الفكري والعلمي. وتُعدّ تخطيط واحدة من أقدم القصور التي تم إنشاؤها في منطقة توات، حيث يعود تاريخها إلى فترات قديمة تسبق الفتح الإسلامي، ويُرجّح أن تكون قد تأسست خلال مرحلة ما قبل التاريخ. وقد شهدت المدينة استقرار مجموعات بشرية متنوعة، من قبائل بربرية وزناتية، تلتها قبائل عربية، بالإضافة إلى جاليات يهودية ساهمت في تنشيط الحركة التجارية.

لعبت هذه المجموعات السكانية المتنوعة دورًا أساسيًا في تشكيل الطابع العمراني للمدينة، حيث ساهمت في تطوير هندستها المعمارية، وبناء المنشآت الدينية والمدنية، وابتكار تقنيات زراعية متقدمة مثل نظام السقي بالفقارة. إلى جانب ذلك، كانت تخطيط مركزًا دينيًا وتعليميًا بارزًا، حيث توافد عليها العلماء الذين أسهموا في نشر المعرفة والتعليم في المنطقة. وبفضل مكانتها العلمية والدينية، أصبحت تخطيط عاصمة لتوات، ومقرًا لقاضي الجماعة التواتية، وهو منصب ذو أهمية كبيرة في إدارة شؤون القضاء والدين في المنطقة. إلا أن هذا الدور تراجع لاحقًا لصالح منطقة تيمي، التي استحوذت تدريجيًا على النفوذ السياسي والإداري. وعلاوة على ذلك، لعبت تخطيط دورًا بارزًا كمحطة رئيسية على طريق القوافل التجارية، حيث كانت تشكل نقطة عبور هامة للتجار القادمين من شمال

إفريقيا والمتجهين إلى ممالك إفريقيا جنوب الصحراء. وبفضل هذا الموقع الاستراتيجي، ازدهرت التجارة في المدينة، مما جعلها مركزًا اقتصاديًا مهمًا في المنطقة.



الشكل 03: خريطة القوافل (routes sahariennes) لـ *Élise Voguet*<sup>1</sup>

إن أصل كلمة تمنطيط؛ قد ذكر في مخطوط البسيط في أخبار تمنطيط، بأن كلمة " تمنطيط " كلمة عجمية مركبة من إسمين وهما " أتما " ومعناها النهاية و" تط " ومعناها العين، فتركب الإسمان وحذف

<sup>1</sup> Élise Voguet, "Le peuplement du Touat au XIVe-XVIe siècle : mémoire locale de lignages au sein d'un espace socio-culturel connecté," in Marges impériales, terres d'empire. Échanges, interactions et constructions territoriales dans le monde méditerranéen, éd. Ariane Boltanski, Christian Windler, et Florence Renucci (Paris: Éditions de la Sorbonne, 2023).

الألف في آخر أتما وفي أول اطم، فكان الإسم على ذلك التركيب الخفيف اتمطيط، ثم قلبت التاء اتمنطيط بإشباع ياء فكانت تمنطيط.<sup>1</sup> وقد ورد ذكر إسم تمنطيط أكثر من مرة في تاريخ العلامة ابن خلدون إذ يقول "وأخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت، وهو بلد مستبحر في العمران، وهو ركاب التجار المترددين من الغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد، ومن بلد مالي إليه<sup>2</sup>". في الماضي، كانت تمنطيط تتألف من مجموعة من القصبات والقصور المتصلة ببعضها البعض، ممتدة من قصر نومناس شرقاً إلى قصر أقبور غرباً، ما جعلها نسيجاً عمرانياً متكاملًا يعكس تطور البناء في المنطقة. وقد شُيّدت تمنطيط فوق هضبة صخرية واسعة نشأت بفعل عمليات التآكل المستمرة للحجر الرملي التابع لتكوين "الكونتنتال إنتركالير" (Continental Intercalaire). وتغطي هذه الهضبة بطبقة من الرمال والحجارة، وتنحدر تدريجياً من الشرق إلى الغرب نحو المنخفض المجاور للسبخة<sup>3</sup>؛ كما يقع وادي مسعود على بعد حوالي 35 كلم غرباً، بينما تحيط بها البساتين وواحات النخيل، التي تتوزع في اتجاه الشمال بانحدار طبيعي.

<sup>1</sup> الطيب، (بن عبد الرحيم)، البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج تابع لإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 15.

<sup>2</sup> عبد الرحمان، (ابن خلدون)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد السابع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص 118.

<sup>3</sup> الطيب، (بن عبد الرحيم)، مرجع سابق، ص 15.

تبعد تمنطيط حوالي 12 كلم عن مدينة أدرار، ويحدها من الشمال بلديات أدرار وسبع، ومن الجنوب فنوغيل، ومن الشرق أوقروت وتمقطن، ومن الغرب بودة. أما موقعها الفلكي على الخريطة، فيقع بين خطي عرض 27.46° شمالاً و0.15° غرباً.

## 2. نشأة تمنطيط والأعراق التي نزحت إليها:

وابتداء من الجيتول ومرورا بالفترة الإسلامية إلى يومنا هذا، فإن تمنطيط استقطبت أغلب القبائل العربية والعجمية التي نزحت إلى توات بصفتها عاصمة القصور الصحراوية، ولكل منها (القبائل) الإسهام في التمازج التاريخي لتمكنطيط؛ وتُعتبر من أقدم وأهم المراكز التجارية في الصحراء الجزائرية الكبرى، إذ ساهم موقعها الجغرافي الاستراتيجي في جعلها ملتقى طرق القوافل التجارية، حيث توسطت كبريات المدن التجارية في شمال القارة الإفريقية. وقد أدى ذلك إلى هجرة واستقرار العديد من المجموعات البشرية فيها، من يهود وبربر وعرب وزنوج وغيرهم، ما جعلها مركزاً اقتصادياً وثقافياً نابضاً بالحياة. تمامًا كما وصفها الشيخ محمد الطيب بن عبد الرحيم في مخطوطه الذي خصه لتاريخ المدينة وسماه القول البسيط في أخبار تمنطيط: "فاعلم أن تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات، وهي بها قاعدة اجتمع فيها العلم والعمارة والولاية والديانة والرئاسة، وانتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع، وكان لا يستغني عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركات والمنافع

والحاجات<sup>1</sup> "...غير أن هناك ما نقل بأن عمارة تمنطيط ترجع إلى حوالي سبع مائة سنة قبل الهجرة إلى أنها معاصر لظهور المسيح.<sup>2</sup>

وارتبطت نشأة قصر تمنطيط بالقبائل التي نزلت به، حيث كان مرتعاً لمجموعة من القبائل التي شكّلت نسيجه السكاني عبر فترات طويلة من التوافد المستمر والهجرات القادمة من مناطق متعددة. وقد أشار صاحب القول البسيط في أخبار تمنطيط بإسهاب إلى مراحل توافد القبائل المختلفة إلى القصر وتعميره، وكانت أول قبيلة استوطنت المنطقة تُعرف سابقاً باسم "اللمثون"، وهم الملمثون من أولاد يوسف بن تاشفين الذين وفدوا إلى القصر بعد انهيار دولتهم في المغرب والأندلس.<sup>3</sup> وإلى جانب هؤلاء، استوطنت المنطقة قبائل مطغرة التي قدمت من صحراء المغرب، حيث استقر كثير منهم في قصور تمنطيط وقاموا بزراعة الأشجار والنخيل بأساليب عربية. كما جاءت قبائل عبيد الله إلى توات وتمنطيط، وغالباً ما كانوا يكملون طريقهم إلى بلاد السودان.<sup>4</sup> شهدت تمنطيط هجرات متعاقبة للقبائل عبر التاريخ، حيث استقرت بها قبيلة أولاد محمد ذات الأصول البربرية، تلتها قبيلة أولاد نسلام المنحدرة من سعيد رياح، والتي تفرعت إلى عدة فروع، منها أولاد اليتيم الذين اندثر قصرهم ولم يبق منه سوى بعض الآثار. كما استوطنت قبائل أخرى، مثل أولاد اهمالي، الذين أقاموا بالقرب

<sup>1</sup> محمد الطيب بن عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 14.

<sup>2</sup> حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية، دار الهدى، الجزائر، ج 5، 2011، ص 103.

<sup>3</sup> الطيب بن عبد الرحيم، البسيط في أخبار تمنطيط، مرجع سابق، ص 08.

<sup>4</sup> (بن سويس،) محمد، مرجع سابق، ص 32.

من أولاد يعقوب، وأولاد داود الذين اشتهروا بالشجاعة وأسواقهم المزدهرة؛ لاحقًا، نزحت إلى تمنطيط قبيلة أولاد علي بن موسى، ذات الأصول السعدية، حيث استقروا بها وأقاموا مقامًا لجدهم سيدي با يوسف أمحمد. كما شهدت المنطقة استقرار قبائل أولاد يحيى، التي امتدت فروعها إلى قصور عدة، مثل أغرم أقبور، ومنها تفرعت قبائل أخرى كأولاد سيدي محمد فتح بن الحاج ولبدة وذكري بن يحيى.

ورغم صعوبة تحديد التوزيع الدقيق لهذه القبائل عبر التاريخ، تشير بعض الدراسات، مثل دراسة واتان (Les origines de la population du Touat)، إلى أن أولاد علي بن موسى، وهم شرفاء إدريسيون، نزحوا من فاس إلى تمنطيط بعد خلاف مع القبائل اليهودية، وكانوا من أوائل المستقرين بها. كما وصلت قبيلة أولاد سيدي بويحي ذات الأصول العربية حوالي عام 1413م، واستقرت مجموعة من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، عُرفوا بالمهاجرية، على يد قبيلة أولاد علي بن موسى.<sup>1</sup> ما جعل التركيبة السكانية لمدينة تمنطيط تتمثل في<sup>2</sup>:

---

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص33.

<sup>2</sup> لمعرفة أكثر عن أصول سكان الإقليم انظر: حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية، دار الهدى، الجزائر، ج5، 2011، ص72-96.



البربر: يُجمع المؤرخون على أن البربر كانوا أول من سكن تمنطيط قبل دخول الإسلام، واستقروا بها وبوحدات توات المجاورة لها، ولعل الحجة في ذلك أن أغلب تسميات القصور التواتية جاءت بلغتهم الزناتية.<sup>1</sup>

العرب: كان وصول العرب إلى توات بقصد نشر الإسلام وتعاليمه، وممارسة التجارة. فاستقروا بالمنطقة وكان أولهم دخولاً عرب المعقل، ثم تلتهم قبائل أخرى كقبيلة الكنتة في القرن السابع الهجري، التي استوطنت زاوية كنتة، ثم قبيلة أولاد علي بن موسى القرشية التي استقرت في تمنطيط. وقد أشار محمد الطيب بن عبد الرحمن إليهم بقوله: "هم من أكابر الناس دلت على ذلك حالتهم وسيرتهم، فهم أهل سنة ومروءة ورياسة".<sup>2</sup>

اليهود: يروى أن اليهود بنوا أول قصر لهم مع معبد سنة 517م ويسمى "أولاد همال"<sup>3</sup>، حيث نزلوا بتمنطيط وتيطاف وتخفيف وتاسفاوت، غير أن شوكتهم قويت في تمنطيط، فكثرت أموالهم بها وسيطروا على التجارة والأسواق. فقد ذكر مؤرخ المدينة الشيخ الطيب أنه كان بها ثلاثمائة وستة

---

<sup>1</sup> أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات (أبحاث في التراث)، دار الحضارة، الجزائر، ط1، 2011، ص406

<sup>2</sup> نفس المرجع.

<sup>3</sup> جعفري (مبارك)، حاضرة تمنطيط بمنطقة توات ومكانتها العلمية والاقتصادية خلال القرنين 09 و10 هـ، مقال ألقى في الملتقى الدولي الأول الحواضر الجزائرية التأسيس والأدوار، جامعة أدرار 04 و05 مارس 2020، ص9.

وستين صائغاً يهودياً يعملون في تجارة الذهب، واستطاعوا بهذا العدد أن يسيطروا على مقاليد الحركة التجارية بالمدينة لعصور.<sup>1</sup>

**العبيد:** كان العبيد يشكلون عنصراً هاماً في المجتمع التمنيطي<sup>2</sup>، حيث كانت تمنطيط تمثل بلدة تُحط بها رجال القوافل، ويتم فيها تبادل السلع، ما جعل أسواقها تعرف حركة تجارية نشطة. وقد ازداد الإقبال على تجارة العبيد ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي، وكان الطلب عليهم كبيراً من تجار الشمال الغربي، كما كانت تمنطيط مركزاً رئيسياً لتجارة الذهب وريش النعام والعاج. ومع تزايد الطلب على العبيد ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي؛ شهدت أسواق توات، وعلى رأسها تمنطيط، إقبالاً متزايداً من تجار الشمال الغربي. ولم تقتصر التجارة على العبيد فحسب، بل شملت أيضاً سلعاً ثمينة مثل الذهب الخام، وريش النعام، والعاج، التي كانت تضاهي تجارة العبيد من حيث الأهمية الاقتصادية. وظلت تمنطيط بأسواقها الحيوية تلعب دوراً محورياً في حركة التبادل التجاري بين بلاد المغرب وأقاليم السودان الغربي، حيث شكلت نقطة عبور واستراحة رئيسية للقوافل القادمة من مختلف الاتجاهات والعبارة للصحراء في جزئها الغربي. وبفضل موقعها الاستراتيجي، أصبحت تمنطيط محطة لا غنى عنها ضمن مسار القوافل التجارية، خاصة تلك المتجهة من وإلى أسواق تمبكتو. وكان سوق تمنطيط من أنشط الأسواق في الإقليم التواتي خلال الفترات الحديثة، حيث كانت المدينة عاصمة للإقليم قبل

---

<sup>1</sup> المرجع السابق.

<sup>2</sup> شاطو (محمد)، أهمية تمنطيط ودورها في تجارة القوافل خلال الفترة الحديثة، مجلة المواقف، العدد التاسع، ديسمبر 2014، ص 296.

القرن الثامن عشر الميلادي. وقد جذبت القوافل التجارية والحجاج العابرين للصحراء في طريقهم إلى الأراضي الحجازية. وكانت تمنطيط محطة رئيسية على طرق القوافل القادمة من سجلماسة وتافيلالت وشنقيط، حيث كانت تزود بالمؤن والبضائع؛ يقول العياشي عن ذلك: "إن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخرجوا الصرف إلى توات بأن (كذا) الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر... ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك (السودان) شيء كثير، والسلع التي تجلب من الغرب مما هو خارج السودان نفقة رائجة) في هذه البلاد كالخيل وملابس الملف (المطرز) والحريز، فإن قدم الركب إليها كان فيها سوق حافل".<sup>1</sup>

وينقل أن توات خلال مراحل تعميرها استقبلت سكان مسلمين من أرجاء مختلفة من العالم الإسلامي شرقه وغربه وجنوبه فنجد العراقيين والتونسيين وأهل السودان الغربي وجنوب المغرب الأقصى والجنوب الغربي الجزائري.<sup>2</sup> وشكلت تمنطيط عبر تاريخها نقطة تلاقي لمختلف الأعراق والثقافات، وساهم موقعها الاستراتيجي في جعلها واحدة من أهم المراكز التجارية في الصحراء الكبرى. فقد استقطبت السكان من مختلف الخلفيات العرقية، واحتضنت أنشطة تجارية واسعة امتدت إلى مناطق المغرب الكبير وبلاد السودان. وبفضل بنيتها الاقتصادية المتينة، بقيت

---

<sup>1</sup> العياشي، (أبو سالم)، رحلة العياشي (ماء الموائد)، تحقيق محمد حجي، ج1، طبعة فاس الحجرية، المغرب، 1977، ص20.

<sup>2</sup> حساني مختار، مرجع سابق، ص83.

تمنطيط صامدة لقرون كمركز حضاري أساسي، مما جعلها أحد المعالم التاريخية البارزة في توات.

## ثانيا- الهوية العمرانية والمعمارية لمدينة تمنطيط: الخصائص والتجليات

عند استعراض التطور العمراني في تاريخ إقليم توات عامة، وتمنطيط خاصة، نجد أن ابن خلدون كان من أوائل المؤرخين الذين تناولوا عمارة المنطقة بإعجاب كبير. فقد أبدى انبهاره بتخطيطها العمراني، وأشاد على وجه الخصوص بنظام الفقارة، الذي اعتبره ابتكاراً هندسياً فريداً لم يسبق له الاطلاع على مثله.<sup>1</sup> وفيما بعد، جاء المؤرخ سيدي محمد بن بابا حيدة، الذي خصص كتاباً كاملاً لمدينته تمنطيط، حيث وصف هندستها وطبيعة مبانيها، قائلاً: "وهي متصلة البنيان في قصور غير متباعدة السيسان، بل هي متلاصقة العمران... وحولها أصول وبساتين ماؤها بفقاير جارية". كما أشار إلى تفرداها بامتداد شبكة الفقاقير من ثلاث جهات: الشرق، والغرب، والجنوب، على عكس بقية المدن. وأضاف أنه كان يوجد في تمنطيط 366 فقارة، منها ما لا يزال جاريًا، ومنها ما أصبح معطلاً، وأن عدد قصورها كان مساوياً لعدد الفقاقير، بحيث كانت تستضيف كل يوم ضيفاً في أحد القصور على مدار السنة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جعفري أحمد أبا الصافي، مرجع سابق، ص 397

<sup>2</sup> الطيب، (بن عبد الرحيم)، مرجع سابق، ص 4.

## 1- أنماط العمارة القصورية:<sup>1</sup>

تميز إقليم توات عامة بتنوع أنماط العمارة القصورية، والتي تعكس التأثيرات الثقافية والحضارية لمختلف المجموعات السكانية التي استوطنت المنطقة على مر العصور. وتجلت هذه الأنماط المعمارية في القصور، التي كانت بمثابة وحدات سكنية محصنة، تأثرت بالخصائص البيئية والاجتماعية والاقتصادية لسكانها. ومن أبرز هذه الأنماط:

### 1- العمارة الإفريقية:



يُعتقد أن النمط المعماري الإفريقي في توات يعود إلى فترة الجيتوليين (حوالي 100 ق.م)، وهم السكان الأوائل الذين استوطنوا المنطقة وأسهموا في تطوير سماتها العمرانية. وفقاً لبعض المؤرخين الإغريق

والرومان، مثل هيرودوت، كان الجيتوليون شعباً من أصول بيضاء يعمل في التجارة، خاصة في تصدير الذهب من شمال إفريقيا إلى السودان عبر ما يُعرف بـ"طريق الذهب". ويرى الباحث ندير معروف أن السكان الأصليين في توات تأثروا بالعمارة الإفريقية، مستدلاً باكتشاف أصنام مماثلة لتلك الموجودة على ضفاف نهر النيجر. وتتجلى سمات هذا النمط العمراني في

<sup>1</sup> الصديق (ثياقة)، نمط العمارة القصورية في ظل مراحل وجود الاستيطان البشري في إقليم توات، مقال ضمن مجلة الحقيقة، العدد 25، سبتمبر 2013، ص 385.

الأبراج والأضرحة ذات الأشكال المخروطية والهرمية (الصورة: تمثل: منظر عام لضريح سيدي بايوسف، عن إيشاليه<sup>1</sup>)، كما تأثرت القصور الصحراوية في توات بتخطيط مدن الحضارات الإفريقية القديمة، التي تعود إلى مئات السنين قبل الاستعمار الأوروبي. وقد شُيّدت قصور العمارة الإفريقية من حجارة ضخمة ممزوجة بالطين، وهي سمة أساسية في هذا النمط. أما من حيث التخطيط، فغالبًا ما تفتقر هذه القصور إلى أسوار محيطة بها، حيث تعتمد على التضاريس الجبلية للحماية، كما هو الحال في منطقة الهقار. وفقًا للباحث إيشالي، فقد ظهر هذا النمط المعماري بين القرنين السابع والتاسع الهجري (13-15م).



ولقد استعملت أشكال كروية مصنوعة من الطين كثيرا في تمنطيط، وهي توضع فوق بعضها البعض حيث تزخرف بها أركان البناء في الأضرحة، وهذا النوع من الزخرفة معروف في مناطق غرب إفريقيا<sup>2</sup>. (الصورة: تمثل

<sup>1</sup> المصدر: مذكرة بن سويس محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا.

<sup>2</sup> بن سويس، محمد، مرجع سابق، ص 161.

منظر خارجي لضريح سيدي عبد الرحيم؛ توضح الزخرفة المتمثلة في الأشكال الكروية).<sup>1</sup>

## 2- العمارة البربرية:<sup>2</sup>

تُعرف أيضًا باسم "العمارة البرمكية"، وتمتاز بموقعها على المرتفعات، حيث تُبنى القصور من الحجارة والطين، وهي المواد المحلية الأكثر استخدامًا في المنطقة. تتميز هذه القصور بتخطيط داخلي معقد، حيث تضم أزقة ضيقة ومتعرجة، كما أن المساكن فيها متصلة مباشرة بالسور الخارجي. على عكس بعض القصور الأخرى، لا تحتوي القصور البربرية على ساحة مركزية (الرحبة)، بل تتميز بأبراج ركنية في زواياها لتعزيز دفاعاتها. ومن أبرز القصور التي تمثل هذا النمط: قصر بوعلي في بلدية زاوية كنتة، وقصور "سالي"، "تيمادانين"، و"تاوريت" في بلدية رقان، حيث تظهر فيها بوضوح السمات الدفاعية. ويُلاحظ أن القصور البربرية غالبًا ما تُبنى فوق مرتفعات طبيعية، وتحيط بها أسوار حجرية ممزوجة بالطين، تأخذ عادة شكلًا دائريًا، ما يمنحها طابعًا حصينيًا، كما يتم استغلالها كمخازن للمنتجات الزراعية وملجأ للسكان في فترات الأزمات.

---

<sup>1</sup> المصدر: مذكرة بن سويس محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجًا.

<sup>2</sup> الصديق (ثياقة)، مرجع سابق، ص 386.

## ج- العمارة اليهودية:

تتميز القصور اليهودية في توات بتصميمها الدائري، وُبنيت باستخدام المواد المحلية، مثل الحجارة والطين، ولكنها تختلف عن القصور البربرية من حيث تخطيطها، حيث تحتوي عادةً على برج مركزي وحيد، مما يمنحها طابع القلعة الحصينة. كما أن هذه القصور تتوضع غالبًا على مرتفعات، وتتألف من أزقة رئيسية وأخرى ثانوية، وكانت تضم مساكن مزودة بحجرات تحت أرضية (دهاليز)، مثل قصر ناطولت في زاوية كنتة، وقصر أولاد ميمون في تمنطيط.<sup>1</sup> وشهدت تمنطيط هجرة بعض العناصر اليهودية منذ القرن الأول الميلادي (100م - 600م)، إثر نكبتهم على يد القائد الروماني تراجان (Trajan). وقد أنشأ اليهود في المنطقة قصورًا حصينة ونشروا ديانتهم بين السكان المحليين. وتذكر بعض المصادر أنه في عام 1205، وخلال البحوث الاستعمارية الفرنسية، تم العثور على منحوتات قديمة يُعتقد أنها تعود للطائفة اليهودية. ويُعتبر قصر أولاد همالي وقصر أولاد ميمون في تمنطيط من أبرز القصور التي أسسها اليهود بين عامي 62م و517م، حيث تم اكتشاف نقش حجري في معبد يهودي قديم بقصر أولاد همالي، والذي تم تحويله إلى مسجد في القرن السادس عشر الميلادي بعد استقرار القبائل العربية في المنطقة. كما تم العثور على حجر يحمل كتابات عبرية في أحد المنازل بقصبة أولاد داود. ويؤكد الباحث أشالي أن القصور اليهودية تتميز بموقعها على المرتفعات الطبيعية، وتحيط بها أسوار محكمة البناء، ولكنها نادرًا ما تحتوي على أبراج مراقبة. ويأخذ تخطيطها

---

<sup>1</sup> نفس المرجع.



العام شكلاً دائرياً، مع أسوار متعددة الأضلاع ومتماسكة مع البيئة الجبلية. ومن السمات الفريدة لهذه القصور أنها كانت تُستخدم كقلاع وحصون، مما يعكس الطابع الدفاعي لليهود في المنطقة، غير أنها تخلو من الفنادق، حيث أن هذه المنشآت تُعتبر من خصائص العمارة الإسلامية.

#### د- العمارة العربية الإسلامية:<sup>1</sup>

استقطبت قصور تمنطيط العديد من القبائل العربية التي نزحت إلى توات، نظرًا لمكانتها كمركز رئيسي للقصور الصحراوية. وقد تأثر النمط العمراني لهذه القصور بالعمارة الإسلامية، حيث شُيّدت وفق تخطيطات هندسية دقيقة تميزت بالبساطة والمتانة. وتتشابه العمارة العربية الإسلامية في توات مع الأنماط السابقة من حيث استخدام المواد المحلية كالطين والحجارة، إلا أنها تتميز بتصميم هندسي مستطيل أو مربع، محاط بأسوار دفاعية وخندق في بعض الأحيان. ويختلف هذا النمط عن العمارة البربرية والإفريقية في خلوه من الأبراج الركنية، باستثناء برج أو اثنين للمراقبة. كما يتم الوصول إلى القصر عبر جسر يمتد فوق الخندق الذي يحيط به من جميع الجهات. وتُعرف هذه القصور بدقة بنائها، حيث تتميز بزوايا حادة قائمة، ما يمنحها استقراراً هيكلياً أكبر. ومن المرجح أن ظهور هذا النمط المعماري ارتبط بالفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وهجرات القبائل الهلالية إلى المنطقة خلال القرن السابع الميلادي (الأول الهجري).

---

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 388.

## 2- تفاعل الأنماط المعمارية في تخطيط وتشكل النسيج العمراني:

لقد شهدت تخطيط تداخلاً معمارياً فريداً عبر العصور، حيث اندمجت الأنماط الإفريقية والبربرية واليهودية في إطار بيئة صحراوية قاسية، ما أدى إلى نشوء نسيج عمراني متكامل يعكس تأثيرات كل من هذه الثقافات. ساهمت العمارة الإفريقية في تشكيل البنية العامة للقصور، حيث تبنت بعض القصور الصحراوية في تخطيط تقنيات البناء بالأحجار والطين، مع اعتماد النمط المخروطي والهرمي في بعض الأبراج والأضرحة<sup>1</sup>؛ تتميز أضرحة تخطيط بتصميمها المغطى بقباب مخروطية تمتد عمودياً، ويصل ارتفاعها إلى نحو ثمانية أمتار، مما يجعلها مشابهة للأضرحة المنتشرة في المناطق الصحراوية والمغرب الإسلامي. ويظهر هذا النمط المعماري أيضاً في مناطق تيدكلت، توات، وقورارة، حيث يتشابه مع العمارة الجنائزية السودانية.

وتأخذ هذه الأضرحة عادة شكلاً مربعاً أو متعدد الزوايا، وغالباً ما تفتقر إلى غرفة جنازية، إذ تتكون من قاعدة مربعة تعلوها قبة مخروطية تنطلق مباشرة من الأرض. وتوجد تصاميم مماثلة في مسجد سنكوري وسيدي يحيى في تمبكتو، حيث تنتشر المآذن الهرمية والقباب المخروطية<sup>2</sup>. ويرجع

---

<sup>1</sup> ذكر أبو القاسم سعد الله أن الاعتقاد السائد عند السكان في المدن والقرى هو أن الولي الصالح هو الذي يحمي القرية من العين والغارات والنكبات ومن طمع الغير، فقد شيدت بقصر تخطيط أضرحة للأولياء الصالحين منها التي بنيت داخل النسيج العمراني للقصر ومنها ما شيدت خارجه؛ انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1.

<sup>2</sup> بن سويسي محمد، مرجع سابق، ص 185.

الباحث *Gauvet* أن هذا الطراز استمد تأثيراته من العمارة المصرية القديمة، إذ عُثر في صعيد مصر على أشكال مخروطية مماثلة. وقد انتقلت هذه التأثيرات جنوباً عبر تحركات الأمراء السودانيين الذين كانوا يعبرون المنطقة إلى الحج، مما ساهم في انتشارها وتطويرها، وصولاً إلى منطقة توات وتمنطيط، حيث أصبحت أكثر رشاقة وتمدد الشكل المخروطي للقبعة<sup>1</sup>. وأحد الأمثلة البارزة لهذا النمط هو ضريح في قصر زاوية كنتة بتوات، الذي يتميز بتصميم مدرج ضخمة وقبة مخروطية، ويُعتقد أنه تأثر بضريح السلطان أسكيا الكبير في غاو، المستوحى من الهرم المدرج في صقارة. وتُعد أضرحة تمنطيط نقطة التقاء بين الطرز المعمارية في شمال إفريقيا وممالك السودان الغربي، ما يعكس التفاعل التاريخي بين هذه المناطق. وتبقى القباب المخروطية أبرز سمة في عمارتها، مستمدة من الأشكال الهرمية القديمة، مما يمنحها طابعاً يوحي بالشموخ والاستمرارية. وقد طال هذا التأثير شكل بعض مآذن المساجد التي وجدت في واحات الصحراء، والتي تأثرت بالعمارة السودانية مثل التي وجدت في مدن تمبكتو واغاديس؛ ساهمت في ذلك تحركات الأمراء السودانيين أثناء رحلاتهم إلى الحج في انتشار التأثيرات المعمارية المصرية القديمة، حيث قاموا بنقل عناصرها الهندسية وتقليدها. ومع انتقالها إلى جنوب غرب إفريقيا، أصبحت التصاميم أكثر رشاقة، مما أدى إلى استنباط نمط المآذن السودانية، التي تشبه مآذن ورقلة ووادي ميزاب في الجزائر<sup>2</sup>. وفي النهاية، انتقل الشكل المعماري للقبعة المخروطية إلى توات وتمنطيط.

أما العمارة البربرية، فقد أضافت الطابع الدفاعي للقصور، حيث ظهرت الأبراج الركنية والأسوار العالية التي توفر حماية فعالة للسكان. ومن ناحية أخرى، تركت العمارة اليهودية بصمتها على التصميم الداخلي

<sup>1</sup> نفس المرجع.

<sup>2</sup> نفس المرجع.

لبعض القصور، حيث انتشرت الدهاليز الحجرية والمساحات تحت الأرض، كما ظهر تأثيرها في تخطيط القصور ذات الشكل الدائري المحاط بأسوار متعددة الأضلاع. كما تأثرت أنظمة السقي بتقنيات أكثر تطوراً مثل الفقارة؛ غير أن هناك تضارباً عن هوية مبتكرها فقد أشار الأستاذ بكري البكري إلى أن القبط هم المهندسون لعمارة تمنطيط الأولى، وهم أول من أنشأ الفقارة في القطر التواتي، ولا نزال بعض الآثار الدالة عليهم باقية مثل الفقارة المسماة "هنو" وهو اسم لأحد آلهة الفراعنة القدامى<sup>1</sup>؛ وهذا ما ذكر في مخطوط درة الأقلام "إن مدينة تمنطيط قديمة جداً ويوجد في بعض التقايد القديمة أنها كانت عامرة في عهد الفراعنة ومن سكانها القبط وهم المهندسون لبنائها فحفروا الفقاير ثم شيدوا عليها البلاد..."<sup>2</sup> وهي أحد أهم وأقدم فقارة التي تظل بلا نظام توزيع للمياه بل يتم وفق قاعدة التداول<sup>3</sup> بين المالكين على مدار ساعات اليوم.<sup>4</sup> ويقول عمر بن عبد

<sup>1</sup> البكري (بكري)، تمنطيط رمز تاريخ وعنوان حضارة، مداخله ضمن مجلة الحضارة الإسلامية، 07-11-1993، العدد الأول، ص. 62.

<sup>2</sup> محمد بن عبد الكريم (البكراوي)، مخطوط درة الأقلام في معرفة أخبار المغرب بعد السلام، ص 2-3.

<sup>3</sup> لمعرفة قوانين وطرق تقسيم الفقارة انظر: حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية، دار الهدى، الجزائر، ج 5، 2011، ص 102-103.

<sup>4</sup> جعفري أحمد أبا الصافي، مرجع سابق، ص 403.

الرحمان المهداوي حول نشأتها أن جماعة من اليهود التي وفدت من المدينة المنورة إلى المنطقة هي التي إختطت الفقارة وعرفت عندهم باسم "الشراج".<sup>1</sup> وذكر في موضع آخر نسبتها إلى بعض القبائل البدوية القادمة من سجلماسة التي نزلت بالقرب من قصر بودة، "... فبنوا وغرسوا وصفت قصورهم على شفير مجرى الوادي بساتين وجنات ونحتوا الفقاقير..."<sup>2</sup>.



المصدر: مذكرة بن سويس محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا.

<sup>1</sup> بلعالم (محمد باي) ، مقال بعنوان التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، أدرار، 1985، ص55.

<sup>2</sup> محمد بن عبد الكريم (البكراوي) ، مرجع سابق، ص5.

وفيما يخص طريقة استخراج مياه الفقارة يصف العلامة عبد الرحمان ابن خلدون الطريقة بقوله: " وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلؤل المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى. وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلبة، فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء، فينبعث صاعدا فيفعم البئر، ثم يجري على وجه الأرض واديا. ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين وواركلا وريغ<sup>1</sup>. " ومع دخول الإسلام وهجرات القبائل العربية إلى المنطقة، أضيفت عناصر جديدة إلى النسيج العمراني، مثل المساجد والمآذن، وبهذا التداخل المستمر، أصبحت تمنطيط نموذجًا حضاريًا يعكس تعايش الثقافات المختلفة، مما جعل عمرانها شاهداً على تاريخ طويل من التفاعل الثقافي والمعماري.

يتميز النمط العمراني لقصر تمنطيط خلال تلك الفترة وما قبلها بأنه مزيج معماري يجمع بين الطراز الإسلامي والتأثيرات الإفريقية؛ ومن خلال تحليل هذا النمط العمراني، بالإضافة إلى ما ذكره ابن خلدون والمؤرخون الذين سبقوه، يمكن استخلاص مجموعة من الاستنتاجات المهمة، أبرزها:<sup>2</sup>

- اندماج عدة قصور أو قصبات ضمن وحدة عمرانية متكاملة، حيث أشار أحد المؤرخين إلى وجود 366 قصرًا متصلًا في تمنطيط.

<sup>1</sup> عبد الرحمان، (ابن خلدون)، المصدر السابق، ص 119.

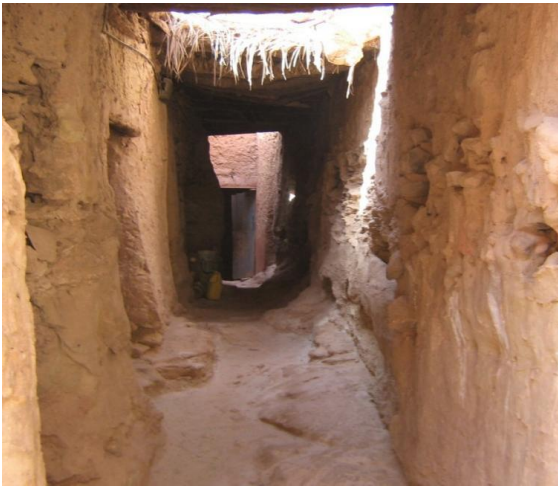
<sup>2</sup> جعفري أحمد أبا الصافي، مرجع سابق، ص 398.

- تقارب هذه القصور وتلاصق مبانيها، مما يعكس طبيعة النسيج العمراني المتراس.

- تشييد المدينة وسط شبكة من مجاري المياه المعروفة محليًا بـ"الفقارة"، مما ساهم في استدامة الحياة فيها.

- إحاطة المدينة بواحات النخيل، والتي تُعرف محليًا باسم "الجنة"، مما وفريئة زراعية داعمة للسكان.

- القصور التواتية ذات نمط عمراني دفاعي، حيث كانت المجتمعات الإسلامية في إقليم توات تسكن في تجمعات سكنية متراسة تُعرف بالقصر أو القصبة، وهي محاطة بأسوار ضخمة، سواء فردية أو مزدوجة، لتوفير الحماية للسكان. ويتألف القصر من بنية خارجية تحوي داخله مساكن فردية، وله بوابة رئيسية كبيرة تحكم الدخول إليه. كما أن العديد من هذه القصور محاطة بخنادق دفاعية، وتتميز بأبراج مراقبة، يتراوح عددها بين أربعة إلى خمسة أبراج، بحسب تخطيط القصر.



تمتد الجذور التاريخية التحصينات الدفاعية إلى النموذج الإسلامي الأول في المدينة المنورة، حيث قام الرسول صلى الله عليه وسلم بحفر

الخندق في الجهة الشمالية للمدينة لحمايتها من الغزوات، وكان يمتد بطول 1300 ذراع وبعُمق أربعين ذراعًا. وبالمثل، يعكس تخطيط القصور التواتية طبيعة البيئة الصحراوية التي كانت تشهد حروبًا وغزوات متكررة، مما أدى إلى تبني أنظمة دفاعية مماثلة.

أما التخطيط الداخلي للقصر؛ فقد كانت المساكن متلاصقة، والأزقة الضيقة (كما هو موضح في الصورة، زقاق مسقوف داخل قصبة في تمنطيط)<sup>1</sup>، التي صُممت وفق اعتبارات اقتصادية ومساحية؛ تحت هذه البيوت، توجد دهاليز صغيرة تُستخدم لأغراض التبريد وحفظ المنتجات، بينما يمتد تحت القصر نفق جامع يُستخدم كممر بارد في فصل الصيف الحار، مما يعكس ذكاء التصميم البيئي في العمارة التواتية.

يُعتبر المسجد أهم مبنى داخل القصر، حيث يقع في موقع مركزي، وغالبًا ما يكون بالقرب منه بئر احتياطي لمياه الشرب، ولم تكن مساجد قصر تمنطيط تحتوي على أماكن مخصصة للوضوء (الميضأة)، وهو عنصر معماري معروف في التراث الإسلامي، حيث كان المصلون يتوضؤون في منازلهم قبل التوجه إلى المسجد. ويعود ذلك إلى قرب المساكن من المسجد، بالإضافة إلى الحرص على ترشيد استهلاك المياه نظرًا لندرتها وصعوبة الحصول عليها؛ لم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على تمنطيط، إذ افتقرت بعض المساجد المبكرة في مصر أيضًا إلى الميضأة، مثل جامع عمرو بن العاص بالفسطاط عند بنائه، قبل أن تُضاف إليه لاحقًا ميضأة ملحقة،

---

<sup>1</sup> المصدر: مذكرة بن سويسى محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجًا.



كما حدث في جامع ابن طولون.<sup>1</sup> أما الساحة المركزية الكبرى داخل القصر، فهي بمثابة السوق الرئيسي الذي يُستخدم لتبادل السلع التجارية، ما يجعل القصر وحدة متكاملة تجمع بين الوظائف السكنية، الدينية، والتجارية، ضمن تخطيط عمراني يتكيف مع التحديات البيئية والأمنية في المنطقة. ويمكننا إدراج بعض سمات العمارة الإسلامية في إقليم توات، والتي تستمد أصولها من المبادئ الإسلامية، بالإضافة إلى تأثرها بالظروف البيئية والاجتماعية للمنطقة، ومن أبرز هذه الخصائص:<sup>2</sup>

تشيد القصور فوق المرتفعات: تم اختيار الهضاب كمواقع لإنشاء القصور لضمان الاستطلاع والكشف، مما يوفر رؤية واضحة للمناطق المحيطة ويعزز الجانب الدفاعي.

التخطيط المحصن للمباني: صُممت القصور ضمن سور محاط بخندق وأبراج دفاعية في زواياه الأربع، وهو ما يُعرف بالقصر أو القصبة، مما يعكس الطابع التحصيني للمنطقة.

تخصيص غرف لاستقبال الضيوف: تضمنت البيوت التقليدية في توات حجرات منفصلة لاستقبال الضيوف، وغالبًا ما تكون معزولة عن باقي أجزاء المنزل، تعزيزًا لقيم الضيافة.

---

<sup>1</sup> بن سويس، ( محمد )، مرجع سابق، ص 191.

<sup>2</sup> جعفري أحمد أبا الصافي، مرجع سابق، ص 596-597.

تلاصق المباني والأزقة: أدى قرب البيوت من بعضها البعض إلى تعزيز الألفة وروابط الجيرة، مما ساهم في خلق بيئة اجتماعية مترابطة.



منظر عام لقصر تمنظيط تبدو فيه المساكن متلاصقة (المصدر: مقال هجيرة تمليكشت "مميزات العمارة السكنية بالقصور الصحراوية بالجزائر- مساكن قصر تمنظيط")

اتخاذ المسجد مركزاً رئيسياً: كان المسجد يُبنى في قلب القصر، ليكون نقطة ارتكاز تخطيطية، حيث تنظم المساكن والمباني الأخرى حوله.

البساطة في التصميم الداخلي والخارجي: خلت العمارة التواتية من الزخرفة والأشكال الهندسية المعقدة، باستثناء بعض المساجد التي احتوت على زخارف بسيطة.

التجانس في ارتفاعات المباني: التزمت الأبنية بمعايير موحدة من حيث الارتفاع، التزامًا بالقيم الإسلامية التي تحث على احترام خصوصية الجار وعدم التعدي على حقوقه البصرية.

استخدام الدهاليز والأنفاق: صُممت هذه الممرات تحت الأرض لتوفير التهوية الطبيعية وتخزين المون، إضافةً إلى الحد من تأثير الحرارة الشديدة في فصل الصيف.

الالتزام بأداب الطريق: كان الحرص على نظافة الطرقات واحترام حق الطريق من القيم الأساسية التي انعكست في تخطيط الأزقة والممرات داخل القصور.

غير أن للعمارة الإسلامية أبعادًا أخرى، روحانية وأخلاقية أثرت على النسيج العمراني والمجتمعي في المنطقة، وهي التي شكلت هوية عمرانية متوافقة مع تعاليم الشريعة الإسلامية، ومن أبرز المبادئ التي انعكست في هذه العمارة:<sup>1</sup>

الفصل بين الرجال والنساء: التزمت العمارة التواتية بمبدأ الفصل بين الجنسين، حيث صُممت المنازل بواجهتين وبابين مستقلين، أحدهما مخصص للرجال والآخر للنساء.

---

<sup>1</sup> جعفري أحمد أب الصافي، مرجع سابق، ص 598-599

إكرام الضيف: كان من الشائع تخصيص غرفة مستقلة لاستقبال الضيوف، تقع غالبًا في مقدمة المنزل، وتتميز بسهولة الوصول إليها، حيث كانت بعض البيوت تترك بابها دون قفل لتسهيل دخول الضيف وخروجه.

الفصل بين الأبناء الذكور والإناث: التزمت المنازل التواتية بهذا المبدأ عبر تخصيص غرف مستقلة لكل من الأولاد والبنات، وغالبًا ما كانت تضم ثلاث أو أربع غرف، تشمل غرفة الضيوف، غرفة الوالدين، وغرفةً للأبناء. أما في المنازل الأصغر حجمًا، فقد كانت غرفة الضيوف تُستخدم أحيانًا كمبيت للأبناء الذكور.

الاقتداء بالتخطيط العمراني الإسلامي: استمدت العمارة التواتية تخطيطها العام من النموذج الإسلامي الأول؛ حيث شُيّد المسجد كمحور رئيسي داخل القصر، وأقيمت الحصون والخنادق لحماية القصور، مستلهمةً فكرة حفر الخندق حول المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

تم تقسيم الشوارع إلى رئيسية وأزقة ضيقة، وفقًا لما أمر به الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تخطيط مدينتي الكوفة والبصرة، حيث كان عرض الشوارع الكبرى 60 ذراعًا، والشوارع الفرعية 30 ذراعًا، أما الأزقة فكانت بعرض 7 أذرع.

مراعاة خصوصية الجار: التزم التخطيط العمراني بمراعاة ارتفاع المباني بحيث لا تتسبب في التعدي على خصوصية الجيران، بما يتماشى مع التعاليم الإسلامية.

تعكس العمارة التواتية التفاعل العميق بين الدين والثقافة والبيئة، حيث لم تكن مجرد نمط عمراني، بل كانت انعكاسًا لنظام اجتماعي وأخلاقي متكامل، من خلال تصميمها المحكم، استطاعت هذه العمارة تحقيق التوازن بين المتطلبات الدفاعية والاحتياجات الاجتماعية، مع الحفاظ على القيم الإسلامية التي تشكل جوهرها.

### ثالثا- التعدد العرقي وانعكاسه على الهوية العمرانية في تمنطيط:

العمران في أي مجتمع ليس مجرد شكل مادي للبناء، بل هو انعكاس لهوية ثقافية متجذرة، تتبلور من خلال تفاعل الموروثات الاجتماعية والتاريخية والبيئية. وفي تمنطيط، حيث تشكل التعددية العرقية جزءًا أصيلاً من تركيبها السكانية، ظهر هذا التفاعل في ملامحها العمرانية والمعمارية، التي حملت بصمات البربر والعرب والأفارقة واليهود على حد سواء. وقد ساهم هذا التنوع في صياغة نمط عمراني متجانس، جمع بين التحصينات الدفاعية للقصور البربرية، وتنظيم المجال الإسلامي القائم على مركزية المسجد، إضافة إلى تأثيرات العمارة الإفريقية في الأبراج والأضرحة المخروطية، كما استلهمت بعض القصور تخطيطها الدائري من أساليب البناء اليهودي. هذا الامتزاج الثقافي لم يكن مجرد تأثيرات منفصلة، بل تماهت هذه الأنماط مع بعضها البعض لتشكيل عمرانًا متكيفًا مع خصوصيات البيئة الصحراوية ومتطلبات السكان. فالقصور المشيدة فوق المرتفعات لم تكن مجرد تحصينات دفاعية، بل جسدت فهمًا معماريًا نابعًا من الخبرة التراكمية لمجتمعات كانت تسعى إلى تحقيق الأمن والاستقرار. أما المساجد، التي كانت تشكل النواة المركزية لكل قصر، فقد

عكست الطابع الإسلامي في التخطيط العمراني، حيث نظمت حركة السكان وأدت دورًا محوريًا في الحياة الاجتماعية. كما أن اعتماد الأزقة الضيقة والمتشابكة لم يكن فقط نتيجة لضيق المساحة، بل كان أسلوبًا معماريًا يعزز التلاحم الاجتماعي، ويخلق مناخًا داخليًا يحمي من قسوة المناخ الصحراوي.

لقد أسهمت التقاليد الدينية والاجتماعية المختلفة في تشكيل البنية السكنية، حيث نجد الفصل بين الفضاءات الخاصة والعامة داخل المنازل، وهو انعكاس لمبادئ الخصوصية في الثقافة الإسلامية، بينما تبرز في بعض المباني تقنيات البناء الإفريقية التي تتجلى في استخدام المواد المحلية كالطين والأحجار، والتصاميم الهندسية التي تساعد على ضبط الحرارة. أما التأثيرات اليهودية فتجلت في وجود أحياء خاصة داخل بعض القصور، إضافة إلى أساليب تخطيطية ركزت على الاستفادة القصوى من المساحات الداخلية. ويتضح أن العمارة في تمنطيط لم تكن مجرد انعكاس للبيئة الجغرافية أو الاحتياجات الوظيفية، بل كانت تعبيرًا عن هوية مجتمعية تشكلت عبر العصور. فقد استطاعت مختلف الأعراق التي استوطنت المنطقة أن تترك بصمتها في هذا النسيج العمراني، ليس بطريقة متنافرة، بل ضمن انسجام تام يعكس روح التفاعل الحضاري. وهكذا، لم يكن العمران في تمنطيط مجرد تجمع للمباني، بل كان تجسيدًا لعلاقات اجتماعية وثقافية، أكدت أن التعدد العرقي لم يكن عامل انقسام، بل كان قوة إبداعية ساهمت في بناء هوية عمرانية متكاملة، تتحدث عن تاريخ المدينة بقدر ما تعكس حاضرها.

## الخاتمة:

بعد استعراض مختلف أنماط العمارة التي سادت في تمنطيط، يتضح أن التعدد العرقي لم يكن مجرد ظاهرة سكانية عابرة، بل كان عنصرًا رئيسيًا في تشكيل الهوية العمرانية للمدينة، مما منحها طابعًا مميزًا يعكس التقاء وتأثير العديد من الثقافات داخل نسيج عمراني واحد. وقد أفرز هذا الامتزاج أنماطًا معمارية تنسم بالانسجام رغم تنوع أصولها، حيث جمعت بين التحصينات الدفاعية ذات الجذور البربرية، والتخطيط الحضري الإسلامي الذي تمحور حول المسجد، والخصائص الهندسية الإفريقية التي ظهرت في تصميم الأبراج والأضرحة، إلى جانب بعض التأثيرات اليهودية التي تجلت في تخطيطات الأحياء السكنية.

كما أن هذا التداخل العمراني لم يكن مجرد مزيج اعتباطي، بل كان استجابة طبيعية لاحتياجات السكان ومتطلبات البيئة القاسية في الصحراء، حيث تم تطوير تقنيات البناء وأساليب التنظيم الفضائي لضمان التكيف مع الظروف المناخية وضمان استدامة الحياة. ولعل أبرز مثال على ذلك هو الاعتماد على أنظمة الري التقليدية مثل الفقارة، واستخدام الدهاليز والأنفاق الداخلية داخل القصور لتوفير التهوية الطبيعية، بالإضافة إلى تشييد المباني بمواد محلية مثل الطين والأحجار، مما يعكس فهمًا معماريًا عميقًا يتناسب مع طبيعة المنطقة.

إن الهوية العمرانية لـ تمنطيط ليست مجرد انعكاس لعوامل جغرافية أو اقتصادية، بل هي تعبير عن تاريخ طويل من التفاعل الثقافي والحضاري بين مختلف الشعوب التي سكنت هذه الأرض. فقد استطاع سكان تمنطيط

عبر العصور تحويل هذا التنوع إلى عنصر إثراء حضاري، ما جعل المدينة نموذجًا فريدًا للتعايش الثقافي المتجسد في عمرانها. وهكذا، فإن دراسة هذه البنية العمرانية تكشف ليس فقط عن الجوانب الفنية والمعمارية، بل أيضًا عن البعد الإنساني والاجتماعي الذي جعل من تخطيط مدينة تعكس في عمرانها روح التنوع والانفتاح، ضمن إطار ثقافي متماسك يحافظ على خصوصيتها وهويتها المتميزة.



## قائمة المصادر والمراجع:

### المخطوطات:

1- البكري، (محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيقي)، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد السلام، نسخة الكترونية.

### المصادر:

1- ابن بطوطة، (محمد بن عبد الله)، رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

2- ابن حوقل، (أبو القاسم)، صورة الأرض، طبعة برلين، 1938.

3- ابن خلدون، (عبد الرحمان)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد السابع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.

4- الأصبطخري، (إبراهيم محمد الفاسي)، المسالك والممالك، تحقيق محمد صابر عبد العالي، القاهرة، 1961.

5- العياشي، (أبو سالم)، رحلة العياشي (ماء الموائد)، تحقيق محمد حجي، الجزء الأول، طبعة فاس الحجرية، المغرب، 1977.

6- الوزان، (الحسن بن محمد)، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 1983.

7- الطيب، (بن عبد الرحيم)، البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج تابع لإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

### المراجع:

1- أبو القاسم، (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول 1500-1830، الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

2- جعفري، (أحمد أبا الصافي)، من تاريخ توات أبحاث في التراث، الطبعة الأولى دار الحضارة، الجزائر، 2011.

3- حوتية، (الصالح)، توات والأزواد، ج1 وج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

4- حساني، (مختار)، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، الجزء الخامس، دار الهدى، الجزائر، 2011.

5- (فرج)، محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977.  
المراجع الأجنبية:

Martin (A.G.P), Les oasis sahariennes , challamel, Paris ,1908. -1

J.C, (Echalier), Villages désertiques et structures agraires anciennes, Paris , -2  
1972

Voguet, Élise. "Le peuplement du Touat au XIVe-XVIe siècle : mémoire locale de lignages au sein d'un espace socio-culturel connecté." In *Marges impériales, terres d'empire. Échanges, interactions et constructions territoriales dans le monde méditerranéen*, edited by Ariane Boltanski, Christian Windler, and Florence Renucci. Paris: Éditions de la Sorbonne, 2023.

#### الرسائل الجامعية:

1- ( بن سويس، ) محمد (، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجاً، من القرن (6هـ إلى 13هـ | 12م إلى 19م)، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم الآثار، السنة الجامعية 2007.

#### المقالات:

1- البكري (بكري)، تمنطيط رمز تاريخ وعنوان حضارة، مداخلة ضمن مجلة الحضارة الإسلامية، 07-11-1993، العدد الأول، ص. 63

2- الصديق (ثياقة)، نمط العمارة القصورة في ظل مراحل وجود الاستيطان البشري في إقليم توات، مقال ضمن مجلة الحقيقة، العدد 25، سبتمبر 2013.

3- بلعالم (محمد باي) ، مقال بعنوان التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، أدرار . جعفري (مبارك)، حاضرة تمنطيط بمنطقة توات ومكانتها العلمية والاقتصادية خلال القرنين 09 و 10 هـ، مقال ألقى في الملتقى الدولي الأول الحواضر الجزائرية التأسيس والأدوار، جامعة أدرار 04 و 05 مارس 2020.

4- شاطو (محمد)، أهمية تمنطيط ودورها في تجارة القوافل خلال الفترة الحديثة، مجلة المواقف، العدد التاسع، ديسمبر 2014، 291- 303.

## ملاح التنظيم العمراني والمعماري للمدينة في المغرب الأوسط

د/ حفيظة هادي

جامعة سطيف

### مقدمة

يعد الموروث المعماري من أكبر المؤشرات على عراققة تاريخ أي أمة من الأمم، وأصالة حضارتها، كما أنه أحد أهم الخصائص المميزة للمجتمعات البشرية في أطوار تقدمها وانحصارها، ودليل على حسن تنظيماها في كافة النواحي، وأكبر اثبات على صدق ما ورد عن تلك الحضارة في المدونات التاريخية، فهو السجل الذي نستقي من خلاله تاريخ العصور المتعاقبة وما عرفته من تقدم وتأخر أو تدهور وتخلف، وتغيرات عامة طرأت عليها من مرحلة إلى أخرى باعتبارها انتاج في تضع فيه كل أمة خبراتها ومكتسباتها المعمارية والتقنية والفنية. ولأن المدينة هي الوعاء الحضاري لهذا التراث المعماري ارتأينا من خلال هذه الدراسة أن نرسم صورة عن التنظيم العمراني في المغرب الأوسط من خلال خطة المدينة الإسلامية، ونرصد أنواع العمارة بها باعتماد تقارير الأبحاث الأثرية، والكتابات التاريخية، وتتبع مراحل تطورها منذ النصف الثاني من القرن 1هـ/7م الذي بدأ باستقرار الفاتحين في الحصون والقلاع حيث أنشئت المدينة وتوزعت حول المسجد الجامع، ومقر الحاكم (دائرة الإمارة) ونظمت خططها وفق طريقة قبلية، مشكلة وحدات صغرى تنتظم فيها المساجد والأسواق، ثم خلال القرن 2هـ/8م الذي يمثل مرحلة جديدة في تمصير بلاد المغرب الأوسط

وإطباعها بالطابع الحضاري الجديد سواء ببناء مدنا جديدة، أو تكييف أخرى قديمة بما يتوافق وقيم الدين الجديد، واتسمت ببناء القصر في الوسط الذي أصبح المبنى الأساسي المنفصل تماما عن المسجد الجامع ومنه تنطلق شوارع رئيسية تحدد جزرا سكنية تؤوي رجال البلاط والإدارة والجند، أما التطور الأخير فكان مع نهاية القرن القرن 5هـ/ 11م تناسب مع وصول سلالات محلية إلى السلطة محلية من غير الفاتحين العرب لعبت دورا مهما في تمصير هذه المدن بتعزيز دفاعتها العسكرية بتشديد القلاع كانت مقرا للسلطة، وألفت مدينة حقيقية داخل المدينة، حيث كيف المشهد العمراني مع الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لكل مرحلة. ولدراسة الموضوع قمنا بطرح الإشكالية التالية ماهي مراحل تطور التنظيم العمراني للمدينة في المغرب الأوسط؟ ولتلمس جزيئاته طرحنا الأسئلة التالية فيما تمثلت ملامح العمارة وخصائصها المعمارية والفنية في كل مرحلة؟ وهل حملت في طياتها تعبيراً عن كنه الهوية المحلية.

### أولا ماهية ونشأة المدينة الإسلامية

تعتبر المدينة واحدة من أهم الكيانات الحضارية في العالم، حيث تشكل مركزا رئيسيا للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تطورت عبر العصور لتصبح نقطة جذب أساسية للسكان، ومحطة تجمع الثقافات وتنصهر فيها الأفكار، ومن بين أزقتها وشوارعها ينبعث وهج الحضارة، وفي هياكلها تتجلى معارف البشر، فهي أكثر من مجرد تجمع سكاني. ويعد دراسة تخطيط المدن من أهم الدراسات في تحديد وتعريف

المدينة من حيث طريقة بنائها، ووظيفتها، وأهم القواعد التي سارت عليها في ظل الأحكام والقوانين،

وبناء على اعتبارات معينة. يرجع أصل كلمة المدينة في اللغة العربية، إلى فعل مدّن بالمكان الذي أقام به، ومنه سميت المدينة، وجمعت بالهمز على المدائن، ومعنى مدن المدائن أي مصر الأمصار<sup>1</sup>. جاءت كلمة مصر في القرآن الكريم بمعنى المدينة لقوله تعالى: "أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم"<sup>2</sup> ويقصد مصرا في هذه الآية الوطن أو البلد أو المدينة كما تعني المدينة الحصن الذي يبنى في أصطمة الأرض ومدن أثارها، والمدينة تعني الأمة<sup>3</sup>، ومن اللغويين من أرجع أصلها إلى لفظ "دين" الذي يعني القانون عند الآشوريين والأكاديين، أما عند الآراميين والعبريين فتعني القضاء<sup>4</sup>، وهذا ما يوافق أن كل مدينة تخضع لنظام القانون والسلطة، وتطبع كلمة المدينة وحدها التي تشير في آن واحد إلى المدينة التي بناها النبي صلي الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة إلى يثرب وتم تحويل تلك الواحة الصغيرة إلى مدينة بمفهوم حضاري، والمدينة

---

<sup>1</sup> نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (مرتب ترتيبا ألف بائيا وفق أوائل الحروف، أرانس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2009، ص. 1069.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 61.

<sup>3</sup> مجد الدين لفيروز أبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1980، ص. 1518.

<sup>4</sup> مصطفى عرباوي، الخصائص العامة لتخطيط المدينة الإسلامية "مدينة فاس نموذجاً"، مجلة جيل العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة الحسن الثاني، المغرب، ص. 75.

بمعناه العام الطابع المركزي لظاهرة العمران في الحضارة الإسلامية، إذ سعى الرسول الكريم لتطبيق قيم وتعاليم الدين لتهيئة مجتمع إسلامي جديد، ولعل هذا تزامن مع إهتمامه بالكيان المادي للمدينة فأدى ذلك تدريجيا إلى تكامل مراكزها، حيث شهدت البداية الأولى للعمل المعماري للرسول الأعظم بناء المسجد الجامع، الذي يعد نواة المدينة الإسلامية و مركز ثقلها الذي تعددت وظائفه بين الصلاة والتعلم والتشاور في مختلف الأمور<sup>1</sup>، إلى جانب مساجد أخرى بلغ عددها تسع في خطط المهاجرين<sup>2</sup>، واشتملت المدينة على ساحة بفضاء واسع تقام عليها صلاة العيد، عرفت "بمصلى العيد"<sup>3</sup>، ونظمت خططها وجعل لكل قبيلة خطة مع ترك لكل قبيلة حرية تنظيم خططها والبناء والتعمير وفقا لظروفها وإمكانياتها لتذويب الفوارق القبلية وتكريس مبدأ التآخي بينها بعد أن كانت مقسمة إلى وحدات سكنية متباعدة ومتناثرة تسكنها بطون القبائل وأصبحت تجمعها مدينة واحدة<sup>4</sup> ونظرا لأهمية السوق في إستقرار المدينة واستكمالاً لمرافقها ومصدرا للكسب والتجارة والحرف<sup>5</sup>، قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتحديد مقر السوق وجعله في مركزها بجانب المسجد الجامع، لتحقيق

<sup>1</sup> خالد محمد مصطفى عذب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة، قطر، 1997م، ط1، ص48/49

<sup>2</sup> عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، دار المعارف، الكويت، 1988، ص50

<sup>3</sup> خالد محمد مصطفى عذب، المرجع السابق، ص28

<sup>4</sup> عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص53

<sup>5</sup> يحيى الشامي، موسوعة المدن العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، 1993، ط1، ص42

سهولة الوصول إليه وعدم تفويت مواعيد الصلاة<sup>1</sup> وخصص في عهده درا لنزول الضيوف وإستقبال الوفود<sup>2</sup>، وإتخذت المدينة ماريستانا (دار المرضى والعلاج والتطبيب والتداوي) ، وشملت حبسا للمخالفين والمعاقبين<sup>3</sup>، مما أعطها صبغة وطابع سياسي، وربطت المراكز العمرانية بشوارع وطرق، تبدأ الشوارع الرئيسية من المسجد الجامع بإعتباره مركز المدينة، تتفرع عنها شوارعا أخرى فرعية مخترقة منازل الأنصار والمهاجرين لتسهيل الوصول إلى المركز (المسجد الجامع، إختلفت مقاييسها بإختلاف حاجة المرور إليها كان عرض الطريق الرئيسي حوالي عشرة أذرع والفرعية بين خمسة وستة أذرع<sup>4</sup> وجعلت معسكرات للجند خارجها تبعد عنها بثلاث أميال<sup>5</sup>، عندما ألحت الحاجة للدفاع عن المدينة وتأمينها، قام الرسول صلى الله عليه وسلم مع المسلمين بحفر خندق في الواجهة الشمالية

<sup>110</sup> عايد وسعي سحاب، العناصر الأساسية في تخطيط المدن العربية الإسلامية، مجلة الآداب، بغداد، 1436هـ/2015م، عد.112، ص 432.

<sup>2</sup> محمد عبد الحي الكيتائي الإدريسي الحسني الفاسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تج. عبد الله الخالدي، دار الأرقم للطبع والنشر، بيروت، ج 2، ص 51

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 327

<sup>4</sup> عبد الله كامل موسى، الآثار الإسلامية بالجزيرة العربية والمشرق والمغرب خلال العصرين النبوي والراشدي، مكتبة

زهراء الشرق للنشر، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص.113

<sup>514</sup> محمد عبد الحي الكيتائي، المصدر السابق، ص 237

المفتوحة من المدين وضعت لها حجارة من الواجهة الداخلية للـسور<sup>1</sup> ومع ذلك فالنموذج الجديد من التنظيم العمراني هو الذي ولد خارج خارج شبه الجزيرة العربية وهو الذي كن نميل إلى اعتباره مثلاً أعلى تحت التسمية العامة للمدينة الإسلامية حيث شكلت الوعاء المادي للحضارة الإسلامية والمجال الأساسي الشاهد على تطورها عبر مختلف الأزمنة، فلم تكن مجرد ظاهرة جغرافية بل هي أولاً وقبل كل شي ظاهرة دينية عرفت بالتغير والتطور حسب ما جاء في الشريعة الإسلامية، إذ هي إنعكاساً لنظام عقائدي وإجتماعي وثقافي وطيفها الحضاري ماهو إلا نتيجة لتعايش الإنسان مع بيئته الحضارية<sup>2</sup>، مما أكسبها طابعاً مميزاً عن غيرها من المدن الأخرى كما يبدو من خلال تخطيطها وعمرانها متخذة طابعاً كلاسيكياً لا يتغير<sup>3</sup>. فلقد أسس المسلمون الحريصون على المحافظة على خصوصيتهم القومية والدينية مدناً جديدة في البلدان التي فتحوها إنطلاقاً من نوع الوظيفة التي كانت عليها وقت تأسيسها عرفت بالمعسكرات أو الأمصار أقيمت حول مكان الصلاة ( المسجد الجامع ) وحول مقر الأمير ونظمت أحيائها حسب طريقة قبلية، لقد نمت هذه المعسكرات وأصبحت ذات تجمعات سكنية ومراكز عمرانية (البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في

<sup>115</sup> عدنان علي الفراجي ، غزوة الاحزاب ( الخندق ) أسبابها، طبيعتها، نتائجها، "دراسة وصفية تحليلية"، مجلة الدراسات التربوية والعلمية، كلية التربية، 2019، عد.14، ص39

<sup>2</sup> مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة والإعلان، بغداد، 1982، ص.21

<sup>3</sup> اسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص.7.



مصر والقيروان في افريقية) وقد نafs هذا النمط الإسلامي نمط آخر من المدن القديمة ذات التقليد الإغريقي الروماني كدمشق أو الإسكندرية، وقد استعمل هذا النمط ذو المخطط القائم على مربعات منسقة، والتخطيط المستقيم للشوارع والبوائك الطويلة ذات الأعمدة في تأسيس مدن اسلامية جديدة (قصر الحيرا الشرقي في الشام) كما لاتزال تشهد على ذلك آثار بعض المواقع ولا يدل على الديانة الجديدة سوى المسجد الجامع في وسطها عند تقاطع الخطين العمودي والأفقي أو اعادة استخدام أماكن العبادة القديمة كما هو الحال في استعمال كنيسة يوحنا المعمدان في دمشق، أو سانتا فانسان في قرطبة، لكن مع أواسط القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي نجد أغلب التجمعات تأقطبت في مجمعات القصور التي شيدها الحلفاء العباسيين في العاصمتين العباسيتين بغداد 758م وسامراء وسار على نهجهم فيما بعد الخلفاء الفاطميون والأميون في قرطبة بالأندلس والأغالبة في افريقية (العباسية ورقادة)، حيث أنشئت هذه المدن في أماكن خالية من أي أثر عمراني، غير بعيد عن عواصم قديمة مثل رقادة الأغلبية ثم صبرا المنصورية الفاطمية الغير بعيدة عن القيروان، ومدينة الزهراء غرب وشرق قرطبة، ومدينة القاهرة شمال الفسطاط، تخضع هذه المنشآت في أغلب الأحيان لتخطيط صارم يتسم ببناء القصر في الوسط، الذي سيعتبر المبنى الأساسي المنفصل تماما عن المسجد الجامع، ومنه تنطلق شوارع مستقيمة تحدد جزر سكنية تحوي رجال البلاط والإدارة والجند. ومع نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي بدأ التطور الأخير للمدينة الاسلامية وتماشى ذلك مع وصول العسكريين إلى السلطة من غير العرب من أتراك وأكراد في الشرق وبربر في الغرب وما

عرفته منطقة الحوض المتوسط من هجوم شامل للحملات الصليبية حيث أخذت المدن هذه المعطيات الجديدة بعين الاعتبار في تخطيطها وعمرائها وذلك عن طريق تعزيز دفاعاتها من خلال تشيد أو إعادة تشيد الأسوار التي تعتمد عموما على حصن سمي قلعة في المشرق، ومن أمثلة القلاع الإسلامية قلعة حلب<sup>1</sup> وقلعة الجبل في مصر<sup>2</sup>، وسميت قصبة في الغرب الإسلامي ومنها قصبة مدينة فاس في العهد المرابطي<sup>3</sup>، وقلعة بني حماد، وقصبة بجاية.

ومع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي في الوقت الذي كادت فيه المدن تخرج من هذه الأسوار مع ازدياد الأحياء بسبب الكثافة السكانية، وترجمت بالميل إلى التميز الاجتماعي أو القومي أو الديني بظهور الأحياء المقفلة، وبكثافة الأحياء التي قضت أحيانا على استقامة الشوارع، وهي صو المدينة التي أراد المستشرقون الترويج لها خلال النصف الثاني من القرن العشرين بأنها مدينة غير منتظمة في عمرائها وبواجهاتها، وشبكة طرقها وأزقتها المقفلة. وعموما فإن المباني الدينية المركزية هي التي طبعت المدينة منذ الفترة الإسلامية حتى يومنا بطابعها، وقدمت لنا تحفا فنية

---

<sup>1</sup> لطيفة بوروبة، قلعة حلب الأثرية في ذاكرة التاريخ، جامعة الجزائر، معهد الآثار، ص217.

<sup>2</sup> عبد الرحمن زكي، قلعة الجبل صلاح الدين، دار النيل للطباعة، 1950م، ص4

<sup>3</sup> محمد القاضي، القلاع والقصبات في المغرب الإسلامي، رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى العالم العربي،

الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث، البحرين 2018م، ص167.

ماتزال شاخصة (قبة الصخرة، الجامع الأموي، جامع القيروان، وسليمانية سنان باشا في اسطنبول، واندثرت القصور لبنائها بمواد هشة أو هجرت أو دمرت بسبب الاضطرابات السياسية التي عرفها العالم الاسلامي مشرقا ومغربا. وكان عدد المساجد الجامعة في البداية محصورا في مسجد واحد في كل مدينة بينما تكاثر عدد المساجد والمصليات في الأحياء بسبب زيادة عدد السكان، واتساع جغرافية المدن، وسيطرت على المظهر العمراني بتعدد قبائها وارتفاع مآذنها، وفقد المسجد الذي كان مركزا للتعليم الأساسي وظائفه الفكرية اعتبروا من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، وانتشرت المدارس التعليمية: إلى جانب البيمارستانات، التكايا التي عرفت في بلاد المغرب بالزوايا والأضرحة بسبب تطور حركة الصوفية. لقد ارتبط نمو المدينة الإسلامية، وتحكم في تطورها بجملة من العوامل منها قوة السلطة وطول الفترة الزمنية، وعوامل أخرى جغرافية كوفرة الماء ولهذا نجد معظم المدن والحوضر أسست على ضفاف الأنهار الأساسية كمدينة بغداد على نهر دجلة والفسطاط القريبة من البحر الأحمر، ومدينة تونس، المهدية وبجاية على البحر المتوسط ومدينة تهرت الرستمية على نهر مينا، وقلعة بني حماد على وادي فرج، و لندرة المياه في بعض المدن كالقيروان تم التغلب على ذلك ببناء الأحواض والمواجل وغيرها. كما شكلت المسالك والطرق البرية احدى الأولويات لهذه المدن لأهميتها في تطور النشاط الاقتصادي حيث كانت محطات أساسية، زودت بخانات على امتداد طرق القوافل التجارية، وداخل المدن استخدمت كفنادق، ومستودعات ومحلات للبيع، إلى جانب انتشار الفنادق عند المرافق أو أبواب المدينة للإقامة، وممارسة التجارة، أما على الصعيد الداخلي فانتشرت الأسواق المتخصصة

حول المساجد، والدكاكين على جوانب الشوارع ذات الأروقة أو خارج أسوار المدن ويتعلق الأمر بالصناعات المؤذية، وخضعت لنظام وقانون الرقابة من طرف المحتسب.

### ثانيا التطور العمراني للمدينة في المغرب الأوسط

إن دراسة التاريخ دون انجازات عمرانية يبقى ناقصا، حيث يشكل العمران أحد الشواهد المادية والعينية التي تتضمن ما تركه السلف من منشآت معمارية تتعلق بالمدن التي استقروا فيها، وهي نتاجا لتطور المجتمع الذي لايمكن فصله عن السياق التاريخي الذي تشكلت فيه المدن وتطورت، وغيرها من المداخل المعرفية الجغرافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والأثرية، ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نرسم صورة ولو محدودة للخارطة العمرانية لبلاد المغرب الأوسط، حيث شكلت المدينة كغيرها من بلاد العالم الإسلامي محور التحول الحضاري الكبير بعد الفتح الإسلامي واستقرار الفاتحين المسلمين، مما يسمح بمعرفة ما أضافه المسلمون، وكيفية تكيفها وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، بدءا بالحفاظ على ما وجدوه من مدن قديمة وانتهاء باستحداث مدن جديدة، بما تشمله من مرافق متعلقة بمركزية المسجد الجامع ودار الامارة، وغيرها من المرافق منذ النصف الثاني للقرن الأول الهجري السابع الميلادي حيث نلمس بداية تحول طابع عمران المنطقة من النمط الروماني إلى النمط الإسلامي، وتسجيل نمووا وتطورا في المدن والعمران بعد القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، الذي سيبلغ أوجه خلال العصور الموالية حيث استكملت بلاد المغرب الأوسط تشكلها التام من الناحية التاريخية

والحضارية كما تعكسه كثرة المدن المنتشرة في أنحائه وغناها بالعمران، ورغم صعوبة الموضوع فقد تمت الاستعانة بالمصادر التاريخية والكتب الجغرافيا والرحالات التي زودتنا بمعلومات عن الجانب العمراني من خلال ذكر مرافق المدن ووصف أحيائها، وأسوارها، أبوابها، ومساجدها، وأسواقها، وتحصيناتها، مما يقرب لدينا الصورة والمستوى الذي كانت عليه، دون أن ننسى أهمية التقارير الأثرية في هذا المجال، علما أن هذه الإشارات اقتصررت على المدن التي كان لها علاقة بالأحداث السياسية البارزة، والكيانات المختلفة، أما غير هذه فجاءت بطريقة عرضية لا أكثر مما يزيد من صعوبة البحث وتتبع مراحل تطورها بدقة ويزدد الأمر تعقيدا كلما اقتربنا من الفترة المبكرة للفتح الاسلامي.

تميزت المرحلة الأولى بسيادة نوعا من مدن - الحصون فقد سبق للمنطقة أن عرفت مرحلة من السيطرة البيزنطية التي تركزت خاصة في المدن ومثال ذلك مدينة ميله المدينة- الحصن حيث حظي المغرب الأوسط بعد الفتح الإسلامي بشرف احتضان أول إمارة في عهد القائد أبو المهاجر دينار في إحدى القلاع الدفاعية البيزنطية، التي حولت إلى مدينة إسلامية، وأصبحت منطلقا لحملاته التوسعية في المغرب الأوسط، وأسس فيها مرفقين أساسيين من مرافق المدينة الإسلامية هما المسجد ودار الامارة على أنقاض كنيسة بيزنطية حوالي عام 59هـ / 678م، ومن خصائصه المعمارية صغره، وبساطة بنائه، يعكس نمط المساجد الأولى كجامع القيروان والزيتونة في مرحلة الفتح في مرحلة. ومع أواخر القرن الأول الهجري تبدأ مرحلة جديدة تتمثل في مرحلة حكم الولاة في بلاد المغرب وتستمر حتى

قيام الدويلات المستقلة، وأهم ما ميز الجانب العمراني هو انتقال بلاد المغرب الأوسط من مرحلة المدينة الحصن إلى مرحلة المدينة الإسلامية، كمدينة القيروان التي أسسها القائد عقبة بن نافع في 50هـ التي أنشئت في البداية كمعسكرات، ثم تطورت إلى مراكز إدارية، ومن الأمثلة على ذلك مدينة طبنة عاصمة إقليم الزاب التي شكلت نموذجا حيا لتعامل الفاتحين مع المدن القديمة التي وجدوها أثناء الفتح والفترة التي أعقبها واتخذوها مقرا لهم، محصنة بسور، فتحت به خمسة أبواب، واتخذ بها قصرا لإقامة الحاكم من الحجارة القديمة وداخل القصر مسجد جامع، إلى جانب الأحياء السكنية والشوارع التي كان لها دور في تنظيم خطتها.

لقد تميزت الفترة التي تلت مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ببداية تغلغل الإسلام وحضارته، مع تحول تدريجي من مرحلة الحكم البيزنطي إلى مرحلة الإنصهار في العالم الإسلامي وتشكيل ما أصبح يسمى فيما بعد بالغرب الإسلامي وظهور كيانات سياسية مستقلة لأسباب سياسية ودينية بدأت كنواة عمرانية لتأخذ ملامح المدينة نفسها وكان أول ما يبدأ به في تخطيط هذه المدن دار الإمارة كمقر للحاكم على بعد أمتار عن المسجد الجامع ومثال ذلك المدينة الحاضرة تمهرت، حيث رأى عبد الرحمان بن رستم بعد أن بويع بالإمامة سنة 161هـ في الظروف التي يعرفها الجميع أن يتخذ لنفسه حاضرة، سرعان ما ارتقت إلى عاصمة كان يباشر فيها مهامه بالحكم، ويخط فيها كامل المرافق العمرانية اللازمة، فاستعان بأهل

الاختصاص والخبرة في تحديد موقعها<sup>1</sup>، في مكان وسط بين التل والصحراء ونقطة وصل بين القوافل التجارية وبين جبل جزول وجبل سوفجيج مما أكسبها حصانة طبيعية، فضلا عن وفرة المياه (نهر مينا، نهر تاتش) وخصوبة التربة طبيعيا، أما اجتماعيا فيسكنها عدد موفور من القبائل الإباضية. وهي من أهم المدن الإسلامية نشأة في المغرب الإسلامي خاصة والمشرق عامة بلغ شأنها آنذاك شأوا كبيرا ولقبت ببغداد الصغرى، مما جعل المؤرخون والجغرافيون يولون عناية كبيرة في وصفها وتخطيط عمرانها. كانت هذه المدينة بسيطة في مراحلها الأولى<sup>2</sup> ولم تمضي عشرة سنوات حتى خطت خطوات ملموسة نحو الرخاء، وهاجر إليها المشارقة والمغاربة والأندلسيون، كما قصدها أرباب الحرف، التجار، الفنانين، والعلماء والمناوئين السياسيين، وسكنها اليهود والنصارى، وظلت متصلة دينيا وفكريا وسياسيا بالتنظيمات السرية للخوارج في البصرة، التي تمدها بالأموال والرجال مما أسهم في اتساع دائرة عمرانها المتأثر بالتقاليد المعمارية العباسية في بغداد، والأموية في الشام، وكان أول ما بناه عبد الرحمان ابن رستم المسجد الجامع من الخشب المقطع من موضع المدينة، مكونا من

---

<sup>1</sup> محمد عيسى الحبري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ/ 296م)، دار القلم، الكويت، 1408هـ، ط3، ج 1، ص 39.

<sup>2</sup> وهذا ما تأكد من خلال إشارة بعض المصادر التاريخية عن بناء عبد الرحمان بن رستم لداره ومشاهدة الوفد المشرقي الذي جاء لتقديم يد المساعدة وهو فوق سطحها، وعندما أذن لهم بالدخول لم يجدوا إلا رجلا جالسا على حصير وسيفه ورمحه وفرسه مربوط.

أربعة بلاطات<sup>1</sup> ثم شرع في بناء مسكنه بجانب المسجد وقام بتنظيم خطط المدينة بتوزيع الأراضي على الناس وأمرهم بالبناء بتشكيل أحياء سكنية منها: حي القرويين، حي الكوفيين، حي البصريين... وكان لكل حي رحبة ومسجدا وبذلك تعددت المساجد وأصبح لكل مذهب وفرقة مسجدها بعد أن ازدهر عمرائها<sup>2</sup>، إلى جانب الكتاتيب (المدارس القرآنية) لتعليم اللغة العربية لحفظ القرآن، كتلك التي اكتشفت بمحاذاة مسجد سدراتة<sup>3</sup>، التي انتقل إليها الرستميون بعد سقوط دولتهم على يد الفاطميين، وكشفت عنها فرقة تنقيب جزائرية سنة 1977م.، مثلت المساكن أهم المظاهر العمرانية والحضرية بها، فهي ذات طابع إسلامي مغلق من الخارج، ومنفتح على الداخل حفاظا على خصوصية سكنيه، جسد فيه الجانب المعنوي والجانب المادي في الابداع المعماري الإسلامية مجسدا المرجعية والأصل في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>4</sup>، فقد خضعت هذه المساكن في تهرت

<sup>123</sup> أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، ج.1، تح. جمال طلبة، دار الكتب العلمية ط.1، بيروت، 2003م ص. 250

<sup>24</sup> إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية 160-196هـ / 777-909، دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، 1985م، ص. 277، 278

<sup>325</sup> الواقعة جنوب غرب ورقلة بالقرب من وادي مانة، كانت منطقة عبور للقوافل التجارية القادمة من السودان، استقر بها المسلمون منذ وقت مبكر، هاجر إليها الرستميون الفارين من تهرت بعد سقوطها على يد الفاطميين، في القرن 4هـ/10م وبقوا هناك مدة ليست بالطويلة، لتهاجر جماعة منهم إلى بسبب الظروف الطبيعية القاسية إلى منطقة وادي ميزاب غرداية.

<sup>26</sup> <sup>4</sup> قام الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء بيوتا لتكون مسكنا له، ولزوجاته، تمثل نموذجا للمسكن الإسلامي وتجسيد لمبادئ الإسلام وقيمه كان عددها تسع، تمثل نموذجا للمسكن الإسلامي وتجسيد لمبادئ الإسلام وقيمه خلت من الجهة الشرقية



كغيرها من المدن الإسلامية الأخرى كفاس والقيروان وغيرها في طريقة بنائها لمقاصد الشريعة الإسلامية، بالرغم من إختلافها من منطقة إلى أخرى حسب الظروف الطبيعية والمادية، فكانت في البداية الأولى نموذجا للبناء الأفقي لقلّة عدد السكان مما يجعلهم غير ملزمين لبناء الطوابق<sup>1</sup>، حفاظا على خصوصية المساكن الواطئة ومتلاصقة تجسيدا لمبادئ الإسلام المسلم أخو المسلم كالبنين المرصوص يشد بعضه البعض، ومتشابهة في عناصرها الأساسية و مظهرها العام كما دلت على ذلك الأبحاث الأثرية من خلال الأسبار التي قام بها كادني Cadenet سنة 1958-1959م في محيط المدينة وكشفت على بناية مستطيلة، مكونة من ثلاثة غرف متتالية مستطيلة بأبواب بها بقايا جصية مطلية بالدهان، ومبلطة بقطع آجرية تشرف على فناء واسع مبلط بالحجارة، الذي سنه الرسول صلى الله عليه وسلم عند

---

للمسجد، لم يكن السقف فيها بالعالي، لكل بيت مدخلا، وبها فناء يحتوي على مكان للغسل،، وآخر للطبخ، أما الفناء العام بين كافة البيوت إحتوى على فضاءات مشتركة بينهم منها مكان لمبيت الحيوانات ومشربة (عبارة عن غرفة أوى إليها النبي عليه السلام عند ما إعتزل نساه، وخيمة تذهب إليها زوجاته عندما يأتيه الصحابة، والكنيف الذي أصبح أهم العناصر المعمارية في البيوت بعد ما كانوا يلجؤون إلى أماكن في الخارج تسمى المناصع. كما وجد في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها سهوة (فجوة صغيرة في جدار البيت توضع فيها مختلف الأشياء) إذ عد منزلها نموذجا لمنازل الزوجات الأخريات والذي شرف الرسول صلى الله عليه وسلم على بنائه بنفسه: حفصة العمري، بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم ثاني إبداع في العمارة الإسلامية، هندسة الرافدين، 2010، ع2، ص 111، 112؛ محمد بن فارس الجميل، بيوت النبي صلى الله عليه وسلم وحجراتها وصفة معيشته فيها (بيت عائشة نمذجا)، جداول للنشر والترجمة، بيروت، 2016، ط1، ص75، 77

<sup>1</sup> محمد علي، فلسفة العمران الإسلامي في العصر الوسيط، مجلة العبر للدراسات التاريخية الأثرية، 2018، عد.2، ص61

بنائه الأول، في أول التصميمات والتخطيطات الإسلامية السكنية<sup>1</sup>، احتوت عليه المساكن الأموية والعباسية، والفاطمية يتوسط الدور، والقصور، ويعد وجوده ضروريا لما يوفره من تنظيم وسيرورة الحركة في المسكن، ومنع وصول الضوضاء للحجرات<sup>2</sup>، وتأمين خصوصية الأفراد، وتقليل الحرارة، وتوفير الإنارة والإضاءة الطبيعية. وقد تم الكشف في مدينة سدراتة عن مجموعة من المساكن العامة والخاصة، ورغم قلتها فإنها أعطت صورة واضحة على النمط المعماري الإسلامي للبيت الإسلامي ذو الصحن الوسطي المكشوف، المحاط بالغرف المكسوة جدرانها بطبقة من الجص المحفور بزخارف مختلفة. وقصران أروع المباني المكتشفة لإحتوائها على أربعة وثلاثون غرفة مزينة بلوحات جصية تحمل زخارف كتابية وهندسية ونباتية متنوعة<sup>3</sup>. ولأهمية السوق في العمران الإسلامي زودت المدينة بالأسواق نسبت إلى أصحابها (سوق إبراهيم، سوق ابن جبالة، ابن وردة مقدم العجم)<sup>4</sup>، أهمها السوق الكبير الذي تشرف عليه قصبة عبد

---

<sup>1</sup> هبة عبد الله محمد وآخرون، الفناء وأهمية الوضيفة في العمائر الدينية والمدنية خلال العصر الإسلامي، المجلة الدولية للدراسات السياحية والضيافة، 2022، ع1، م2، ص23

<sup>2</sup> مجري محمد عبد الرحمان الحريري، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، تق: محمد سعيد حسن الفارسي، الشركة للتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1989، ص2

<sup>3</sup> محمد الطيب عقاب، التراث المعماري في مدينة سدراتة التاريخية، حوليات المتحف الوطني للآثار، عد 11، مطبعة سومر بئر خادم الجزائر، 2002/1422م، ص. 28-40

<sup>4</sup> إبراهيم بحاز المرجع السابق، ص. 176

الرحمان بن رستم المعروفة بالمعصومة التي ذكرها الإدريسي<sup>1</sup> ولتنظيم المدينة اهتم الفقهاء الإباضيون بوضع القوانين على أساس الشريعة الإسلامية، ومنها نظام الحسبة التي تجلت بصفة أكثر داخل الأسواق كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه، ثم صارت نظاما إداريا مع تطور الدولة الإسلامية، لدرجة أن أحد الأئمة الرستميين وهو ابو اليقضان مارس هذه الحرفة<sup>2</sup>، وأسندت لصاحب الشرطة في عهد الامام أبي حاتم بعد ظهور المنكر والفسوق في المجتمع التيمرتي<sup>3</sup>، ومن المرافق التي خدمت هذه المهنة نجد السجن، وشيدت فيها دار للقضاء، ودار للزكاة، حيث كان الأئمة الرستميون يجلسون في المساجد للنظر في أمور الناس، وكانت تهت منارة للعلم مزودة بمكتبة سميت "المعصومة"، وانتشرت فيه دور نسخ الكتب ونشرها، والحمامات التي فاق عددها 12 حماما<sup>4</sup>، كشفت عن أحدها الحفريات الأثرية لسنة 1980-1990م بخصائصها المعمارية، والفنادق والخانات للسكن والتخزين الطعام والمؤن<sup>5</sup>، ولوفرة المياه بها من عيون وأنهار ذكرت في المصادر التاريخية والجغرافية، اهتم الأئمة الرستميين

<sup>1 3</sup> أبو عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني الأدرسي نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، نش. هنري بيراس، كلية الآداب بجامعة الجزائر 1957م، ص. 66

<sup>2</sup> ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح وتو محمد ناصر وإبراهيم نحاز، دار الغرب الإسلامي، ص. 73

<sup>3 4</sup> عبد الكريم يوسف جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، سلسلة الدراسات الكبرى، ص. 33

<sup>4</sup> البكري، المصدر السابق، ج2، ص 250.

<sup>5</sup> فطيمة مطهري، مدينة تيمرت الرستمية (دراسة تاريخية حضارية 2-3هـ / 8-9م) مذكرة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان، 2009 - 2010م، ص. 207.

بنظام الري الذي شمل الدور والأحياء والبساتين والحقول باستعمل نظام الأرحاء على الأنهار لدفع المياه<sup>1</sup> ونظام النوبة في توزيعها كما كان سائدا في ورقلة كما جاء ذكره في كتاب القسمة وأصول الأرضين للفرسطائي. ولتأمين المدينة بنيت فيها العديد من القلاع والأسوار التي تتخللها أبراجا، وزودت بأربعة أبواب: باب الصفا من الجهة الشرقية للزهوة والتسلية، باب المنازل من الجهة الجنوبية، للعاملين في البساتين، باب الأندلس شمالا للسفر و باب المطاحن غربا للحبوب وطحنها ، حيث كان خص كل باب بنشاط م فالأول مخصص للتنزه، والثاني للعاملين في البساتين، أما الثالث للسفر والأخير<sup>2</sup>، يصفها ابن حوقل "...ذات سور بها الكثير من الناس فيها جامع وفي المحدثنة جامع ولكل إمام وخطيب والتجار والتجارة وأهم المياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم وأشجار وبساتين وحمامات وخانات..."<sup>3</sup>.

بدأ التطور الأخير للمدينة في المغرب الأوسط مع نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي بقيام إمارات محلية، كان لهم دورا كبيرا في تمدن المدن، وبناء نمطا جديدا من المدن، بنيت في مواقع مرتفعة، وبأشكال أشد ضيقا، أحيطت بسور يعتمد عموما على حصن، يشرف على مدينة سكنية هي مقرا للسلطة الحاكمة كضرورة للدفاع والحماية من الخطر الخارجي، عرفت بالقصبة في بلاد الغرب الإسلامي، تمثله قلعة بني حماد نتيجة للدور العسكري الذي طغى عليها أكثر من أي شيء آخر ، بسبب الفترات العصيبة التي عرفها المغرب الأوسط، لكن اسمها تعدى

<sup>1</sup> ابن الصغير، المصدر السابق، ص. 35-36.

<sup>2</sup> جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص.34.

<sup>3</sup> ابن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، بيروت، ص.39.

الدور المجازي لمعنى الحصن أو القلعة لترتقي إلى اسم المدينة بكل ما تضمنته من مرافق إدارية وسياسية واقتصادية، ومنشآت عسكرية ودينية ومدنية مثلت أكمل تركيبة عمرانية، رعت في بنائها الحصانة الطبيعية لوقوعها في جبل المعاضيد بسلسلة الحضنة شمال شرق مسيلة، بنيت على هضبة صخرية يصل ارتفاعها 950م، مسندة لقمم جبلية، شمالا جبل تاقربوست على ارتفاع 1480م، وغربا جبل قورين وشرقا وادي فرج المحصن بسلسلة من الخواصر الجبلية، مما جعلها في موقع دفاعي حصين، يصعب الوصول إليه إلا منفذ وحيد يتبع وادي فرج جنوبا<sup>1</sup>. لم تكن لهذه المنطقة أهمية كبيرة إلا بعد أن ارتبط تاريخ القلعة بمؤسسها حماد بن بلقين بن زيري بن مناد بن عطية، من قبيلة تلكاتة الصنهاجية الذي شيد بها قلعته سنة 398هـ/ 1007م، وأصبحت عاصمة لبلاد المغرب الأوسط قاطبة، خاصة بعد سقوط القيروان على يد القبائل الهلالية، ورحيل جل أهل إفريقية إليها<sup>2</sup>،، عنى حماد بن بلقين بإرساء قواعد دولته، وأصبحت المدينة مهيأة للسكن، ولجأ إلى تعميرها، فذكر ابن خلدون: "أن حمادا بعد أن اختط مدينة القلعة سنة ثلثا ثمانية وثمان وتسعين نقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة (البويرة حاليا) وجراوة من المغرب الأقصى، وتم بناؤها

---

<sup>1</sup> Lcien Golvin, Recherches archéologiques à la qual'a des banu Hammad, G. P Maisonneuve et

larose, Paris, 1965, P.19.

<sup>2</sup> أبي عبد الله محمد ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح. جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص. 72.

وتمصيرها على رأس المائة الرابعة<sup>1</sup>، كما استقبلت المدينة هجرات من افريقية بسبب المجاعات عام 395هـ/ 1004<sup>2</sup>، ومن قرطبة بالأندلس بعد الحرب الأهلية المعروفة بالفتنة البربرية<sup>3</sup>، فأخذت المدينة في النمو والاتساع بتزايد عدد السكان واستقطابها للحركة الاقتصادية وهذا ما جعل الإدريسي يصفها "ومدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا ومساكنا"<sup>4</sup>. وتواصلت هذه الهجرات من افريقية بعد سقوط القيروان حيث فر الكثير من أهل الثراء من التجار والحرفيين والعلماء إلى القلعة، ليضيفوا لها قوة اقتصادية وازدهارا اجتماعيا وثقافيا لم يشهده المغرب الأوسط من قبل وصفها الإدريسي: "هي قلعة كبيرة ذات مناعة وحصانة، تمصرت عند خراب القيروان، انتقل إليها أكثر أهل إفريقية وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة"<sup>5</sup>. حيث ساهم هذا التنوع في التركيبة البشرية المكونة من العناصر المحلية والوافدة والأقليات اليهودية والمسيحية في

---

<sup>1</sup> عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاشرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1983م، مج.6، ص.323

<sup>2</sup> شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج.24،

تح. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1983م ص.278

<sup>3</sup> عبد العزيز الفيلاي قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/ 11م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، عد.7، 1427هـ/ 2006م، ص.10

<sup>4</sup> الإدريسي، المصدر السابق، ص.109

<sup>5</sup> ياقوت الحموي معجم البلدان، ج.3، بيروت، 1990-1993، ص.398

التطور العمراني بحملهم خبراتهم ومعارفهم في مجال المعماري والفني فتطورت القلعة في جو التعزيز السياسي والاقتصادي لحكامها وطموحاتهم في تأسيس دولة قوية وبناء عاصمة تضاهي غيرها من الحواضر الإسلامية، ويعزى إلى الناصر بن علاء الناس 454هـ/1062م تشييد أسوارها واستكثار المساجد والفنادق فاستبحرت في العمارة واتسعت بالتمدد ورحل اليها من الثغور الدانية والقاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب المصانع لنفاق سواق المعارف والحرف والصنائع<sup>1</sup> كما كان ابنه المنصور مولعا بالبناء، فهو الذي حضر ملك بني حماد، وتأنق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور واجراء المياه والرياض والبساتين فبنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام والعروسين وبلازة وجدد جامعها الكبير<sup>2</sup>. شاهدة بذلك على تطور عمراني وحضاري كبيرين، نتيجة الظروف البيئية الحيوية والأمنية بعد حصول الهيئة الاجتماعية، وقدارتبط تخطيط القلعة كمدينة إسلامية بمضامين سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية ودينية، وتطابق مع الشروط والمعايير التي حددها منظري العمران لكمال المدينة الإسلامية: أن يسوق اليها الماء إذا بعد في أنهار وحياض؛ تخطيط الطرق والشوارع؛ بناء جامع للصلوات في وسط المدينة ليقرب لجميع الناس؛ أن يضع لها أسواقا في أماكن مختلفة؛ أن يسكن القبائل في أحياء خاصة بها؛ أن سكن الملك في أفسح أطرافها ويحيط حاشيته وأجناده به؛

---

<sup>1</sup> عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، مج 6، ص 323

<sup>2</sup> نفسه، ص. 358

أن يحيط المدينة بسور: أن يسكن بها أهل الحرف والعلوم<sup>1</sup>. واحتوت المدينة على منشآت هامة من قصور وحصون، ومساجد وأحواض وجسور ومرافق أخرى، تحكم في التوزيع العمراني طبوغرافية موضعها، فبدت على شكل مصاطب تشبه مدينة الزهراء بقرطبة، وصمم التنظيم المعماري فيها على أساس أحياء سكنية، أقيم في كل حي قصر، وفي القسم الأعلى امتد قلب المدينة حيث قصر البحر والمسجد الجامع، أما القسم الجنوبي المنبسط فخصص للأسواق التجارية. لارتباطها بشبكة المسالك والطرق التي ساهمت في التطور الاقتصادي وربط علاقات تجارية مع بلدان المغرب والمشرق والسودان تعدت إلى دول شمال المتوسط، وأحيطت بسور دفاعي محكم طوله 7 كلم وعرضه 120م-160م، فتحت به ثلاثة أبواب: باب الأقواس من جهة الشمال الشرقي، وباب الجنان من الغرب وباب جراوة جنوبا وحسب ابن حماد الصنهاجي أن القلعة وسورها بناها أحد العبيد المسيحيين يدعى بونياس<sup>2</sup>، ودعمت المدينة ببرجا مكونا من قاعتين متناضدتين القاعة السفلية مربعة الشكل طول ضلعها 20م، سقفها مقبب ومتقاطع وأركانها على شكل كوات نصف دائرية، استخدمت كمخزن للأسلحة أو سجن، بينما القاعة العلوية ذات شكل صليبي طول ضلعها 5م يعلوها سطح فيه مرآة للمراقبة وتبادل الإشارات الضوئية على منوال مرآة شوف الرياض بعاصمتهم الثانية بجاية تأكيدا على قوة الدولة، في وسط

---

<sup>1</sup> أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي ، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تح معي هلال السرحان، دار النهضة العربية، بيروت 1988م ، ص.163-164

<sup>2</sup> ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق



المدينة بني المسجد الجامع الذي يعد ثان أكبر جامع في المغرب الأوسط بعد مسجد المنصورة في تلمسان، يعود تاريخ تأسيسه إلى تاريخ تأسيس القلعة سنتي 398-400هـ / 1007-1010م، وهو ذو شكل مستطيل طوله حوالي 63.20م وعرضه 53.20م، به بيت للصلاة مكونة من 13 أسكوبا و8 بلاطات عمودية على جدار القبلة وفي الجهة المقابلة ترتفع مئذنته، وهي ثاني أقدم مئذنة في المغرب الأوسط بعد مئذنة جامع سيدي أبي مروان بعنابة، بارتفاع 24.70م، طول ضلعها 6.50م، حيث لفت بشموخها وإتزانها انتباه كثير من المؤرخين والجغرافيين أمثال ابن خلدون واعتبرها من البناءات العظيمة لهندسته المتقنة لقوله "والصنهاجيين أثرهم باد إلى اليوم في صومعة قلعة بني حماد"<sup>1</sup> وأصبحت نموذجا للمآذن الموحدية والمرينية والزيانية<sup>2</sup>، يوجد بالجامع مقصورة مكونة من 5 بلاطات و4 أساكيب وخزان للمياه في الركن الشمالي الشرقي، ومنه تنطلق الشوارع إلى قصور الحكام الغير بعيدة عنه بأفصح أطراف المدينة المحاطة بمساكن رجال الإدارة والجند، تميزت بدقة التخطيط وروعة التزيين الفني متأثرة بالطابع الهندسي المشرقي وتحديدًا العباسي<sup>3</sup>، وانتقلت هذه التأثيرات عن

<sup>1</sup> عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، مج. ص. 381 382

<sup>2</sup> محمد لخضر عولمي، مئذنة قلعة حماد بين القيروان وقرطبة، التراث الأثري عمران وعمارة .. فن وصناعة، مجلة

الثقافة، وزارة الثقافة، عد. 16، أكتوبر 2007م ص. 81

<sup>354</sup> المنظمة داخل سور محصن بأبراج في شكل مصاطب تظهر فيها الحقائق التي أصبحت جزءا جوهريا منها، ومكونا من قاعة العرش بنفس النمط قاعات العرش الأموية تعلوها قبة مركزية، ومصلى وإيوان على التراث الساساني، له مدخل للسقيفة مع وجود فناء المكشوف كما في قصر الصحن بمدينة رقادة الأغلبية، المتأثر بعمارة

طريق الفن الأغلب<sup>1</sup>، حيث بنيت بمدينة القلعة عدة قصور كشفت عنها التنقيبات الأثرية وجاءت مطابقة لأوصاف المؤرخين والجغرافيين، من أهمها قصر البحر الذي كان مقرا للسلطة، فيذكر صاحب كتاب الاستبصار: "ولبني حماد بالقلعة مبان عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء منها قصر المسمى بدار البحر، به صهريج في وسطه تلعب فيه الزوارق، وماء كثير مشرف على نهر كبير وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف، به قصور غير هذا ومبان عجيبة، وفيها آثار للأول عجيبة"<sup>2</sup> حيث أخذ القصر مساحة ضخمة في بنائه<sup>3</sup>. وكان تخطيطه الهندسي مختلفا عن غيره من حيث الشكل والحجم بقاعاته المستطيلة

---

القصور المشرقية من خلال التخطيط ومكوناتها المعمارية، ومن حيث الشكل فهو نموذجا للقصور العباسية، لكن بحجم أقل.

<sup>155</sup> ذو الشكل المربع بجداره المحصن بأبراج ومدخل منكسر واحد في منتصف إحدى الجدران وقاعة العرش بثلاث بلاطات بنفس نمط قاعات العرش الأموية تعلوها قبة كما في القصور العباسية بسامراء وقصر العاشق وغيره و يقابلها مصلى كما هو موجود في كل القصور الأموية والعباسية والفناء المكشوف ولاستقبال الضيوف زود القصر ببايوان به مدخل للسقيفة كما في مجالس أبواب مدنية ببغداد وباب العامة في سامراء وقاعات الإستقبال في أبواب القصور الأموية وكانت الغرف إما مستطيلة أو مربعة متصلة بباب واحد يفصلهما رواق، أو بسيطة كل غرفة بباب. أسماء عمارة، عمارة القصور الأميرية بإفريقية في العصر الوسيط "قصر الصحن نموذجا"، دراسات في آثار الوطن العربي، عد. 20، ص. 436 ، 439

<sup>2</sup> صاحب كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نش وتغ: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص168.

<sup>3</sup> عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، مكتبة نبراس الصفا التاريخية، الإسكندرية، 1411هـ/1991م، ط.2، ص276.

والصليبية المزينة بمشكوات أو بدونها<sup>1</sup>، تتوسطه بركة طولها حوالي سبعة وستون مترا، وعرضها سبعة وأربعون مترا وعمقها مترا وستون سنتمترا، تحيط بها بعض القاعات والرواقات المزدانة بأبدائع الزخارف الفنية كالرخام المنقوش<sup>2</sup>، إلى جانب مرافق أخرى، والكثير من الصهاريج والأحواض، حيث كيف موقع المدينة على سفح الجبل وبمحاذاة واد فرج مع نظام المياه ليشمل كل أنحائها باستعمال القنوات، وأحيط القصر بالبساتين<sup>3</sup>، أما قصر المنار فتميز بتخطيط معماري، وأسلوب فني مغاير لباقي القصور، بوجود برج للمراقبة ( برج المنار) واختواء هذا المجمع ثلاث بنايات متلاصقة: البناية الجنوبية المركزية، والبناية الجنوبية الشرقية والبناية الجنوبية الغربية، ومصلى صغير لا تتجاوز مقاساته 1.80م على 1.70م وهو بذلك يعد أصغر مصلى في العالم الإسلامي وتخلل القصر أحواضا من الأزهار والأشجار المثمرة ونافورات المياه من كل الجهات، ومن حيث التصميم الهندسي فقد تميزت هذه القصور بمدخلها المتقدمة، يلها رواق منكسر، يؤدي إلى السقيفة<sup>4</sup>، تقوم مقام غرفة الاستقبال مزودة

<sup>1</sup> رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وأثارها، ديولن المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397 هـ/1977م، ص269.

<sup>2</sup> محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، سلسلة الدراسات الكبرى، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015، ص225.

<sup>3</sup> Lucien Golvin , Le Maghreb central à l'époque des Zirides, art et métiers graphiques, Paris

1957

<sup>4</sup> تعتبر عنصرا معماري بارز في تصميم البيوت الإسلامية مشرقا ومغربا، ظهرت فكرة السقيفة في العصور الإسلامية المبكرة، وفي بداية الإسلام، كانت محل اللقاءات

بدكات للجلوس والانتظار، وتنتفح على الفناء الذي يتوسط المبنى مباشرة بواسطة باب وعلى مجنبات الفناء تتوزع الغرف على الجهات الأربعة، بشكل مستطيل تتميز بكبر طولها، وصغر عمقها، وتحتوي بعض القصور على غرار قصر المنار على أحواض مائية من الرخام الأبيض، ولعل أهمها حوض البناية الغربية الذي تزينه أربع تماثيل لأسود ويذكرنا مشهدها بنافورة قصر الحمراء بغرناطة، إلى جانب استعمال كوات بخلفيات مسطحة أو نصف دائرية في الواجهات الخارجية للقصور، تشبه كوات الحراسة في الثكنات العسكرية اليوم استعملت في تبليط أرضياتها المربعات الخزفية الملونة والقطع الرخامية إلى جانب الحجارة والحصى والآجر بصورة أقل في البناء، أما خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي فنجد هذه القصور ضمن أسوار كبيرة مكونة من وحدات مرتبطة فيما بينها بالحدائق والباحات من دون تنظيم محوري تمثلها قصور قلعة المشور بتلمسان الزيانية، والقصور العثمانية منذ القرن العاشر الهجري السادس عشر حتى القرن التاسع عشر مكونة من قاعة العرش، ومقر الحريم، والبيوت والمطابخ والاسطبلات والأكشاك كما قصر الداوي حيث عكست هذه القصور عبقرية وتطور الفن المعماري في المغرب الأوسط، وكانت شاهدا حيا على فترة زاخرة بالإبتكار والتجديد الفني. أما بالنسبة

---

والتجمعات "كسقيفة بني سعادة" التي شهدت إجتماعا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تطورت وظيفتها مع مرور الوقت و أصبحت جزء لا يتجزأ من تصميم العمارة المدنية الإسلامية، فظهرت في بلاد الغرب الإسلامي خلال مرحلة الفتوحات وانتشار الإسلام ذلك في القرن الأول والثاني الهجري: أحمد زكي محمد، تطور شكل السقيفة التي تتقدم المساجد العثمانية "دراسة تحليلية مقارنة"، مجلة الاتحاد العام للأثاريين العرب، عد. 18، ص34.

للمساكن فهي قائمة على ما هو متوارث منذ القديم حيث كشفت الأبحاث الأثرية في منطقة سيدي مسيد بقسنطينة على مسكن نوميدي بمخطط بسيط مكون من غرفة واحدة أو غرفتين أو ثلاثة غرف مع وجود فناء ومدخل يشبه المخططات في الفترة القديمة<sup>1</sup>، ظلت هذه هي الأسس العامة للمسكن لبلدان الحوض الغربي للمتوسط عبر مختلف العصور كصفة متجذرة تحت تأثير العوامل المناخية، وبعد مجيء الإسلام تأثر المسكن بالدين الإسلامي الذي أدخل مفاهيم جديد في التنظيم الاجتماعي بمراعاة الجيرة وخصوصية الحياة الأسرية بعزل المرأة وفصل مجالس الرجال على النساء<sup>2</sup> وحافظ على الفناء الوسطي المكشوف، وأضيفت السقيفة لانتظار الغرباء حتى يؤذن لهم بالدخول تطبيقا لتعاليم الدين الحنيف والممر المنكسر، وخلت الغرف إلا من فتحات صغيرة أعلى الجدران باستثناء الطابق السفلي المطل على الفناء، ومن أمثلة ذلك ما كشفت عنه الحفريات الانقاذية لسنة 1977-1984م بالقلعة البيزنطية بمدينة سيتفيس الرومانية إحدى عشر منزلا تعكس هندستها بوضوح الطابع الإسلامي من حيث الشكل المخطط العام الرباعي والفناء الوسطي والمدخل الخارجي بممر منكسرتعذر منه رؤية ما يجري في الداخل حفاظا على حرمة الأسرة المسلمة، وتضم الأجنحة غرف النوم وأخرى للاستقبال بها دكة للجلوس،

---

<sup>1</sup> Djehida Mehntel, L'habitat numide en Algerie l'exemple de cirta et Tiddis "DIE NUMIDER" 40 ans apres, bilan et perspectives des recerces sur les Numides, actes de colloque international, Tunis 27-29 novembre 2019, P.379

<sup>2</sup> صالح يوسف بن قربة، علم الآثار والهوية المغربية، دار الهدى، عين مليلة الجزائر 2012م، ص. 52-53

وللمنزل مطبخا به موقد وبيت للمؤون بها مطمورة وحفر لتثبيت الجرار الكبيرة لحفظ المواد الغذائية، كما يوجد بالمنزل اسطبل للحيوانات، شيد بالطوب المقوى وبالحجارة، وسقف منحني ومازال هذا النمط مجسدا في المساكن التقليدية. وظلت هذه القصبات تسكن من جديد باستمرار حتى نهاية العصر الوسيط وظلت الاعمال الأساسية التي خضعت لها محصورة في ترميم أعالي البروج والجدران وفي إعادة ترميم قصور جديدة ومساجد وحمامات داخل هذه الأماكن الدفاعية لتلبية لطلبات المحتل الجديد الحريص على ترك بصماته على هذه المباني كما هو الحال بالنسبة لقصبة بجاية التي أسست في العهد الحمادي واستغلت خلال العهد الموحي والحفصي وأثناء الاحتلال الاسبان والوجود العثماني، إلا أن تطور المدفعية مع بداية القرن الخامس عشر أدى إلى تحول عميق في الهندسة المعمارية العسكرية بتعدد المعادل المتقدمة والخنادق وادخال الطين المدكوك بصورة كثيفة لمقاومة نيران الخصم.

## الخاتمة

مما تقدم يبدو جليا تأثير الدين الإسلامي في عمران وتنظيم المدينة الإسلامية في المغرب الأوسط، من خلال ما أمله من ضوابط حول تفاصيل التخطيط والقواعد الفنية، كما أن تأثير السلطة الحاكمة كان أساسيا إلى جانب تأثير البيئة الجغرافية والتقاليد الموروثة عن البيئة المحلية، واتبعت المدينة في المغرب الأوسط تخطيطا يكاد يكون واحدا كما يبدو من خلال تشابه، وتناسق وانسجام مكوناتها ظلت راسخة حتى فترة متأخرة في المساكن التقليدية ذات التقاليد الفنية المحلية الضاربة في القدم، والطابع العربي الإسلامي الذي انتقل مع الفتح الإسلامي، والذي يعكس كنه هويتنا الثقافية.

## القائمة الببليوغرافية المعتمدة

- ابن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، بيروت.
- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح وتعد محمد ناصر وإبراهيم نحاز، دار الغرب الإسلامي.
- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1983م
- أبي عبد الله محمد ابن حماد الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح. جلّول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م
- اسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- أسماء عمارة، عمارة القصور الأميرية بإفريقية في العصر الوسيط "قصر الصحن نموذجاً، دراسات في تاريخ الوطن العربي"، عد. 20،
- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، نشر. هنري بيراس، كلية الآداب بجامعة الجزائر 1957م
- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، ج. 1 تح. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م
- الجميل محمد بن فارس، بيوت النبي صلى الله عليه وسلم وحجراتها وصفة معيشتها فيها (بيت عائشة نمذجا)، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 2016
- الجوهري نصر اسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (مرتب ترتيباً ألف بائياً وفق أوائل أوائل الحروف، أرناس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2009
- الحريري مجري محمد عبد الرحمان ، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، تق: محمد سعيد حسن الفارسي، الشركة للتوزيع، مكة المكرمة، 1989م
- الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ/ 296م) ، دار القلم، الكويت، 1408هـ



- الطمار محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، سلسلة الدراسات الكبرى، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015م
- العمري حفصة، بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم ثاني إبداع في العمارة الإسلامية، هندسة الرافدين، 2010م
- الفراجي عدنان علي، غزوة الأحزاب (الخدق) أسبابها، طبيعتها، نتائجها، "دراسة وصفية تحليلية"، مجلة مجلة الدراسات التربوية والعلمية، كلية التربية، 2019
- الفروزآبادي مجد الدين، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1980م.
- الفيلاي عبد العزيز، قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/ 11م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 2006م
- القاضي محمد ، القلاع والقصبات في المغرب الإسلامي، رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى العالم العربي،
- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تح مجيد هلال السرحان، دار النهضة العربية، بيروت 1988
- الكيتائي محمد عبد الحي الإدريسي الحسني الفاسي، نظام الحكومة النبوية المسعى التراتيب الإدارية، تح. عبد الله الخالدي، دار الأرقم للطبع والنشر، بيروت 2003
- الموسوي مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الآرب في فنون الأدب، ج.24، تح. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1983م
- بن قرية صالح يوسف، بن قرية صالح يوسف ، علم الأثار والهوية المغربية، دار الهدى، عين مليلة الجزائر 2012م.

- بحاز ابراهيم، الدولة الرستمية 160-196هـ / 777-909، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، 1985 م
- بوروبة لطيفة، قلعة حلب الأثرية في ذاكرة التاريخ، جامعة الجزائر، معهد الآثار،- بوروية رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وآثارها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397 هـ/1977م،
- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر
- زكي، عبد الرحمن قلعة الجبل صلاح الدين، دار النيل للطباعة، 1950م
- سحاب عايد وسعي ، العناصر الأساسية في تخطيط المدن العربية الإسلامية، مجلة الآداب، بغداد،
- عبد العزيز الفيلاي قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ / 11م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، عد.7، 1427هـ / 2006م
- عبد الله محمد هبة وآخرون، الفناء وأهمية الوظيفة في العمائر الدينية والمدنية خلال العصر الإسلامي، المجلة الدولية للدراسات السياحية والضيافة، 2022م
- عرباوي مصطفى ،الخصائص العامة لتخطيط المدينة الإسلامية "مدينة فاس نموذجاً"، مجلة جيل العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة الحسن الثاني، المغرب
- عزب خالد محمد مصطفى، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية ، كتاب الأمة ، قطر، 1997م
- عليي محمد، فلسفة العمران الإسلامي في العصر الوسيط، مجلة العبر للدراسات التاريخية الأثرية، 2018م
- عولي محمد لخضر ، مئذنة قلعة حماد بين القيروان وقرطبة، التراث الأثري عمران، عمارة، فن وصناعة، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، عد.16، 2007م
- عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائري، مكتبة نبراس الصفا التاريخية، الإسكندرية، 1411هـ/1991م

- مطهري فطيمة ، مدينة تمهت الرستمية (دراسة تاريخية حضارية 2-3هـ / 8-9م)  
مذكرة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان، 2009 –  
2010م

- مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نش وتغ: سعد زغلول عبد  
الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985  
عبد الله كامل موسى، الآثار الإسلامية بالجزيرة العربية والمشرق والمغرب خلال  
العصرين النبوي والراشدي، مكتبة

-عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، دار المعارف، الكويت، 1988م  
-عقاب محمد الطيب ، التراث المعماري في مدينة سدراته التاريخية، حوليات المتحف  
الوطني للآثار، عد 11، مطبعة سومر بئر خادام الجزائر، 2002/1422م، ص.28-40  
-ياقوت الحموي معجم البلدان، ج. 3، بيروت 1990-1993،  
-يحيى الشامي، موسوعة المدن العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م

- Mehntel Djehida, L'habitat numide en Algerie l'exemple de cirta et Tiddis  
"DIE NUMIDER" 40 ans apres, bilan et perspectives des recerces sur les  
Numides, actes de colloque international,Tunis27-29 novembre 2019, P.379

- Golvin Lucien, Le Maghreb central à l'époque des Zirides, art et métiers  
graphiques, Paris,

1957

- Golvin Lucien,Recherches archéologiques à la qual'a des banu Hammad, G.  
P Maisonneuve

et larose, Paris,1965

## المنشآت الدينية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

د. مهدي طيبي

جامعة خميس مليانة

### مقدمة:

كانت ولا تزال المعالم الدينية من الأماكن المقدسة التي تحظى بالاهتمام ليس من طرف الحكام فحسب بل من طرف كافة المسلمين أيضا، لما لها من دور في المجتمعات الإسلامية فهي المركز الحيوي للمدينة وقلب وفكر مجتمعها من بينها المساجد. ومن خلال هذه الدراسة نريد توضيح بعض النقاط الأساسية التي تخص هاته المساجد بمدينة الجزائر في الفترة العثمانية بغض النظر عن المذهب التي تتبعه، أهمها وأماكن تواجدها بمدينة الجزائر، ودراسة إحصائية ووصفية وتعريفية لبعضها من خلال المصادر المعاصرة للفترة والوثائق الأرشيفية، ودورها والقائمين على تسييرها في الفترة العثمانية.

### 1- المساجد المالكية:

1-1 الجامع الأعظم: من خلال الكتابات التاريخية يرجح أن تأسيس الجامع الأعظم يعود الى القرن الخامس هجري 5/11م، تزامنا مع عهد

المرابطين<sup>(1)</sup> ، لكن هناك بعض الدراسات تشير أنه شيد قبل الوجود المرابطي حيث قام هؤلاء بترميمه وأعطوا له طابع العمارة المرابطية<sup>(2)</sup> ، ولا نملك تاريخ مضبوط لسنة إنشائه إلا ما وجد مكتوب على منبره الخشبي الذي يعود الى سنة 409هـ-1018م، وأيضا ما دون على جدرانه والتي تشير الى أن ابا تاشفين الزياني هو من أتم بناء منارة الجامع.<sup>(3)</sup>

ويعد منبر الجامع الأعظم من أقدم المنابر في العالم الإسلامي<sup>(4)</sup> ، وموقعه الممتاز ومساحته الكبيرة جلب بها أنظار الرحالة من بينهم المؤرخ المغربي حسن الوزان حيث قال "... ويشاهد من جملة بناءاتها - يقصد مدينة الجزائر-جامع ممتاز في غاية الكبر على شاطئ البحر أمامه ساحة جميلة

<sup>1</sup> (( نعيمة بوحمشوش ، الجامع الأعظم بمدينة الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي من خلال وثائق الأوقاف، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2013-2014، ص 29.  
-عبد الجليل التميمي، وثيقة على الأملاك المحسبة باسم الجزائر الأعظم بمدينة الجزائر، ع5، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1980، ص10.

<sup>2</sup> Samia Chergui, **les mosquées d'Alger, construire gérer et conserver XVI – XIX siècles**, Pups Maison de la recherche, université Paris Sorbonne, paris, 2011, p 27.

<sup>3</sup> ((. Albert Devoulx, **les édifices religieux de l'ancien Alger**, typographie bastide, Alger, 1870, p94.

-Henri Klein , **feuilles dél –djezair le comité du vieil Alger** ,V1, 1910 , p64  
-. Pierre boyer **la vie quotidienne à Alger a la vielle de l'intervention française**, éd hachette. Paris, 1963, p 77.

<sup>4</sup> نعيمة بوحمشوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 31.  
-عبد الرحمان الجيلالي، الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا، مجلة الأصالة، ع 8، 1972، ص 126-127

جدا اتخذت على سور المدينة ذاتها التي تتلاطم عند أسفله أمواج البحر....<sup>(1)</sup> كما وصفه التمرغوطي والذي قال " ...ثم دخلنا الجزائر يوم السبت الثامن ذي القعدة ليلة بقية من شهر غشت<sup>(2)</sup> وهي عامرة كثيرة الأسواق بعيدها، كثيرة الجند حصينة، ... وفيها المسجد الجامع واسع، أمامه مالكي المذهب...<sup>(3)</sup> ويمتد الجامع الأعظم من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ومن الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وقبلته بالجنوب الشرقي وهو قائم على شاطئ البحر<sup>(4)</sup>، أما واجهته الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية تحتوي على اجنحة أخرى تابعة للمسجد منها الجنينة وهي عبارة عن ساحة ومباني بسيطة يشغلها أعوان المسجد والمفتي، بالإضافة إلى مصلى ثانوي للصلاة على الأموات وأجنحة خاصة بالمؤذنين وموظفي المسجد وساحة كبيرة تحتوي على المراحيض وأماكن للوضوء، بالإضافة إلى بطارية فيها مدافع للدفاع على المسجد والمدينة<sup>(5)</sup>. وللجامع الأعظم تسعة أبواب، خمسة منها في الواجهة الشمالية الغربية وهي باب الجنينة وباب البواقل والثالث بناه الفرنسيون ويعرف الباب الرابع بالفوارة والخامس بباب الصومعة، وهذان البابان ينفتحان على رواق البحرية، والواجهة الشرقية وجد بها بابان واحدة تسمى بباب الجنائز وباب

---

<sup>1</sup> الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي، وصف إفريقيا، محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، ج2، بيروت، 1983، ص37.

<sup>2</sup> المواقف بالميلادي يوم السبت 8 سبتمبر 1590م.

<sup>3</sup> علي بن محمد التمكروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تق تح عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002، ص 128-129.

<sup>4</sup> نعيمة بوحمشوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 31.

<sup>5</sup> () Albert Devoulx, les édifices, op.cit., p96-97.

الطحطاحة وهذان البابان ينفتحان على ساحة المدافع<sup>(1)</sup> ، وخصوصية الجامع الأعظم عن بقية المساجد الأخرى أنه يحتوي على اثنين وسبعون عمودا، مكونا من الحجارة والاجر المملوء مغطاة بطبقة من الجبس والجير وينفصل كل عمود عن الآخر بثلاثة فاصل أربعة 3,4 مترا ، وقد تعرض الجامع الأعظم لعدة أضرار جراء تعرض مدينة الجزائر للقصف من قبل السفن الأوروبية، وهذا لقربه من البحر من بينها الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1683م<sup>(2)</sup> ، وقد رمم عدة مرات جراء هذه الهجومات الأجنبية.

### 1-1-1 كيفية تسيير وإدارة مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم:

تأتي مؤسسة الجامع الأعظم في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد مؤسسة الحرمين الشريفين<sup>(3)</sup> ، وهذا يعود للدور الذي كان يلعبه هذا

---

<sup>1</sup>((Albert Devoulx, les édifices ibidem, p97.

- Albert Devoulx, *El Djair histoire d'une cité dicosium à Alger*, Edition critique présentée par Bedredine belkadi et Mustapha Ben hamouche, éd Enag, p49-50.

<sup>2</sup>عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية ومؤسساتها، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007، ص 279-280.

-البير دوفولكس، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، تترج تع مصطفى احمد بن حموش وبدر الدين بالقاضي، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2004، ص 38.

Albert Devoulx, les édifices. Op.cit., p105-

<sup>3</sup>ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17 حتى القرن 19، مجموعة دراسات أكاديمية وبحوث علمية، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 68.

الجامع في الحياة الثقافية والدينية بسبب كثرة عدد المالكية في الجزائر<sup>(1)</sup> ، ويعود أول إسهام في الوقف لصالح الجامع الأعظم في النصف الأول من القرن السادس عشر في سنة 947هـ/1540م-1541م<sup>(2)</sup> ، وكانت مداخيل هذه المؤسسة كبيرة وتوفر مدخولا سنويا قدر سنة 1837م بألف ومائتين فرنك<sup>(3)</sup> (1200) ، وقد بلغت عدد أوقاف مؤسسة الجامع الأعظم بخمسة مائة وخمسين وقفا، والتي شملت مختلف العقارات بمدينة الجزائر وفحوصها<sup>(4)</sup> . ويستفاد من مردود أوقاف الجامع الأعظم في صيانة المسجد والعقارات التابعة له وشراء ما يحتاجه من حصائر وزيوت للإنارة وبعض الخدمات الضرورية له، وإن فائض مردود أوقافه يعتبر هاما رغم هذه المصاريف والنفقات حيث تم إنشاء زاوية ملحقة بالجامع الأعظم سنة 1039هـ/1629م-1630م، تتألف من طابقين من الغرف لإيواء المدرسين والطلبة وأماكن للقائمين على الزاوية بالإضافة الى دورات المياه وأماكن للوضوء.<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر، نفسه، ص 68.

<sup>2</sup> غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 280-281.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 269.

- ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية العقارية، مرجع سابق، ص 90.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر، مرجع سابق، ص 68.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، مرجع سابق، ص 289. وانظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 90.



كان يتولى إدارة وتسيير مؤسسة الجامع الأعظم مجموعة من الموظفين يتصدرهم المفتي المالكي والذي كان في نفس الوقت إمام وخطيب في صلاة الجمعة والعيدين، بالإضافة إلى مساعدين للمفتي<sup>(1)</sup>، كما تولى ثلاثة وكلاء تسيير هذه المؤسسة بإشراف المفتي المالكي، واحد مكلف بتسيير أوقاف المسجد والمراقبة العامة لهذه الوقفيات ويسمى بالوكيل الرئيسي، والثاني يشرف على أوقاف المؤذنين والثالث يشرف على أوقاف الحزابين، وكل وكيل يمارس المهام الموكلة إليه باستقلالية تامة عن بقية الوكلاء، وقد فاق عدد الموظفون بمؤسسة الجامع الأعظم عن ستين موظف<sup>(2)</sup>، منهم إمامين وتسعة عشر مدرسا وثمانية عشر مؤذنا وثمانية حزابين وإحدى عشر قريما مكلفين بإنارة وصيانة وتنظيف المسجد<sup>(3)</sup>

## 2-1-1 دوره:

لقد كان للجامع الأعظم دورا مهما في الجانب الاجتماعي والديني والتعليمي والقضائي والسياسي، وكونه من أقدم المساجد بمدينة الجزائر فإنه احتل مكانة مهمة جدا مقارنة بالمساجد الأخرى. فالدور الديني

---

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ط1، ج1، دار البصائر، 2007م، ص 31.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر، مرجع سابق، ص 68.

<sup>3</sup> (Albert Devoulx, *les édifices*, op.cit., p122)

-ومن خلال بعض الدراسات استنتجنا أن فيه اختلاف في عدد موظفو الجامع الأعظم بين ألبر دوفو في كتابه المؤسسات الدينية والاستاذة بوحمشوش في كتاب الدولة الجزائرية الحديثة ورسالة الدكتوراه وكتابات الأستاذ ناصر الدين سعيدوني والأستاذ عبد الرحمان الجيلالي في مقاله حول الجامع الأعظم في مجلة الأصالة

والتعليمي للجامع الأعظم وزاويته هو الإشراف على نشر وتنشيط الوعي الديني والمحافظة عليه، وايضا التركيز على تلقين مبادئ الكتابة والقراءة ومعرفة العلوم الإسلامية كالنحو والصرف والبيان والحساب والأصول والفقه، وبالجامع الأعظم مكتبة زاخرة بالكتب والمخطوطات، والتي ساهمت بتدعيم الجانب التعليمي بتكوين الطلاب والمدرسين<sup>(1)</sup>، وكان هذا التكوين على يد مجموعة من العلماء والمدرسين منهم محمد بن الشاهد والذي كان حزايا في نفس الوقت بالجامع الأعظم<sup>(2)</sup>، ومن علماء الجامع الأعظم نجد محمد الزروق بن عمار الأندلسي الذي تولى الفتوى المالكية في الربع الاول من القرن السابع عشر وعزل من منصبه، ورغم ذلك فإنه بقي يسعى لخدمة الجامع الأعظم بإصلاح ما يتهدم منه بعد الحملات التي كانت تستهدف مدينة الجزائر<sup>(3)</sup>، كما تولت أسرة ابن عمار الأندلسية الفتوى لعدة سنوات الى غاية النصف الثاني من القرن 18<sup>(4)</sup>، وقد برزت أيضا عائلة قدورة في مجال الإفتاء المالكي وأبرزهم سعيد بن الحاج قدورة سنة 1618م<sup>(5)</sup>، والذي تناوب مع أحمد ابن عمار الأندلسي الفتوى المالكية

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأملاك المحبسة، مرجع سابق، ص. 157

-عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأملاك المحبسة، نفسه، ص ص 10-13

<sup>2</sup> نعيمة بوحمشوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 100.

<sup>3</sup> بن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها تج فارس كعوان، دارالحكمة، الجزائر، ص 96.

<sup>4</sup> نعيمة بوحمشوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 101.

<sup>5</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج 1، مرجع سابق، ص 357.

بالمسجد حتى وفاة هذا الأخير<sup>(1)</sup>، كما تولت عائلة النيقرو<sup>(2)</sup> الأندلسية الإفتاء بالجامع الأعظم، منهم محمد بن ابراهيم<sup>(3)</sup> بن أحمد بن موسى النيقرو بين سنتي 1738م و1740م<sup>(4)</sup>، وفي نفس الوقت كان مدرسا في جامع ميزومورطو<sup>(5)</sup>، وفي بعض الأحيان إماما بجامع القشاش، وايضا راويا

<sup>1</sup> نعيمة بوحمشوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 101.

<sup>2</sup> تارة ترد في الكتابات بالنيقرو وتارة أخرى بالنيكرو لكن اللقب المتداول في العقود بالنيقرو وهي من العائلات الأندلسية المنتقدة في العهد العثماني انظر ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج1، مرجع سابق، ص240.

<sup>3</sup> الوالد ابراهيم بن النيقرو كان إماما بمسجد ستي مريم سنة 1092هـ-1681م انظر: 62AOM 1MI B30 Z

-Albert Devoulx, *édifices religieux*, op.cit., p54.

-وفي وثيقة مؤرخة في شهر صفر 1098هـ/ 1686م ورد اسم ابراهيم النيقرو كإمام ايضا لمسجد ستي مريم ونص الوثيقة كالتالي " بمسجد ستي مريومة الذي يقوم فيه الان الفقيه الأجل السيد ابراهيم بن النيقرو"، ويشير العقد أيضا الى حضوره مع ابنه محمد في أحد جلسات المجلس العلمي للنظر في نزاع كان بين المفتي الحنفي احمد النيارو والمالكي احمد قدورة انظر:

ا وج م ش ع 55 و 40

- ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي، سبق ذكره، ص 102،

- فوزية لزغم، البيوتات والاسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 925-1246هـ/ 1520-1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014م، ص97.

<sup>4</sup> ورد ذكر محمد بن ابراهيم النيقرو مرة واحدة في الوثائق انظر: ا وج م ش ع 135/134 و 52

- فوزية لزغم، البيوتات والاسر العلمية، مرجع سابق، ص 97.

<sup>5</sup> هو مسجد الذي بني من طرف الداوي حسين ميزومورطو سنة 1685م، وأصبح ملحق لمستشفى عسكري وفي سنة 1836م تحول الى ملكية إدارة المدينة ثم هدم بعد ذلك انظر:

راويا للحديث بزواية الأندلس في شهر رجب ورمضان، وكان ابنه احمد ومحمد فالأول إماما بمسجد ستي مريم <sup>(1)</sup> ويسرد الحديث بزواية الأندلس <sup>(1)</sup>، والثاني مدرسا مكان ابيه بجامع حسين ميزومورطو. <sup>(2)</sup>

---

- مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، تر، تح، تع، مصطفى احمد بن حموش، دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 88-89.

<sup>1</sup> بالإضافة الى هذا الاسم أطلق عليه بعد ذلك اسم مسجد بن النيقرو نسبة الى عائلة ابن النيقرو الأندلسية، ويقع في شارع باب الوادي، وقد سمي هذا المسجد من طرف امرأة صالحة تدعى ستي مريم وأصبحت بعد ذلك مالكة لهذا المسجد، وهذه المعلومات تحصل عليها محافظ الأرشيف الباحث دوفوا من آخر وكيل لمسجد ستي مريم وهو السيد مصطفى بن النيقرو، بشهادة إسلافه وهذه السيدة أندلسية الأصل، كانت تملك ثروة طائلة وخصصت نسبة منها لبناء أو إعادة بناء هذا المسجد وعينت أحد من افراد العائلة ليكون المشرف على المسجد، واشترطت ان تكون الوكالة بعدها لأحفاده.

ويصنف هذا المسجد في المرتبة الثانية، صغير الحجم دون مئذنة، وكانت عائلة بن النيقرو تقوم بإدارة شؤونه ما يقرب قرنين من الزمن ويرجح البير دوفوا ان بناء هذا المسجد واتخاذ له هذا الاسم بعد سنة 1092هـ/1681م بناء على عقد وقف مؤرخ في النصف من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، والذي ورد فيه اسم المسجد وأشار العقد الى موقعه بالقرب من باب الوادي<sup>1</sup>، ومن خلال عقد آخر موثق بالمحكمة الحنفية بمدينة الجزائر في بداية شهر رجب من سنة 1070هـ/1660م والخاص بنفس المسجد ويشير الى وجوده لكن قبل ترميمه من طرف هذه السيدة ولم يكن يسمى كذلك، وهذا التاريخ الذي أخذ به بعض المؤرخين كتاريخ لبناء هذا المسجد. وكان للمسجد ملحقات تابعة له منها مدرسة تعلو حانوتين بالقرب منه، واتخذت الاسمين مدرسة ستي مريم والنيقرو على طريق باب الوادي، وكان المكان يدعى بسويقة باب الوادي بالقرب من دار النحاس، ويضم هذا المركب احباسا تتكون من ثلاثة من الدور وأربعة عشر حانوتا، وقد قدرت مداخيل هذه الأحباس سنة 1834م بمبلغ 1261

وكان الجامع الأعظم مقصدا من جانب العلماء المغاربة للتواصل العلمي مع اهل العلم الذين يدرسون فيه<sup>(3)</sup> والأمر كذلك بالنسبة للعلماء التونسيين<sup>(4)</sup> كما كان مقر إحياء المناسبات الدينية قليلة القدر، وأيضا

---

فرنك بعد تهدم ثمانية مباني محبسة عليه، وقاعة الصلاة تملك باين واحدة مخرجها على شارع باب الوادي والأخرى على شارع سيدي فرج، وتحول هذا المسجد في الفترة الأولى من الاحتلال الفرنسي الى إدارة عسكرية، وفي سنة 1837<sup>0</sup> قامت إدارة الجسور والطرق بهدم جزء من مسجد النيقرو والسبب أنه كان يحتل مساحة مهمة من ممر الشارع الرئيسي، أما الجزء المتبقي منه والمقرب 58,89 م<sup>2</sup> فقد تم مصادرتة وبناءه دار كانت تحمل رقم اربعين على شارع باب الوادي ورقم اثنان على شارع سيدي فرج حيث تقع بابها انظر:

() Albert Devoulx, **Les édifices**, op.cit., P 53-54 -55 -.

-Albret Devoulx, **Les édifices**, in. R.A.N°10, 1866, P286.

-مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 25-26.  
-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1854م، ج 5، مرجع سابق، ص 18.

-ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954م، ج 3، مرجع سابق، ص38.

<sup>1</sup> ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي، مصدر سابق، ص 112.

- فوزية لزغم ، البيوتات والاسر العلمية ، مرجع سابق، ص98-97.

<sup>2</sup> نعيمة بوحمشوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص 102 .

-ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي، مصدر سابق، ص 112.

<sup>3</sup> ابن زاكور الفاسي المتوفي (1120هـ/1708م) رحلة ابن زاكور المسماة نشر ازاھر البستان فيمن اجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء اكابر الاعيان، الناشر المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص ص 45-76.

<sup>4</sup> أمينة سليمة صاري، طبقات فقهاء المالكية من خلال مخطوط الجامع الكبير للشيوخ عبد الرحمان الثعالبي ت 875هـ/1470م دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل شهادة

ذكر ابن حمادوش أنه بالجامع الأعظم يتم قراءة وسرد صحيح البخاري ، كما ان للجامع الأعظم أيضا دور اجتماعي ايضا ، حيث كان مقر إيواء وإطعام فقراء الأندلس الوافدين إلى الجزائر قبل وبعد الحكم العثماني، والتي تزامنت مع الفترات الأولى بعد سقوط الأندلس وهذا يتضح من خلال الاحباس المشتركة بين الجامع الأعظم والأندلسيين <sup>(1)</sup> ، كما كان مقر انعقاد جلسات المجلس العلمي وهي أعلى هيئة قضائية في الجزائر، حيث يقوم هذا المجلس بالفصل في المنازعات والخلافات والنوازل الفقهية <sup>(2)</sup> التي عجزت عن حلها المحكمتين الحنفية والمالكية، وحسب الباحث مصطفى بن حموش فإن هذا المجلس يضم مفتيان وقاضيان الحنفي والمالكي، وكانت الريادة للمفتي الحنفي باعتباره مذهب السلطة <sup>(3)</sup>

---

الماجيستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2010/2011، ص 60.

<sup>1</sup> وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18 الى منتصف القرن 19، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة 1، السنة الجامعية 2016/2017، ص 66.

- مصطفى احمد بن حموش، السلطة والمدينة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر للطباعة والتوزيع، ط1، دبي 1999، ص 120.

<sup>2</sup> وافية نفطي، الوقف، مرجع سابق، ص 66.

<sup>3</sup> ( Pierre Boyer, "contribution à l'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger XVI – XIX siècles", R.O M M, N 1, Aix en Provence, 1966, P 27.

- مصطفى احمد بن حموش، السلطة والمدينة، مرجع سابق، ص 89.

ويحضر جلسات المجلس ملحق عسكري برتبة يياباشي<sup>(1)</sup>، وهذا لتمثيل السلطة واضفاء الهيئة على المجلس أمام أفراد المجتمع<sup>(2)</sup>، بالإضافة الى أعضاء آخرين ملحقين بالمجلس يتراوح عددهم من إثنين الى ستة أعضاء وفي بعض الأحيان أكثر، وهم يتغيرون من جلسة الى أخرى وهذا حسب القضية المطروحة ويعتبرون أهل خبرة وليس قانونيين<sup>(3)</sup>، ومن القضايا المعالجة في جلسات المجلس العلمي تلك المتعلقة بالوقف منها خصومات حول ملكية الحبس وإصلاح العقارات المحبسة وأيضا الرجوع في الحبس وأيضا بعض القضايا حول البيع والإرث... إلخ<sup>(4)</sup>. ويكمن الدور السياسي للجامع الأعظم في كونه كان يشكل منبرا سياسيا معارضا في أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهذا ما انعكس مباشرة على الأهالي، والأستاذ عبد الجليل التميمي يوضح مدى الغليان الذي حدث في

---

<sup>1</sup> الياباشية فرقة عسكرية تضم أقدم ضباط المدفعية أو البلوكباشية، وهي لفظة عثمانية مركبة من يايا نقصد به راجل أو جندي مشاة وباشي قائد أو امر وهم مستشارو الديوان وكانوا يرافقون الداي في الحفلات العمومية ويساعدون الاغا في حل الأمور المعقدة انظر: غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 80.

- امين محرز، اوجاق الإنكشارية بإيالة الجزائر في عهد الدايات (1671-1830م) دوره وتنظيمه من خلال الوثائق العثمانية: دفتر المواجهات، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، ج2، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2019/2020، ص428.

<sup>2</sup> مصطفى احمد بن حموش، السلطة والمدينة، مرجع سابق، ص19.

<sup>3</sup> مصطفى احمد بن حموش، السلطة والمدينة نفسه، ص 92.

<sup>4</sup> نعيمة بوحمشوش، الجامع الأعظم، مرجع سابق، ص ص 53-70.

-Mustapha Ben Hamouche, « hanafisme malikisme et gestion urbaine cas d'Alger à l'époque ottomane », RHM. N 93/94, Tunis, 1999, PP 103/104.

أواخر فترة حكم الداوي حسين وكان ذلك بسبب إقالة المفتين والقضاة منهم المفتي المالكي بالجامع الأعظم مصطفى ابن الكبابطي بعد ان اتهم من طرف الجنرال بوجو<sup>(1)</sup> بتحريض الجزائريين على مقاومة الاحتلال الفرنسي، مما أدى الى نفيه الى فرنسا.<sup>(2)</sup>

2-1 مساجد أخرى: لقد سجلنا مجموعة هامة من المساجد المالكية هي الأخرى استفادت ونالت حظها من الوقف الأندلسي، ومن بين هذه المساجد نذكر:

2-1-1 جامع سيدي رمضان: يعتبر مسجد سيدي رمضان من المساجد المهمة من حيث موقعه وتاريخه فهو يقع في القصبة القديمة أي في الأحياء العليا للقصبة، وقد حافظ على اسم تواجدده في البدايات الأولى للعهد العثماني وهذا من خلال أول عقد تحصل عليه دوفوا (Devoulx)<sup>(3)</sup> والذي

---

<sup>1</sup> بوجو هو سياسي وكاتب وضابط وعسكري فرنسي المعروف بالدوق دي زلي، ولد في 15 أكتوبر سنة 1784م، ترقى الى رتبة ماريشال فرنسا سنة 1843م، تولى الحكم في الجزائر في ديسمبر 1840 م، وتوفي بداء الكوليرا سنة 1849م انظر بسام العسلي، الماريشال بيجو 1784 م / 1849م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1983م.

<sup>2</sup> عبد الجليل التميمي، وثيقة أملاك، مرجع سابق، ص 12.

-J-F Aumerat, **le bureau de bienfaisance musulman**, typographie Adolphe Jourdan, 1900, P 12

<sup>3</sup> البر دوفوا هو محافظ الأرشيف الوطني عينته السلطات الفرنسية بعد احتلالها للجزائر وقام بمسح كامل للوثائق العثمانية وتنظيمها والبحث فيها ويعتبر اول مهندس ارشيفي للرصيد العثماني بداية الاحتلال وللتعرف على حياته انظر:



يعود تاريخه الى سنة 959هـ/ (1551-1552م)<sup>(1)</sup> ، وربما تاريخه يعود الى ما قبل وصول العثمانيين لعدم وجود أي إشارة به تدل عن تاريخ تأسيسه، بالإضافة الى طابعه العمراني الذي يتشابه مع العمارة الاسلامية) المرابطية). وبالنسبة لطريقة بناءه فهو مشترك في الهندسة مع مجموعة من المساجد منها الجامع الأعظم ومسجد القشاش فتتشابه في السقوف القرميدية الحمراء والتي تنقسم إلى تسعة مسطحات في جانبيين متقابلين وبه ثمانية عشر عمودا من الحجارة تبعد عن بعضها بحوالي ثلاثة أمتار، وفي واجهته يوجد باب ليست صغيرة وغرفة مخصصة للخطيب وبها عين ماء ومكان للوضوء وغرفة تخص ضريح الولي سيدي رمضان<sup>(2)</sup> ، وللمسجد أشخاص قائمين عليه من بينهم وكيل وإمام يقوم بإلقاء خطبة الجمعة ومؤذنين لسائر أيام الأسبوع وثلاثة مؤذنين لصلاة الجمعة وستة حزاين وخمسة قراء لكتاب تنبيه الانام وصحيح البخاري، وآخر لقراءة كتاب التوحيد وعدد من القراء خلال شهر رمضان وقارئ آخر لكتاب الولي الصالح سيدي عبد الرحمان<sup>(3)</sup> . وقد تولى الأندلسيون الإمامة بمسجد سيدي رمضان، حيث ذكرت العقود أن المكرم الفقيه أحمد بن المرحوم الفقيه منصور الأندلسي تولى منصب الإمامة بهذا المسجد إلى ما قبل 986هـ /1576م<sup>(4)</sup> .

---

- Alain Messaoudi **les arabisant et la France coloniale savants conseillers médiateurs (1780-1930)**, lyon, ENS édition ,2015 : » Devoulx joseph Marie Albert (Marseille 1826, Alger 1876

<sup>1</sup> مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 121.

<sup>2</sup> بن حموش، نفسه، ص ص 121-122.

<sup>3</sup> () Albert Devoulx, **Les édifices**, op.cit., PP 226- 228.

<sup>4</sup> AOM 1Mi B16 Z33.

كما نجد هيئة قائمة على نظافته وصيانتها تتمثل في مسؤول على مجموعة من الموظفين، وكناس وشغال ومنظف للمراحيض، كما كان للمسجد أحباس يصل عددها إلى خمسين عقار، تصرف واردتها على مختلف احتياجات المسجد.<sup>(1)</sup>

2-1-2- جامع سيدي عبد الرحمان الثعالبي: اعتبر الباحث دوفوا أن مسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي من بين المساجد الأقل أهمية، وهذا نسبة إلى مساحته حيث يعتبر أصغر المساجد ولا تتجاوز مساحته 36م<sup>(2)</sup>، وأقدم وثيقة تخص هذا المسجد تعود الى سنة 978هـ (1570-1571م)<sup>(3)</sup>، ولا تذكر العقود علاقة الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالمسجد هل هو المؤسس له أم كان إماما به؟ وحسب دوفوا فإنه سمي كذلك نسبة لدار قديمة هدمت بفترة قريبة للتاريخ المذكور سابقا وهي مجاورة للمسجد ويقال أنها مكان إقامة الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي.<sup>(4)</sup> أما القائمين على إدارة هذا المسجد فعددهم أربعة منهم وكيل وإمام الذي كان في نفس الوقت مؤذن بالمسجد وحزابين اثنين، وآخر وكيل لهذا المسجد كان السيد الحاج حسين بن كراوش والذي احتفظت عائلته بهذه الوظيفة من بعده مدة قرنين الى ثلاثة من الزمن<sup>(5)</sup>، مع العلم ان مهام

<sup>1</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 122.

<sup>2</sup> Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P128.

<sup>3</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 55.

<sup>4</sup> Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P 128.

<sup>5</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مرجع سابق، ص 32.

55 مرجع سابق، ص مصطفى احمد بن حموش مساجد مدينة الجزائر -

وكيل هذا المسجد لم تكن كبيرة بحكم أن عوائد أوقافه كانت قليلة<sup>(1)</sup> ، وقد احتل هذا المسجد مساحة من شارع شارترتحت رقم ستة وستون، ثم رقم سبعة وهدم سنة 1859م وأقيم في موقعه حديقة عامة تابعة لمقر السكرتير العام للحكومة الفرنسية.<sup>(2)</sup>

1-2-3-مسجد سيدي الهدي : بني مسجد سيدي الهدي على يد مامي رايس<sup>(3)</sup> ويعتقد دوفوا بتحفظ كبير أن تاريخ بناء المسجد يعود الى سنة 910هـ/1505م استنادا الى جمعه عددا من الأحرف المكتوبة على لوحة بهذا المسجد<sup>(4)</sup> ، وبعد فترة أصبح هذا المسجد يدعى مسجد حزب الله وهو نسبة إلى فقيه يدعى سيدي محمد بن حزب الله<sup>(5)</sup> وكان أيضا من الحزابين في هذا المسجد<sup>(6)</sup> ، وفي عام 1648م/1649م حدد موقعه بالقرب من سويقة عمور ثم بعدها في حومة تبرغوثين بالقرب من سوق الكتان، وسي سيدي الهدي نسبة إلى الوكيل الذي كان يدير شؤونه<sup>(7)</sup> وفي نفس الوقت هو أحد

---

-Albert devoulx, **Les édifices**, op.cit. p128

<sup>1</sup> Albert devoulx, **Les édifices**, Ibidem, p128

<sup>2</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص55.

<sup>3</sup> مامي رايس هو شخصية لم نعرف عنها الكثير سوى تشابه في الأسماء مع بعض الرياس عاشوا في نهاية القرن 15م

<sup>4</sup> Albert Devoulx, **Les édifices**, op.cit., pp 220-222.

- البيرد فولكس، خطط مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 48.

<sup>5</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص115.

<sup>6</sup> AOM 1Mi B05 Z10، م ش ع 10 و39

ا. و ج.

<sup>7</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص115.

الشيخو العلماء القاطنين بحومة تبرغوثين<sup>(1)</sup>، وحافظ على هذه التسمية لفترة طويلة من الزمن حيث في القرن 18م كان اسم سيدي الهدي معروفا في الأوساط العلمية<sup>(2)</sup>، وفي سنة 1830م احتل المسجد رقم سبعة من شارع لالير، واستعمل كمقر إداري عسكري ثم أصبح مدرسة أهلية فرنسية عربية مشتركة، ثم هدم سنة 1855<sup>(3)</sup> بعد فتح السلطات الفرنسية لشبكة الطرقات الجديدة وسمى مكانه شارع نابوليون.<sup>(4)</sup>

-2-1- 4مسجد البطحا : ويسمى هذا المسجد نسبة إلى الحي الذي يتواجد فيه وهو البطحا<sup>(5)</sup>، ويسمى أيضا بمسجد ساباط الحوت نسبة إلى سوق الحواتين القريب منه<sup>(6)</sup>، ونسب إلى هذا الاسم بسبب وجود رسومات للسّمك والحوت بداخله<sup>(7)</sup>، وسمي أيضا بمسجد أبركان، وهو من بين المساجد التي لا تحمل مئذنة وله مدرسة ملحقة به<sup>(8)</sup>، وأخذ المسجد رقم ثمانين من شارع القناصل بعد الاحتلال وحول في البداية إلى مخزن الزرع<sup>(9)</sup>، ثم تحول ما بين 1838-1845م إلى ثكنة عسكرية<sup>(1)</sup>، ثم صودر

---

<sup>1</sup> Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P 223.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق ص 51.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1900م، ج3، مرجع سابق، ص40.

<sup>4</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص115

<sup>5</sup> Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P76.

<sup>6</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص24.

<sup>7</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص41.

<sup>8</sup> Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P76.

<sup>9</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص41.

بسبب قدمه وأصبح أَيْلا للسقوط سنة 1854م، ثم تهدمت حيطانه الداخلية وأصبحت واجهته في السنة الأولى للاحتلال مخزنا موقعه في شارع القناصل.<sup>(2)</sup>

- 1-2-5 مسجد عبد الرحيم : أسس مسجد عبد الرحيم من طرف اندلسي يدعى مصطفى بن محمد الأندلسي المدعو ابن كرمونة<sup>(3)</sup> وهذا من خلال عقد يعود تاريخه إلى أواخر ربيع الأول من سنة 1089هـ/1678م<sup>(4)</sup>، وذكر على أنه بني حديثا حيث ورد ذلك في العقد بعبارة "..... المحدث بناءه أعلى الحمامات بالقرب من ضريح سيدي محمد الشريف....."<sup>(5)</sup> وهذا تزامنا مع تاريخ الوثيقة، وتبلغ مساحته 47,50 م<sup>2</sup>، وفي سنة 1830م حدد موقعه عند تقاطع شارع دامفروفييل وشارع ابديرام<sup>(6)</sup>، وسمي أيضا بمسجد

---

<sup>1)</sup>J-F Aumerat, **la propriété urbaine à Alger**, RA, 1898, P 183.

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق ص24.

<sup>2</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص41.

-Albert Devoulx, **Les édifices**, op.cit., P76.

<sup>3</sup> وقد ذكره دوفوا بابن كرونية.

-Albert Devoulx, **Les édifices**, ibidem., P246.

<sup>4</sup> AOM 1Mi B45 Z99 ()

AOM 1Mi B70 -

-بناءه تزامن مع ولاية الداوي الحاج محمد التريكي 1671-1681م انظر محمد حاج سعيد، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها دورها وعماراتها، مذكرة نيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية جامعة الجزائر1، 2014/2015، ص97.

<sup>5</sup> Albert Devoulx, **Les édifices**, op.cit., P246.

<sup>6</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص137.

الحمامات نسبة إلى وجوده أعلى حمامين عند باب الجديد<sup>(1)</sup>، وتسميته لمسجد عبد الرحيم يعود إلى أحد الوكلاء الذي كان يقوم بإدارته<sup>(2)</sup>، وجدد هذا المسجد سنة 1840/1839م من طرف علي بن محمد النجار شاوش سيدي محمد الشريف<sup>(3)</sup>، وقد هدم في شهر نوفمبر 1850م لأنه كان على وشك السقوط ووقع جزء منه أرضا في الطريق العام والجزء الباقي فقد دخل في أرض تابعة لدار بشارع دامفروفييل<sup>(4)</sup>.

وذكر ادريان بربروجر (Berbrugger) أن هذا المسجد هو نفسه مسجد وضريح سيدي محمد الشريف، فظنه هذا ظهر بعد تهديم المسجد سنة 1850م، وإطلاع على اللوحة التذكارية ووجد عليها اسم سيدي محمد الشريف، فاعتقد أنه نفس المسجد<sup>(5)</sup>، ويصنف من مساجد الأحياء

---

<sup>1</sup> Gabriel Colin, *Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie*, éd Ernest Leroux Paris, 1901, P281.,

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص63.

<sup>3</sup> سعيد بوزينة، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التأسيسية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة تاريخية معمارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، جامعة الجزائر 2، 2009-2010، ص 44.

<sup>4</sup> Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P246.

-مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 137.

<sup>5</sup> Adrien berbrugger, *bibliothèque-musée d'Alger, Livret explicatif des collections diverses de ces deux établissements*, Imprimerie Bastide, Alger, 1860 1861, P139.

الأحياء لصغر حجمه<sup>(1)</sup> . وعلى غرار المساجد هناك ضريح و زاوية الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، حيث يعتبر من أهم الأضرحة بمدينة الجزائر والتي أصبحت تعرف باسمه "مدينة سيدي عبد الرحمان" نسبة الى الشيخ العالم سيدي عبد الرحمان بن عمر بن مخلوف الثعالبي<sup>(2)</sup> ، من مواليد مدينة يسرفي الجنوب الشرقي لمدينة الجزائر يعود أصله الى قبيلة الثعالبة<sup>(3)</sup> ، وبعد مدينة الجزائر خرج الى المشرق لطلب العلم في بداية القرن التاسع هجري فمر بمدينة بجاية واحتك بعلمائها و فقهاءها منهم الفقيه عبد الرحمان الوغليسي<sup>(4)</sup> .

وفي سنة 1406م سافر الى تونس وكان له لقاء مع مجموعة من العلماء منهم عيسى الغبريني والأبي، والبرزلي، ثم واصل رحلته الى القاهرة فلقى

---

<sup>1</sup> Albert Devoulx, *épigraphie indigène du musée archéologique d'Alger suivie d'un musée mural à Alger*, Typographie et lithographie à Jourdan, Alger 1874, P70-71.

<sup>2</sup> يعود نسبه الى جعفر بن ابو طالب وهو ابوزيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف بن طلحة بن عمر بن نوفل بن عامر بن منصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن مفصل بن عبد البر بن قيس بن هلال بن عامر بن حسان بن محمد بن جعفر بن أبي طالب انظر:

-Gorguou « **Bouras historien inédit de l'Afrique septentrionale** », R.A, V5, 1861, p 121.

<sup>3</sup> قبيلة الثعالبة حكمت متيجة الى نهاية القرن الثامن هجري الذي شهد فيه ملاحقة السلطان ابو حمو الثاني أحد حكام الدولة الزيانية لهم وقضي عليهم انظر محمد بن أحمد أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج 1، مصدر سابق، ص 71-70.

<sup>4</sup> Gorguou « **Bouras** », R.A, op.cit., p122.

الشيخ ولي الدين العراقي وأخذ منه في علوم الشريعة، وعند ادائه لفريضة الحج كان له لقاء مع علماء آخرين في الحجاز، ثم عاد الى تونس من جديد وكانت له فرصة الاحتكاك بالشيخ أبي عبد الله محمد بن مرزوق والذي اخذ منه بالمجلس الذي يتراوح عدده من إثنين الى ستة أعضاء وفي بعض الأحيان أكثر، وهم يتغيرون من فترة الى أخرى إجازة لتعلم مختلف فنون المعرفة.<sup>(1)</sup> وتوفي الشيخ عبد الرحمان الثعالبي سنة 875هـ/1470م<sup>(2)</sup>، وقد ترك ما يزيد عن تسعين مؤلفاً<sup>(3)</sup>، ودفن بمقبرة الطلبة بمدينة الجزائر<sup>(4)</sup>، وقد نصبت زاوية سيدي عبد الرحمان في سنة 1108هـ/1696م بأمر من الداي الحاج أحمد المصلى (العلج) خارج باب الوادي، حيث كانت ملجأ علميا ثقافيا ومحط رجال العلم، وتشمل مسجدا صغيرا له منارة مربعة الشكل، وله قبة كبيرة وبداخلها قبر الشيخ عبد الرحمان الثعالبي مجموعة من المقابر لشخصيات منها الداي عمر باشا والداي مصطفى باشا، بالإضافة الى بيوت ومنازل خاصة بالوكيل وبقية مستخدمي الضريح، بالإضافة الى بيت وإلى مرافق أخرى كأماكن لاستقبال المحتاجين والأهالي

---

<sup>1</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 150-151.

<sup>2</sup> جمال بوحجو، الذهب الابريز في تفسير واعراب بعض أي الكتاب العزيز للإمام أبي زيد عبد الرحمان الثعالبي ت 875 دراسة وتحقيق من سورة يونس الى سورة القصص، مذكرة لنيل شهادة درجة الماجستير في العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر، 1، 2016-2017، ص 22.

<sup>3</sup> جمال بوحجو، الذهب الابريز، نفسه، ص 23.

<sup>4</sup> زايدي كريم " الإمام الثعالبي ومنهجه في تعامله مع القراءات في تفسيره الجواهر الحسن"، -نماذج منتخبة -مجلة البحوث والدراسات، ع 1، مج 15، جامعة حمة لخضر الوادي، 2018، ص 21.



وعابري السبيل ومقبرة في الخارج تابعة للزاوية وأماكن للوضوء<sup>(1)</sup> ، ويعتبر ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي من بين الأضرحة التي تتمتع بشهرة كبيرة داخل القطر الجزائري وخارجه، حيث كانت تونس ترسل حمولة زيت باسم ضريحه<sup>(2)</sup> ، ويعد أحد المزارات الكبرى بمدينة الجزائر.<sup>(3)</sup>

## 2-المسجد الحنفية:

2-1جامع السيدة: ان مسجد السيدة يعتبر من أقدم المساجد الحنفية، وهذا عكس ما يتداول في الكتابات التاريخية على ان جامع القايد صفر هو اولهم، ويعود بنائه الى ما قبل سنة 1528م أي الى الفترة الأولى لانضمام الجزائر للدولة العثمانية، بناء على ما هو مبين في احدى وثائق المحاكم الشرعية<sup>(4)</sup> ، وفيه يؤدي الداوي و حاشيته والشخصيات الهامة صلاة الجمعة ، فاحمد الشريف الزهار يشير بان بنائه وتشييده يعود الى فترة سابقة للوجود العثماني من طرف امرأة ثرية وهي بنت مولاي الناصر حاكم

---

<sup>1</sup> Albert Devoulx , *les édifices religieux de l'ancien Alger*, R.A, T 7, 1863, P 178.

<sup>2</sup> ياسين بودريعة، أوقاف الاضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والباييك مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، 2006/ 2007، ص 35-36.

<sup>3</sup> للمزيد أكثر حول زاوية وضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي انظر: - عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

<sup>4</sup> (AOM, 1MI. B 28. Z 55

بجاية<sup>(1)</sup>، وموقعه من القرب من دار الامارة وسوق الخضارين، وهو مسجد صغير انيق البناء يحتوي على قاعة كبيرة مغطاة بالحصير وقطع السجاد و به آيات قرآنية منقوشة على الحائط.<sup>(2)</sup> وحسب دوفو فان مظهره الخارجي لم يكن مثيرا للانتباه فهو واقع في وسط التجمعات السكنية ومحاط بمنازل المتداخلة، وبابه من الخشب ويقع في الجهة الغربية ومقابل لساحة القصر، اما مظهره الداخلي به رسومات انيقة وعشرين عمود من الرخام الأبيض<sup>(3)</sup>، وهناك وصف اخر بانه يحتوي على خمسة أبواب ثلاثة منها مقابلة لدار الامارة وباب اخر لناحية بيت المال وباب اخر يؤدي الى سكة الصاغة، وبه نفق يؤدي الى دار الامارة<sup>(4)</sup>. اما بداية تسييره من قبل مؤسسة سبل الخيرات<sup>(5)</sup>، فتعود الإشارة الأولى لها الى سنة 1672م<sup>(6)</sup>،

<sup>1</sup> أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر، تح احمد توفيق المدني الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 31-32.

<sup>2</sup> كائكار، مذكرات اسير الداي كائكار قنصل أمريكا في المغرب، تر إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص ص 97-98.

<sup>3</sup> (Albert devoulx, *les édifices*, op.cit. , p154)

تح احمد توفيق المدني احمد الشريف الزهار، احمد شريف الزهار، مذكرات<sup>(4)</sup>

( 81 مصدر سابق، ص

<sup>5</sup> سبل الخيرات مؤسسة وقفية أسسها الولاة العثمانيون في الجزائر أواخر القرن 16م خصصت عوائدها لصالح المساجد الحنفية انظر: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 158- 159

<sup>6</sup> (Zahra Zakia, *Alger à Istanbul. la fondation de waqf des subul al khayrat et ses mosquées hanéfites à l'époque ottomane (du début du XVIII siècle à la colonisation française. thèse de doctorat. mondes arabe musulman et sémitique. Aix Marseille. -*

وقد قام ناظر بيت المال صاري مصطفى اغا سنة 1701/1700م ببناء مكتب أي مدرسة ملحقة بالجامع لتعليم الأطفال ، وقد تعرض مسجد السيدة بحكم قربها من البحر الى تحطم بعض اجزائه جراء الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر، منها حملة دوكين الفرنسية سنة 1683م، لذلك قام الداوي حسين ميزومورطو بتجديده وترميمه في سنة 1688م<sup>(1)</sup>، وتعرض لأضرار اثناء حملتي دون اوريلي الأولى والثانية سنة 1783-1784م، وفي سنة 1785 جاءت اهم محاولة لتجديد المسجد من طرف الداوي محمد بن عثمان باشا<sup>(2)</sup>، وقام بتوسيعه بضم مجموعة من الحوانيت كانت مجاورة له<sup>(3)</sup>، وقد احتفظ مسجد السيدة بدوره كمسجد للحكام الى غاية سنة 1817م<sup>(4)</sup>، لما نقل الداوي علي خوجة مقر اقامته الى أعالي القصبة اصبح جامع القصبة مركزا لصلاة الحكام . ويعتبر جامع السيدة من اول المؤسسات الدينية التي تعرضت للهدم من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، مع المنازل المجاورة له غير انهم وجدوا صعوبة في إزالة منارته التي بقيت قائمة الى غاية 1832م، والهدف من تهديمه لترك مساحة مكشوفة داخل المدينة للتجمع والدفاع في حالة وقوع تمرد من طرف السكان المحليين<sup>(5)</sup>

---

<sup>1)</sup> (Zahra Zakia، **Alger à Istanbul**. ibidem, p65)

<sup>2)</sup> احمد الشريف الزهار، مذكرات، مصدر سابق، ص 24.

<sup>3)</sup> (Albert devoulx, **les édifices**, op.cit. , p153)

<sup>4)</sup> (Tal shuval, **la ville d'Alger vers la fin du XVIII Siècle population et cadre urbain**, paris, CNRS, 1998 ,192)

<sup>5)</sup> (Albert devoulx, **les édifices**, op.cit. , p156)

2-2 جامع القايد صفر: يعتبر جامع القايد صفر ثاني المساجد الحنفية التابعة لمؤسسة سبل الخيرات، اذ يرجع تشييده الى سنة 1534م، واستغرق بناؤه حوالي تسعة أشهر، وقد قام ببنائه عبد الله صفر وهو مسيحي اعتنق الإسلام ثم أعتقه خير الدين بارباروس فأصبح يسمى القايد صفر بن عبد الله، وقد اهلته المامه باللغة العربية وتعمقه فيها من ان يصبح حزا<sup>(1)</sup>، ومكان بنائه كان في الجهة العليا من المدينة<sup>(2)</sup>. وتعود الإشارات الأولى في الوثائق الشرعية لجامع القايد صفر الى ما قبل سنة 1544م<sup>(3)</sup>، وفي سنة 1826م قام الداوي حسين بهديمه كليا وإعادة بنائه في نفس السنة<sup>(4)</sup>، وكان مسجد صفر لا يفتقد للأناقة حتى بعد تجديده فكان به ثمانية أعمدة كبيرة ومستديرة أربعة منها من الرخام والأخرى من الحجر<sup>(5)</sup>، اما محرابه فهو مزين باللونين الأبيض والأزرق والامر كذلك بالنسبة للنوافذ، كما تم تزيين الجزء العلوي من المسجد بالقرميد الأخضر<sup>(6)</sup>، وهو من المساجد القليلة التي سلمت من التهديم اذ بقي قائما الى يومنا هذا.

جامع الجديد : يعد الجامع الجديد ثالث واهم مسجد حنفي تابع لمؤسسة سبل الخيرات، وسعي كذلك تفريقا له عن الجامع الأعظم

<sup>1</sup>) (Albert devoulx, *les édifices*, Ibidem. , p p 240 -241.

<sup>2</sup> نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1979م، ص162.

<sup>3</sup>) (AOM 1MI B55 Z130

<sup>4</sup> أحمد الشريف الزهار، مذكرات، مصدر سابق، ص. 166.

<sup>5</sup> وهيبة خليل، أطلس المعالم الدينية الإسلامية بمدينة الجزائر جرد وإحصاء، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاثار الإسلامية، 2009/2008، ص ص51-67.

<sup>6</sup>) (Albert devoulx, *les édifices*, op.cit. , p 246

القريب منه <sup>(1)</sup>، وقد سماه الفرنسيون بجامع المسمكة <sup>(2)</sup>، وقد بني بالأمر الصادر من الجيش الإنكشاري في سنة 1656م <sup>(3)</sup>، على أنقاض مدرسة تدعى بمدرسة المولى أبو عنان او المدرسة العنانية <sup>(4)</sup> او زاوية مولاي أبو عنان <sup>(5)</sup>، المتواجد بالقرب من باب البحر والبادستان والقهوة الكبيرة <sup>(6)</sup>، وهي المنطقة التي تجمعت فيها مختلف المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

بلغت مساحة الجامع الجديد 1371 كلم <sup>(7)</sup> <sup>2</sup>، وهي ليست كلها مساحة المدرسة بل اضيف اليها شراء عقارات محيطة بها تم الحاقها بالجامع <sup>(8)</sup>، اما من حيث هندسته وتصميمه فانه يشبه المساجد العثمانية. وبدأت الاشغال في بناء الجامع الجديد سنة 1656م شهرين بعد قرار الجيش ببنائه، اما المشرفين على بنائه من أصحاب الرتب السامية من الجيش الإنكشاري والاندلسيين ومؤسسة سبل الخيرات، وحضور الجيش الإنكشاري كان تمثيلا للسلطة بضمان السير الحسن للأشغال والسيهر على تمويله والاشراف على حساباته لا أكثر، لأنهم ليس لديهم معرفة في أمور البناء، اما فيما يتعلق بالجانب الهندسي فقد ذكر كلاين اسم

---

<sup>1</sup> نور الدين عبد القادر، صفحات، مرجع سابق، ص 55

<sup>2</sup> (Albert devoulx, **les édifices**, op.cit. , p133)

<sup>3</sup> (م ش ع، ب ب، ع 33، س). 325/ 423.

<sup>4</sup> (Albert devoulx, **les édifices**,. op.cit. , p140)

<sup>5</sup> (Ibidem. , p142)

<sup>6</sup> (أ و ج، م ش ع 63 و 36، 34)، 43.

<sup>7</sup> (Albert devoulx, **les édifices**, op.cit. , p133)

<sup>8</sup> (Ibidem. , p140)

المعماري الذي صممه مجهول<sup>(1)</sup> غير ان احدى دفاتر البايك اشارت الى ان العملية تمت بإشراف أحد الاندلسيين وهو الحاج إبراهيم امين البنائين<sup>(2)</sup>، ويعتبر المسجد الوحيد الذي بني بطريقة جماعية اما بقية المساجد فكانت كلها بمبادرات فردية<sup>(3)</sup> وحظي الجامع الجديد بأهمية بالغة في أوساط الطبقة الحاكمة، فهو الجامع الأساسي والرسمي للأتراك العثمانيين بالجزائر ومقر المفتي الحنفي، إذا تعقد فيه جلسات في الأسبوع اين تعرض عليه مختلف المسائل خاصة ما يتعلق منها بالوقف والعناء والمعاوضة ، وكان للمفتي اليد الطولى اذ ما حصل خلاف بينهم وبين مفتي المذهب المالكي، كما كان لهم تأثير على الباشوات خاصة في العهد الأول عندما كان القاضي الحنفي يأتي من إسطنبول مثله مثل الباشا، وقد حظي الجامع الجديد باحترام رياس البحر أيضا الذين كانوا يحيونه بطلقات مدفع عند الذهاب الى الجهاد املا منهم في تحقيق النصر<sup>(4)</sup> وقد كان قرباش أفندي اول من تولى الخطابة بالجامع الجديد بعدها تعرض للنفي، وتولى مكانه مسلم أفندي، ثم أصبح مفتيا بعد حسين أفندي، وبذلك جمع بين وظيفتي الإفتاء والخطابة واستمر الامر على هذا المنوال حتى من جاء بعده<sup>(5)</sup> ونظرا

<sup>(1)</sup> (Henri Klein , *feuilletés délégués – djezair le comité du vieil Alger* , op.cit. , 1910 , p177)

<sup>(2)</sup> أ و ج ، ب ب ، ع 33 ، س 325/423

<sup>(3)</sup> (Albert devoux, *les édifices*, op.cit. , p140)

<sup>(4)</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج 1، مرجع سابق، ص 259.

<sup>(5)</sup> بن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات، مرجع سابق، ص 88.

لوقوع الجامع الجديد بالقرب من البحر فانه تعرض الى تهدم بعض اجزائه إثر الحملات الأوروبية على الجزائر، كحملة دوكين الفرنسي سنة 1682م، التي أدت الى تهدم جزء منه، ورغم ذلك يبقى الجامع الجديد من المساجد القليلة التي سلمت من التهديم بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، كما أحدثت فيه السلطات الفرنسية تغييرات طفيفة فمئبر المسجد المصنوع من الرخام كان سابقا في جامع السيدة، وفي سنة 1854م نصبت في اعلى منارته الساعة التي كانت في دار الامارة<sup>(1)</sup> وكان للجامع الجديد أربعة أبواب وتم اغلاق الباب المواجه للجنوب الغربي من طرف الإدارة الفرنسية<sup>(2)</sup> وهناك أيضا بعض المساجد الحنفية الأخرى منها مسجد كتشاوة والذي يعتبر خامس المساجد الحنفية بمدينة الجزائر بعد جامع السيدة وجامع صفر والجامع الجديد وجامع شعبان خوجة التابعين لمؤسسة سبل الخيرات<sup>(3)</sup> بالإضافة الى جامع الشبارلية وجامع دار القاضي وجامع القصبة، ويعد مفتي المذهب الحنفي المشرف الأساسي على مؤسسة سبل الخيرات، ويتولى أيضا الإفتاء والإمامة ومقره بالجامع الجديد وهو المسجد الرئيسي لاتباع المذهب الحنفي بمدينة الجزائر<sup>(4)</sup>. وليس هناك تاريخ مضبوط لبناء مسجد كتشاوة لكن حسب عقد يعود الى سنة 1021هـ (1612-1613م) فإن هذا

<sup>1</sup> نور الدين عبد القادر، صفحات، مرجع سابق ص 158

<sup>2</sup> (Albert devoulx, les édifices, op.cit. , p136)

<sup>3</sup> غطاس واخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 258.

<sup>4</sup> زكية زهرة، حول الأهمية التاريخية لأوقاف الأحناف بمدينة الجزائر من خلال ثلاثة نماذج من الوثائق، الندوة العلمية حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة دراسات انسانية (ع خ)، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 157.

المسجد كان موجودا في هذا التاريخ<sup>(1)</sup>، وتم ترميمه من طرف الداي حسن<sup>(2)</sup>، حيث قام بإعادة بنائه وتوسيعه وصممه على نموذج جامع السيدة سنة 1795/1794م<sup>(3)</sup> بالموقع المسمى كجاوة بالقرب من ضريح الولي سيدي دادة<sup>(4)</sup>، وقد وقف الداي حسن أيضا عدة عقارات بالمدينة

---

<sup>1</sup> Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P164.

-ويعتبر من بين المساجد الذي كان في الأصل زاوية وتسمى بزاوية كجاوة ثم تحول الى مسجد انظر صبرينة لنوار، مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني القرنين 17-18، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل (العراق)، 2018، ص120

<sup>2</sup> الداي حسن دامت ولايته سبع سنوات من 1791م الى 1798م، وتعتبر فترة حكمه في الجزائر فترة استقرار سياسي، وهو مرمم جامع كتشاوة وأيضا استرجع مرسى القالة من الفرنسيين وسلم مدينة وجدة للمغاربة، وتوفي بعد سوء التداوي لالتهاب على مستوى الرجل أدى الى اصابته بمرض الغنغرينة (Gangrène) (انظر: احمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج احمد الشريف، مصدر سابق، ص 67-68. وعائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص59.

-HD de Grammont, *histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830*, op.cit., pp 346-354

- وتزامن حكمه للجزائر مع تحرير وهران من الاسبان انظر: محمد بن احمد ابي الراس الناصري، عجائب الاسفار ولطائف الاخبار، ج2، تق تح محمد غالم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC ، ص ص82-181.

<sup>3</sup> Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P164.

-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مرجع سابق، ص 38.

<sup>4</sup> وحسب الباحثة نفيسة دويذة فان الأهداف المرجوة من زيارة هذا الضريح كانت صحية علاجية نفسية واجتماعية ودينية انظر نفيسة دويذة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة انسانيات ، 2015، ص 26- 27. وبالنسبة لكجاوة (كتشاوة) هي هضبة كانت يرعى فيها الماعز. عقيل نمير، حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، أوقاف مؤسسة سبل الخيرات



على مسجد كتشاوة، واستفاد منها الخطيب والمؤذن والحزابين والفراشين والشعالين والفقهاء، وأما باقي المداخل فتصرف على القناديل والزيت والفرش ... الخ<sup>(1)</sup>، وقد حول المسجد الى كاتدرائية كاثوليكية في السنوات الاولى للاحتلال الفرنسي، وجرت عليه تعديلات كثيرة وهدمت بعض اجزائه وأصبح يسمى موقعه بعد الاحتلال بشارع الديوان<sup>(2)</sup>، وهناك أيضا مسجد جامع دار القاضي ومسجد حسين ميزومورطو وجامع عبدي باشا وجامع خضر باشا وجامع علي باشا نقسيس . وبالنسبة لمصير هذه المؤسسات الدينية بعد الاحتلال الفرنسي فإنها كانت آيلة للزوال، وهذا من خلال ما اعتمدته سلطات الاحتلال اتجاه هذه المؤسسات، التي قامت بمصادرتها والاستفادة من عائداتها وابعادها عن وظائفها الاصلية<sup>(3)</sup> إلا ان بعضها مازال قائما الى يومنا هذا .

---

من خلال المساجد الحنفية، الندوة العلمية حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة دراسات إنسانية (عدد خاص)، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 131.

<sup>1</sup> مصطفى احمد بن حموش، مساجد مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 69.

<sup>2</sup> Albert Devoulx, *Les édifices*, op.cit., P170.

<sup>3</sup> فلة موساوي القشاعي، " تحطيم التراث الثقافي العثماني في الجزائر من طرف الاستعمار الفرنسي (1830-1962م)"، مداخلة مقدمة في الندوة الدولية التراث بحوض البحر الأبيض المتوسط: واقع الحال والتنمية والتممين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز، فاس، 2019.

## الخاتمة :

المسجد مكان للعبادة والاعتكاف والصلاة، ولم يقتصر دوره فقط على ذلك بل أصبح مكاناً للتربية والتعليم والتوجيه الديني والأخلاقي وقد عرفت مدينة الجزائر عدد كبير من المساجد المملوكة منها والحنفية، حيث لعبت دور كبير في تنشيط الحياة العلمية والاجتماعية، فقد كانت تدرس فيه مختلف العلوم الإسلامية، كما شاركت مساجد مدينة الجزائر في نهضة الثقافة وتطوير العلوم وتخرج العلماء فقد كانت حقا مراكز إشعاع ثقافي ساهمت في ازدهار الحركة التعليمية، كما كان لها دور في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية وتنشيط الدراسات الفقهية والعلمية، كما اعتبرت مجالس للشورى يعقد فيها المجلس العلمي للفصل في القضايا الفقهية، ويسهر على تسيير المساجد مجموعة من الموظفين، ويتم تمويل المساجد وموظفيها من عوائد الأوقاف، وما يمكن قوله أن مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني تميزت بميزة خاصة عن الفترات السابقة كونها جمعت بين الجانب العلمي والديني.

## القائمة الببليوغرافية المعتمدة

### وثائق الأرشيف:

- ا و ج، ب ب، ع 33، س 423/325-
- ا و ج، م ش ع 36، 34، 43، 63 و
- ا و ج م ش ع 10 و 39
- ا و ج م ش ع 134/135 و 52
- ا و ج م ش ع 55
- ا و ج م ش ع 63 و 69
- AOM 1Mi B05 Z10
- AOM 1Mi B16 Z33.
- AOM 1MI B30 Z62
- AOM 1Mi B30 Z62,
- AOM 1Mi B45 Z99
- AOM 1MI B55 Z130
- AOM 1Mi B70
- AOM 1MI B 28 Z 55

### القائمة الببليوغرافية باللغة العربية:

- ابن زاكور الفاسي المتوفي (1120هـ/1708م) رحلة ابن زاكور المسماة نشر ازاھر البستان فيمن اجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء اكابر الاعيان، الناشر المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- التمكنوتي علي بن محمد ، النفحة المسكية في السفارة التركية، تق تح عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002.
- التميمي عبد الجليل ، وثيقة على الأملاك المحسبة باسم الجزائر الأعظم بمدينة الجزائر، ع5، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1980.
- الجيلالي عبد الرحمان ، الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا، مجلة الأصالة، ع 8، 1972.
- الزهار احمد الشريف ، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر، تح احمد توفيق المدني الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- العسلي بسام ، الماريشال بيجو 1784 م / 1849م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت ، 1983م.
- القشاعي فلة موساوي ، " تحطيم التراث الثقافي العثماني في الجزائر من طرف الاستعمار الفرنسي (1830-1962م)"، مداخلة مقدمة في الندوة الدولية التراث بحوض البحر الأبيض المتوسط: واقع الحال والتنمية والتمثين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز، فاس.
- الناصري محمد بن احمد ابي الراس، عجائب الاسفار ولطائف الاخبار، ج2، تق تح محمد غالم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC .
- الوزان الفاسي الحسن بن محمد المعروف بليون الافريقي، وصف إفريقيا، محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، ج2، بيروت، 1983.
- بن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها تج فارس كعوان، دارالحكمة، الجزائر، ص 96.
- بن حموش مصطفى احمد ، السلطة والمدينة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر للطباعة والتوزيع، ط1، دبي 1999.
- بن حموش مصطفى احمد ، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، تر، تج، تع، مصطفى احمد بن حموش، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- بوحجو جمال ، الذهب الابريز في تفسير واعراب بعض أي الكتاب العزيز للإمام أبي زيد عبد الرحمان الثعالبي ت 875 دراسة وتحقيق من سورة يونس الى سورة القصص، مذكرة لنيل شهادة درجة الماجستير في العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر1، 2016-2017.
- بوحشوش نعيمة ، الجامع الأعظم بمدينة الجزائر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي من خلال وثائق الأوقاف، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، 2013-2014 .
- بودريعة ياسين ، أوقاف الاضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايك مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، 2006 / 2007.

- بوزينة سعيد ، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التأسيسية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة تاريخية معمارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.
- حاج سعيد محمد ، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها دورها وعماراتها، مذكرة نيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1، 2014/2015.
- خليل وهيبة ، أطلس المعالم الدينية الإسلامية بمدينة الجزائر جرد وإحصاء، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار الإسلامية ، 2008/2009.
- دوفولكس -البير ، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، تترجع مصطفى احمد بن حموش وبدر الدين بالقاضي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2004.
- دويذة نفيسة ، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة انسانيات ، 2015.
- زايدي كريم " الإمام الثعالبي ومنهجه في تعامله مع القراءات في تفسيره الجواهر الحسان"، -نماذج منتخبة -مجلة البحوث والدراسات، ع 1، مج 15، جامعة حمة لخصر الوادي، 2018 .
- زهرة زكية ، حول الأهمية التاريخية لأوقاف الأحناف بمدينة الجزائر من خلال ثلاثة نماذج من الوثائق، الندوة العلمية حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة دراسات انسانية (ع خ)، جامعة الجزائر، 2001-2002.
- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ط1، ج1، دار البصائر، 2007م، ص 31.
- سعيدوني ناصر الدين ، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17 حتى القرن 19، مجموعة دراسات أكاديمية وبحوث علمية، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات وابحث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- صاري أمينة سليمة، طبقات فقهاء المالكية من خلال مخطوط الجامع الكبير للشيوخ عبد الرحمان الثعالبي ت 875هـ/1470م دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2010/2011.
- عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1979م.
- غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية ومؤسساتها، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007.
- قسوم عبد الرزاق، عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- كاثكارت، مذكرات اسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- لزغم فوزية، البيوتات والاسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 925-1246هـ / 1520-1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014م.
- لنوار صبرينة، مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني القرنين 17-18، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل (العراق)، 2018.
- محرز امين، أوجاق الإنكشارية بإيالة الجزائر في عهد الدايات (1671-1830م) دوره وتنظيمه من خلال الوثائق العثمانية: دفتر المواجهات، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، ج2، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2019/2020.
- نفطي وافية، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18 الى منتصف القرن 19، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة 1، السنة الجامعية 2016/2017.
- نمير عقيل، حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال المساجد الحنفية، الندوة العلمية حول الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة دراسات إنسانية (عدد خاص)، جامعة الجزائر، 2001-2002.

## القائمة الببليوغرافية باللغة الأجنبية:

- Aumerat J-F, **la propriété urbaine à Alger**, RA, 1898.
- Aumerat J-F, **le bureau de bienfaisance musulman**, typographie Adolphe Jourdan, 1900.
- Ben Hamouche Mustapha , « **hanafisme malikisme et gestion urbaine cas d'Alger à l'époque ottomane** », RHM. N 93/94, Tunis, 1999
- berbrugger Adrien, **bibliothèque-musée d'Alger, Livret explicatif des collections diverses de ces deux établissements**, Imprimerie Bastide, Alger, 1860 1861.
- Boyer Pierre, "**contribution à l'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger XVI – XIX siècles**", R.O M M, N 1, Aix en Provence, 1966
- Chergui -Samia, **les mosquées d'Alger, construire gérer et conserver XVI – XIX siècles** Pups Maison de la recherche, université Paris Sorbonne, paris, 2011.
- Colin Gabriel, **Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie**, éd Ernest Leroux Paris, 1901,
- Devoulx Albert , **épigraphie indigène du musée archéologique d'Alger suivie d'un musée mural à Alger**, Typographie et lithographie à Jourdan, Alger 1874.
- Devoulx Albert, **les édifices religieux de l'ancien Alger**, R.A, T 7, 1863.
- Devoulx Albert, **El Djair histoire d'une cité dicosium à Alger**, Edition critique présentée par Bedredine belkadi et Mustapha Ben hamouche, éd Enag
- Devoulx -Albert, **les édifices religieux de l'ancien Alger**, typographie bastide, Alger, 1870,
- Devoulx Albret, **Les édifices religieux de l'ancien Alger**, R.A. N°10, 1866.
- Gorguos « **Bouras historien inédit de l'Afrique septentrionale** », R.A, V5, 1861

- Klein Henri , **feuillets dél –djezair le comité du vieil Alger** ,V1, 1910.
- Messaoudi Alain **les arabisant et la France coloniale savants conseillers médiateurs (1780-1930)**, Lyon, ENS édition ,2015 : » Devoulx Joseph Marie Albert (Marseille 1826, Alger 1876 .
- Pierre boyer **la vie quotidienne à Alger a la vielle de l'intervention française**, éd hachette. Paris, 1963.
- shuval Tal, **la ville d'Alger vers la fin du XVIII Siècle population et cadre urbain**, paris, CNRS, 1998 .
- Zakia Zahra , **Alger à Istanbul. la fondation de waqf des subul al khayrat et ses mosquées hanéfites à l'époque ottomane (du début du XVIII siècle à la colonisation française.** thèse de doctorat. mondes arabe musulman et sémitique. Aix Marseille.



# تجليات الهوية الجزائرية في عمارة المسكن (قراءة في القيم الإسلامية والأبعاد الثقافية)

ط د/ عيبش أمينة

المدرسة الوطنية العليا للعلوم الإسلامية دار القرآن

## مقدمة

تعتبر الهوية المعمارية تعبير عن الثقافة المحلية، البيئة، واحتياجات المجتمع. هي نتيجة تفاعل طويل الأمد بين الإنسان وبيئته، بحيث تعكس العمارة طريقة حياة الناس، تقاليدهم، ومعتقداتهم. في نظر المهندس حسن فتحي، العمارة لا ينبغي أن تكون مجرد شكل مادي أو استجابة جمالية، بل يجب أن تكون مرتبطة بظروف المكان (مثل المناخ ومواد البناء المحلية) وأن تعبر عن القيم الثقافية والاجتماعية، فالعمارة ليست مجرد بناء، بل هي وسيلة لنقل القيم الثقافية والدينية التي تميز مجتمعاً عن آخر. من هذا المنطلق، تُعد الهوية عاملاً أساسياً في تشكيل العمارة، حيث تعكس الأنماط المعمارية القيم المشتركة بين الأفراد، بما في ذلك القيم الإسلامية التي تؤثر السلوكيات اليومية وتوجه العلاقات الاجتماعية.

تُعد العمارة الجزائرية مرآة تُبرز خصوصية ثقافية واجتماعية نابغة من تفاعل القيم الإسلامية، العربية، والأمازيغية. حيث تنقل المساكن القيم الدينية والثقافية من خلال التصميم والعلاقة مع البيئة، يتجلى انعكاس الهوية في عمارة المسكن الجزائري من خلال تحقيق الانسجام بين الوظيفة والقيم الرمزية. تُظهر دراسة عمارة المسكن الجزائري في الفترة الإسلامية،

التأثير العميق للبيئة الطبيعية والمعتقدات والقيم الدينية والعادات المحلية على التصميم المعماري للمسكن، إلى جانب القيم الإسلامية التي توجه استخدام المواد المحلية وتحديد وظائف الفضاءات، يمكن استنتاج مدى تجذر قيم القرآن الكريم والسنة النبوية في العمارة التقليدية، حيث تتجلى في الأنماط الهندسية والتصاميم الموجهة نحو تحقيق التوازن بين الجمال الوظيفي والرمزي. وتعتمد الدراسة على منهج تاريخي وصفي تحليلي، يُستخدم فيه توثيق التطور التاريخي للمسكن الجزائري وتحليل الأبعاد الدينية والثقافية المؤثرة على تصميمه. تشمل الدراسة مصادر أرشيفية ونصوصاً فقهية وأمثلة ميدانية لمسكن تقليدية في مختلف المناطق. حيث تهدف الدراسة إلى إبراز العلاقة بين القيم الإسلامية والثقافة المحلية في تشكيل عمارة المسكن الجزائري، وتسلط الضوء على عناصر التصميم التي تعكس الهوية الوطنية. كما تسعى إلى تعزيز فهم التراث المعماري كوسيلة لبناء مستقبل معماري مستدام يحترم الخصوصية الثقافية. وتؤكد النتائج على أن القيم الإسلامية والاجتماعية تلعب دوراً جوهرياً في تشكيل الهوية المعمارية للمسكن الجزائري. تظهر هذه القيم في التصميمات التي تحقق الخصوصية، الانسجام مع البيئة، والتعبير عن الروح الجماعية، مما يجعل العمارة التقليدية مرآةً تعكس هوية المجتمع الجزائري وقيمه الأصيلة.

يُعد الفكر الإسلامي أحد الركائز الأساسية التي شكّلت معالم العمارة عبر العصور، حيث استطاع أن يرسّخ قيماً ومبادئ متأصلة تنعكس بعمق في تصميم المسكن وتكوينه. يتناول هذا البحث تأثير الفكر الإسلامي على

عمارة المسكن، كمفهوم يرتكز على إبراز الهوية الثقافية والتراثية من خلال التصميم المعماري، فضلاً عن استعراض مبادئ التصميم وفق التشريع الإسلامي. ويتطرق البحث إلى تحليل المفهوم الإدراكي لعمارة الهوية وتبيان كيفية استمدادها من الأطر الفكرية والدينية الإسلامية، مستندين في ذلك إلى المصادر الشرعية والتراث العمراني الإسلامي. كما سيتم تناول المبادئ الأساسية للتصميم الإسلامي؛ منها التوازن والاعتدال، والوظيفية المستدامة، واستخدام المواد والتقنيات التي تُراعي متطلبات البيئة والمناخ المحلي. أما في الجزء التطبيقي، فسيتم تقديم دراسة حالة لمساكن تقليدية في مدينتي قسنطينة وتلمسان، اللتين تعدّان من أبرز المدن الجزائرية ذات الإرث العمراني الغني. ومن خلال تحليل المخططات المعمارية، وتنظيم الفضاءات، واختيار المواد، ستُستعرض كيفية تجسيد المبادئ الإسلامية في هذه النماذج التقليدية، مع تسليط الضوء على نقاط الالتقاء والاختلاف بين العمارة التقليدية والاتجاهات المعاصرة. ويهدف البحث إلى تقديم رؤية نقدية شاملة تُبرز الدور الفاعل للفكر الإسلامي في تشكيل هوية المسكن، وتوفير إطار نظري وعملي لاستلهام تجليات التراث الإسلامي في مشاريع السكن المعاصر، بما يُسهم في إثراء الحوار بين الماضي والحاضر وتحقيق استدامة بيئية وثقافية في العمارة الحديثة.

### مشكلة البحث

تشكل العلاقة بين الفكر الإسلامي والعمارة موضوعاً بحثياً معقداً ومثيراً للاهتمام، إذ يظهر تأثير المبادئ والقيم الإسلامية-مثل الوحدة، الاعتدال، والخصوصية-على ملامح التصميم المعماري. تكمن مشكلة البحث في

استقصاء كيفية تجسيد هذه المبادئ في عملية الإبداع المعماري، وكيف ساهمت هذه القيم في تشكيل النماذج المعمارية التقليدية والمعاصرة، مما يستدعي تحليل العوامل المؤثرة لتحديد مدى تأثير الفكر الإسلامي على العمارة بصورة شاملة.

#### أهداف البحث:

- تحليل المبادئ الأساسية للفكر الإسلامي وتحديد كيف تُترجم إلى معايير تصميمية في عمارة المسكن.
- دراسة توزيع الفضاءات الداخلية لتقييم مدى تجسيد التصميم للمقتضيات الإسلامية.

#### أهمية البحث:

- إثراء المعرفة النظرية والعملية حول تأثير الفكر الإسلامي على التعبير المعماري، مما يُعمّق فهم العلاقة بين التراث الديني والثقافي والابتكار في التصميم.
- توفير إطار تحليلي يُمكن المصممين والباحثين من إعادة النظر في النماذج التقليدية وتطبيق مبادئ تراثية متجذرة تتوافق مع متطلبات العصر الحديث.
- المساهمة في تعزيز الهوية الثقافية من خلال دمج القيم الإسلامية في العمارة، ما يدعم الاستدامة البيئية والاجتماعية في المساحات المعيشية.

## 1. الفكر الإسلامي في تصميم المسكن

الفكر الإسلامي هو منظومة متكاملة من المبادئ والأفكار والقيم التي تستمد أصولها من النصوص الشرعية الأساسية - القرآن الكريم والسنة النبوية - ومن اجتهادات العلماء عبر العصور. يشمل هذا الفكر كل جوانب الحياة؛ من العقيدة والعبادة إلى الأخلاق والفقه والفلسفة والسياسة، مما يجعله إطاراً شاملاً لفهم الكون ودور الإنسان فيه. يتميز الفكر الإسلامي بتركيزه على توحيد الله وتحقيق العدالة والرحمة والاعتدال، ويسعى إلى بناء مجتمع قائم على التكافل الاجتماعي والإنسانية<sup>1</sup>. كما يتفاعل هذا الفكر مع تحديات العصر الحديث، محافظاً على جوهره الروحي والأخلاقي مع استيعاب التطورات العلمية والثقافية، ليظل مرجعاً دينياً وفكرياً يُشكل الهوية الفردية والجماعية في المجتمعات الإسلامية. ويشكل الفكر الإسلامي قاعدة نظرية أساسية تُلهم التصميم المعماري باعتباره تعبيراً فنياً عن القيم والروح الإنسانية. إذ يستمد التصميم المعماري معانيه من منظومة من المبادئ التي تركز على الوحدة والاعتدال والتوازن، ما يتيح للمصمم دمج الجمال والوظيفة في مساحة تعكس الهوية الثقافية للمجتمع. وتعمل هذه المبادئ على توجيه عملية الإبداع من خلال استلهام أفكار وقيم المجتمع المسلم، مما يؤدي إلى تصاميم تتجاوب مع الاحتياجات المجتمعية بطريقة تحافظ على مبادئهم وخصوصياتهم. بهذا الصدد، يُعتبر الفكر الإسلامي بمثابة مرجعية فكرية تدعو إلى إعادة النظر في الأساليب

---

<sup>1</sup> العمارة في الإسلام: تحليل لتصميم المسكن الإسلامي في ظل المفاهيم التصميمية المعاصرة

التقليدية وتطوير نماذج تصميمية تواكب التحولات المعاصرة مع الحفاظ على الروح والقيم الأصيلة<sup>1</sup>. ويؤثر الفكر الإسلامي بشكل مباشر وخاص على المسكن من خلال توفير إطار روحي وأخلاقي واجتماعي للتصميم. وبذلك، يتحول المسكن إلى تعبير فني عن الهوية والقيم الثقافية للمجتمع، مستجيباً لاحتياجات الساكنين بطريقة متوافقة مع المبادئ الإسلامية<sup>2</sup>.

2. مفهوم المسكن سكن الشيء سكونا ذهبته حركته وقد استقر وثبت. والمسكن في اللغة من سكن السكون بعد الحركة. قال الله تعالى ((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)) سورة إبراهيم الآية 37 ويشتق مصطلح "المسكن" من الجذر "سكن"، الذي يشير إلى الاستقرار والسكون<sup>3</sup>، فيُعرّف في اللغة بأنه المكان الذي يستقر فيه الإنسان، أي البيت أو المأوى الذي يوفر له الراحة والأمان، حيث يجد السكن والسكينة

. قال الله تعالى ((وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ)) سورة الانعام الآية 80 على هذا ان الخالق سبحانه وتعالى قد جعل لعباده في البيوت سكنا لهم يؤوون اليها

<sup>1</sup> مشموش، م. (2015). الفكرة العمرانية الإسلامية وأثرها على تخطيط المدن

وعمارتها: دراسة حالة مدينتين تلمسان والجزائر والموزجا

<sup>2</sup> نوفل، إ. م. ح.. القيم الإسلامية في عمران المدينة اجامعة أسيوط

<sup>3</sup> الغامدي، ح. ب. س. ب. السكن في القرآن: دراسة بلاغية

ويسترون وينتفعون بها موفره لهم السكينة والاطمئنان. والمراد هنا هو اطفاء السكينة والطمأنينة على الفرد في بيته ، ويقول ابن القيم جوزيه في وصفه للمسكن ايام الرسول عليه الصلاة والسلام لما علم صلى الله عليه والسلام "انه على ظهر سير ، وان الدنيا مسافر ينزل فيها مدة عمر ، ثم ينتقل عنها الى الآخرة ، لم يكن من هديه ولا هذه اصحابه من تبعه الاعتناء بالمساكن وتشبيدها وتعليقها وزخرفتها وتوسيعها ، منازل تقي الحر والبرد ، وتستتر عن العيون وتمنع من ولوج الدواب ، ولا يخاف سقوطها لفرط ثقلها، ولا تعشش فيها الهوام لسعتها، ولا تعثوا عليها الأهوية والرياح المؤذية لارتفاعها ، وليست تحت الارض فتؤدي سكانها ، ولا في غايه الارتفاع عليه، بل وسط، وتلك اعدل المساكن وانفعها، واقلها حرا وبردا ولا تضيق عن ساكنها فينحصر، ولا تفضل عنه بغير منفعة ولا فائدة فتاوى الهوام في خلوها، فيها كنفه تؤدي ساكنها برائحتها ، بل رائحتها من اطيب الروائح ، لأنه كان يحب الطيب ، ولا يزال عنده ، وريحه من اطيب الرائحة ، وعرقه من اطيب الطيب ، ولا ريب ان هذه من اعدل المساكن وانفعها واوفقها للبدن وحفظ صحته<sup>1</sup>. وبالتالي فإن المساكن في صدر الاسلام كانت تفي بالضروريات ولا تمتد الى الكماليات مما لا حاجة له.

يُعتبر المسكن الوحدة العمرانية الأساسية التي تُوفر البيئة المعيشية الملائمة للفرد أو الأسرة، فهو لا يعتبر مجرد مبنى مادي، بل يشمل مجموعة من العناصر المادية والمعنوية التي تلبي الاحتياجات الوظيفية والاجتماعية والبيئية. ويعد المسكن إطاراً متكاملًا يعكس هوية المجتمع وتراثه، ويساهم

<sup>1</sup> ابن القيم (الجوزية). منازل السائرين. الرياض: دار الكتب العلمية.

في تنظيم العلاقات الاجتماعية وتشكيل سلوكيات الأفراد، من خلال تنظيم الفضاءات الداخلية والخارجية بما يضمن الخصوصية والاستدامة البيئية والاقتصادية<sup>1</sup>. وحسب د. فاضل حسن شريف فالدار تشمل الأرض والفضاء، بينما البيت والمسكن يشار لهما بالفضاء. وإذا كانت عائلة تسكن في بناء يحوي على غرف نوم كثيرة فيمكن ان يطلق عليه دار ومسكن ومنزل. ويعتبر الدار منزل إذا سكن او اقيم فيه لفترة، وفيه حرية الحركة<sup>2</sup>. وقد عرف "جورج بيار" المسكن أنه عنصر أساسي للارتباط بين الفرد والأسرة والوسط الاجتماعي، وهو يصنع نموذج من الانسانية. وفي مفهوم آخر يعتبر المسكن على أنه مكان يوفر الراحة ووظائف مهمة، فهو نمط تنظيمي لحياة الناس في الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، فالمسكن هو خلق مساحة يومية للعديد من العلاقات الأسرية، حيث يعيش الفرد حب وود اتجاه مسكنه ومن يشاركونه المسكن وهذا يكون اتجاهه خصوصية و مميزات هندسية تعزز ملامح الألفة بين أفراد الأسرة فيه<sup>3</sup>.

يشكل الفكر الإسلامي قاعدة نظرية أساسية تُلهم التصميم المعماري باعتباره تعبيراً فنياً عن القيم والروح الإنسانية، لذا فان تصميم المسكن وعمارته ينبغي ان ينعكس فيها الفكر الاسلامي وتعاليمه، فالمساكن تلي احتياجات وتطلعات الناس في مجتمع معين. ولقد حدد الاسلام الاسس والقواعد الخاصة للمجتمع موضحاً نظام حياته وطريقه عيشه وآداب

---

<sup>1</sup> وليد أحمد. (2001، 15 مارس). رسم بدران أصولية فكرية تضبط مفهوم المسكن المعاصر. جريدة الشرق الأوسط.

<sup>2</sup> فاضل حسن شريف أحاديث نبوية متداولة في مصادر أتباع أهل البيت.

<sup>3</sup> George, P. (1958). Notions générales sur l'habitat. n.p.



سلوكه، البيت في الاسلام يعتبر وحده اجتماعيه لا ينفصل فيها البناء عن الأسرة التي تقيم فيه، وهذا ما يسمح لمواجهه المتطلبات الحياتية للأسرة في ضوء التعليم والقيم الإسلامية، في هذا البحث نحاول استنباط واستخلاص بعض المقتضيات والأسس التصميمية الواجب توفرها في مسكن المسلم كما املتها علينا الشريعة في ضوء القرآن والسنة النبوية.

### 3. أسس ومبادئ تصميم المسكن في الإسلام

قال الله سبحانه وتعالى (( قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )) تدل هذه الآية على ان الاسلام منهج حياه وتقتضي التوحيد المطلق والعبودية الخالصة لله تعالى ، واذا كان الاسلام منهجا كامل للحياة، فان العمارة تختص بالمكان الذي تمارس فيه هذه المنهجية<sup>1</sup>، بحيث تتحقق فيها الحياه الطيبة والاستقرار النفسي ولذلك فهي جزء من حيز هذه الشمولية العامة لهذا الدين الحنيف . لذلك تصميم المسكن وعمارته من الداخل والخارج يجب ان ينعكس فيهما منهج الاسلام وتعاليمه، نقدم أسس ومبادئ تصميم المسكن من المنظور الاسلامي.

والاسلوب الذي تبعناه لمعرفة المعايير والاسس التصميمية للمسكن مبني على توضيح المنهج الاسلامي الذي ينبع من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الى جانب توجيهات علماء المسلمين الافاضل، وبناءات على هذا نقوم بتوضيح تأثير هذا المضمون على شكل المسكن وتصميمه.

---

<sup>1</sup> وزيرى، ي. (1992). التعمير في القرآن والسنة. القاهرة: مكتبة مدبولي.

## ● الخصوصية

الخصوصية هي الحالة التي يتمكن فيها الفرد أو الأسرة من الحفاظ على مساحتهم الخاصة بعيداً عن التدخل الخارجي غير المرغوب فيه من قبل المجتمع، مما يتيح لهم ممارسة حياتهم الشخصية بحرية ضمن إطار يحترم الحدود الاجتماعية. وفي العمارة، تُعد الخصوصية مبدأً أساسياً يُوجّه تصميم المباني والفضاءات الداخلية؛ إذ يُراعى تنظيم المساحات بحيث تُفصل المناطق الخاصة عن العامة، ما يُساهم في خلق بيئة معيشية آمنة ومريحة توازن بين الانفراد والتفاعل الاجتماعي، وتُعزز الهوية الثقافية للمجتمع من خلال الحفاظ على خصوصياته وتفرد<sup>1</sup>. ويمكن أن نقسمها إلى أربعة أقسام :

\_ خصوصية بصرية

\_ خصوصية سمعية

\_ خصوصية حركية

\_ خصوصية معيشية

---

<sup>1</sup> نوفل، إ. م. ح.). القيم الإسلامية في عمران المدينة جامعة أسبوط.



## ● الخصوصية البصرية

قال الله تعالى (( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ )) الآية 30 سورة النور. ويقصد بها تأكيد مبدا غض البصر سواء من الجيران او الضيوف الاجانب وهم من لا يحل لهم شرعا مقابله نساء المنزل , بالإضافة الى ان الانسان بفطرته يحتاج الى تحول دون المتطفلين وكشف اسراره واسرار عائلته خارج نطاق المنزل<sup>1</sup> , من اجل الحفاظ على مبدا الخصوصية البصرية ابتكر المعماري التي تمكنه من ذلك:

<sup>1</sup> وزيرى، ي. (2008). العمران والبنيان في منظور الإسلام. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- المدخل المنكسر حتى لا يفتح مباشرة على الفراغ المعيشي.
- تصميم المسكن على فناء داخلي بحيث تنفتح عليه اغلب غرف المسكن في حاله وجود المساحة الكافية.
- واجهات صماء نادرا ما تحتوي على نوافذ وان وجدت يتوجب مراعاة فتح النوافذ بالدوري الارضي اعلى من مستوى النظر.
- فصل غرف استقبال ضيوف عن صلاه المعيشة الاسرية ومجالس النساء.
- مراعاة فتح النوافذ بحيث لا تكون مقابل لفتحات الوحدات السكنية الاخرى ، من خلال بعض المبتكرات مثل المشربيات.
- سطح المنازل كمساحات خاصة وتسويتها بارتفاع مناسب يحجب الرؤية من وإلى الآخرين.

#### ● الخصوصية السمعية

(( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ )) سورة الحجرات الآية 12.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا التقوى ها هنا» ويشير إلى صدره، والمراد بها حفظ اسرار المنزل وتأكيد مبدا احترام الغير وعدم التجسس على خصوصياتهم، ومن بين الحلول التي وجدها المعماري المسلم: استخدام الجدران المزدوجة او

العوازل الصوتية بين الوحدات السكنية حيث نلاحظ استخدام سميكة في العمارة التقليدية مما كان يخدم العزل الصوتي.

### ● الخصوصية المعيشية

قال الله تعالى (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ لَكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ )) (سورة النور الاية 58) هذه الآية توضح الأدب الأسري وأصول الاستئذان في الإسلام. وعن الرسول صل الله عليه و سلم ((مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ )) رواه جد عمرو بن شعيب ويقصد بها الفصل في الخصوصيات الداخلية للمنزل من حيث النوم او الأنشطة المختلفة، بالإضافة الى الفصل بين الذكور والاناث في غرف النوم، كما يحث القران الكريم على القيم السليمة من حيث فصل الابناء عن غرفه الوالدين، ومن هنا يمكن ان نستخلص: فصل غرف نوم الابناء عن غرف نوم الوالدين، وضرورة وجود أكثر من غرفتين مخصصة للإناث وغرفة مخصصة للذكور.

### ● الخصوصية الحركية

وهي تعني الفصل وعدم اختلاط بين الرجال والنساء الاجنبيات فراغ واحد تنفيذه لقوله تعالى ((وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ

حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)) سورة الأحزاب الآية 53 ، وعن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليس معها ذو محرم " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يخلو رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان " من هنا كان لزاما على المهندس توفير الشروط تراعي هذه الخصوصية -توفير غرف مستقلة استقبال الضيوف منفصلة عن غرف المعيشة الداخلية الخاصة باهل المسكن، وتوفير دورة مياه مخصصه للضيوف ان أمكن.

#### ● أفضلية المسكن الواسع

قال الله تعالى (( أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأُتِمُّوا بِبَيْنِكُمْ بِمَعْرِفٍ ۖ وَإِنْ تَعَاسَرْتُم فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى )) سورة الطلاق الآية 6 وهذه الآية تدل على التوسعة على المطلقة كيف للأسرة التي تعيش معا في بيت واحد ، وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم " المرء المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني " وهذا يسمح لنا بان نستخلص أن توسعة المسكن مرغوب فيها اذا كانت في قدر المستطاع دون إسراف او تكلف حتى تتيح التمتع بمعيشة مريحة ، وتسمح بتوفير وتطبيق الحلول التي تطرقنا اليها سابقاً للحفاظ على الخصوصية كالفصل بين الذكور والبنات ، الفصل بين مكان استقبال الضيوف وما كان المعيشة وما الى ذلك . وتوسعه المسكن يحقق ما تدعو اليه الشريعة اذا كان في المستطاع ، اما اذا لم تكن لضيق ذات اليد يكلف

الله نفساً إلا وسعها ، ويكون في هذه الحالة نوعاً من أنواع الترف المرغوب فيها لكنها غير ضرورية<sup>1</sup>

### ● توفير مكان للضيافة

في سيره النبوية للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حثنا على الكثير من مكارم الأخلاق التي تؤثر في حياة الفرد والمجتمع، ومن أهمها إكرام الضيف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته"، قالوا: وما جائزته؟ قال: "يومٌ وليلةٌ، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقةٌ عليه" [رواه البخاري ومسلم]. وفي رواية أخرى عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: "الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة، ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه" قالوا: يا رسول الله وكيف يؤثمه؟ قال: "يقيم عنده ولا شيء له يقره به" [رواه مسلم]. لذلك من المستحسن توفير للضيافة بالمسكن في حدود المستطاع بحيث ينطبق عليه توفير الخصوصيات البصرية والسمعية.

### ● افضليه توجيه الغرف نحو القبلة

قال الله تعالى (( وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ )) سورة البقرة الآية 150 إذا كانت البيوت مخصصة للسكن، فيجوز فيها الصلاة وفقاً لطول الرسول صلى الله عليه وسلم " بالصلاة في بيوتكم فان خير صلاه المرء في بيته إلا

<sup>1</sup> حريري، م. (1989). أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية (الطبعة الأولى). مكرمة: الشركة السعودية للنشر.

المكتوبة " وفي ذلك ترغيب بصلاح النوافل بالمساكن ليعمها الخير وتحفها الملائكة، يراع في تخطيط المسكن الاسلامي ان يكون توجيهه اتجاه الكعبة المشرفة، حيث يؤدي هذا التوجيه الى اداء الصلوات سواء بالمسجد او المنزل بسهولة ويقلل من شبهات التوجه الخطأ في الصلاة او حدوث اختناقات والزوايا المائلة التي تنشأ في الكثير من أماكن الصلاة<sup>1</sup>

### ● التسخير

قال الله تعالى ((وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) سورة الجاثية الآية 13. وحسب تفسير ابن الطبري "نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به عليكم " الانسان مستخلف في الأرض ومكلف بإعمارها ويحمل أمانة الخلافة وحسب الأستاذ علي جمعة فالإنسان يحمل أمانة الخلافة التي أنعم الله تعالى بها عليه، فقد سخر الكون وجميع نعمه لتكون في خدمة الإنسان. وبناءً عليه، تقع على عاتقه مسؤولية الحفاظ على هذا النظام الكوني واستغلال موارد الطبيعة بما يليق بمكانتها، مع مراعاة العدل والحكمة. إن إدراك الإنسان لدوره في حماية البيئة واستخدام خيراتها بشكل متوازن يعكس امتثاله لسنن الخلق وثقة الله به، مما يحقق التوازن بين تطلعاته واحتياجات الكون.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> حريري، م. (1989). أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية (الطبعة الأولى). مكرمة: الشركة السعودية للنشر.

<sup>2</sup> أحمد السعد. (2004). ضوابط بناء المساكن في الفقه الإسلامي. القاهرة: مؤته للبحوث والدراسات.



وهذا ما دفع المسلم على الاستفادة من عناصر الطبيعة في العمارة دون اتلافها او الاسراف فيها، كالإضاءة والانارة الطبيعية وادخال عنصر الماء في العديد من التصاميم.<sup>1</sup>

#### ● الاقتصاد مع الإتقان والبعد عن الإسراف والتبذير

من الآيات الكريمة (( وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا )) سورة الإسراء الآية 26-27، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تسرف في الماء ولو كنت على نهر جار " نستخلص مراعاة العوامل الاقتصادية عند تصميم وبناء المساكن وعدم الإسراف في البناء لان هذا يعتبر نوع من انواع التفاخر وإنفاق الأموال فيما لا يفيد كما يحث على الوظيفية في البناء فلا نبني بناءً بدون وظيفة او بناءً لا نحتاجه، مع الإتقان وعدم المبالغة في التزيين

#### 4. ضوابط بناء المسكن في الفقه الإسلامي

ومن ضوابط بناء المسكن في الفقه الاسلامي حسب احمد السعد<sup>2</sup> , حيث اعتمد في دراسته على العلماء والمفسرين عدم التوسع في البنيان مما يزيد عن حاجته دون استعمال، عدم المبالغة في تزيين الجدران وزخرفتها مما لا حاجة اليه، ان يكون المبنى وظيفيا يؤدي وظيفته الحياتية، والنهي عن البناء في الارض المغصوبة او المنهوبة، ينبغي على المسلم عند بناء

<sup>1</sup> محمد، ع. (بدون تاريخ). دراسة تحليلية لتصميم المسكن في العمارة الإسلامية:

مفاهيم التصميم الحديث. حلوان: كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان.

<sup>2</sup> أحمد السعد. (2004). ضوابط بناء المساكن في الفقه الإسلامي. القاهرة: مؤته

للبحوث والدراسات.

مسكنه ان لا يلحق الضرر بالآخرين (العامة والخاصة، من ضوضاء رائحة ودخان وسوء استعمال الطريق والنظر من الكوى والابواب)، والمحافظة على الطريق العام وحقوق العلو عند بناء الطبقات، احترام حقوق الجار.

#### 5. دراسة حالة من المباني التقليدية الإسلامية

تم اختيار دراسة عينتين من قسنطينة وتلمسان لدراسة أثر الفكر الإسلامي على عمارة المسكن التقليدي لعدة أسباب رئيسية:

- الأهمية التاريخية والثقافية: تُعدّ كلا المدينتين من المراكز الحضارية التي احتفظت بآثار الحضارة الإسلامية عبر العصور، حيث تشكل تلمسان رمزاً للتراث الإسلامي العريق، بينما تعكس قسنطينة تحديات العمارة التقليدية في بيئة جبلية حضرية.

- تنوع السياقات البيئية والمعمارية: تُظهر قسنطينة تصميمات معمارية تتكيف مع التضاريس الجبلية والظروف المناخية الخاصة بها، في حين تتميز تلمسان بنوع مختلف من التضاريس وبنمط معماري مختلف يعود الى تأثيرات تاريخية هذا التنوع يُتيح مقارنة منهجية لاستنباط كيف تترجم القيم الإسلامية إلى حلول تصميمية تتناسب مع ظروف كل بيئة.

- التمثيل النموذجي للتأثير الإسلامي: توفر كل من قسنطينة وتلمسان نماذج متكاملة من العمارة التقليدية التي استمدت مبادئها من الفكر الإسلامي، مما يجعل الدراسة فيها ذات قيمة في فهم كيفية تأثير المبادئ والقيم الإسلامية على تنظيم الفضاءات وتلبية احتياجات المجتمع.

● بيت عائلة بن شيكو بدرب شريف بقسنطينة

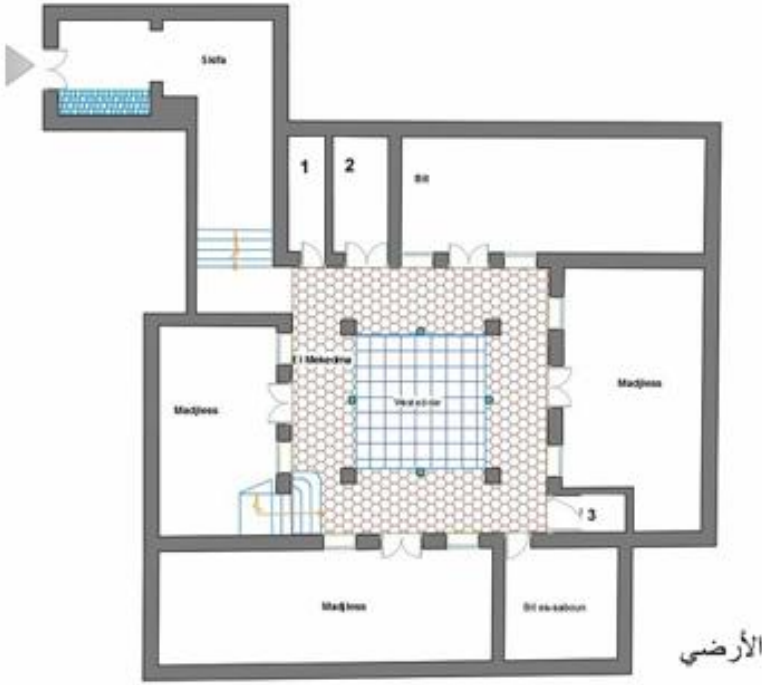
يقع منزل عائلته بن شيكو في درب بن شريف في المدينة العتيقة بقسنطينة، يحتوي الدرب بن شريف على ثلاث عائلات ويتميز الدرب بمدخل الرئيسي عبر بوابة تغلق ليلاً ولا يمكن الدخول إلى الدرب إلا عبر بوابة الدرب<sup>1</sup>



صور من داخل بيت عائلة بن شيكو (المصدر اطروحة دكتوراه هشام  
لعيد المبادئ والقيم الإسلامية في العمارة التقليدية)

---

العيد، هشام. (2021). المبادئ والقيم الإسلامية: عمارة التقليدية الجزائرية –  
دراسة حالة المدينة العتيقة بقسنطينة



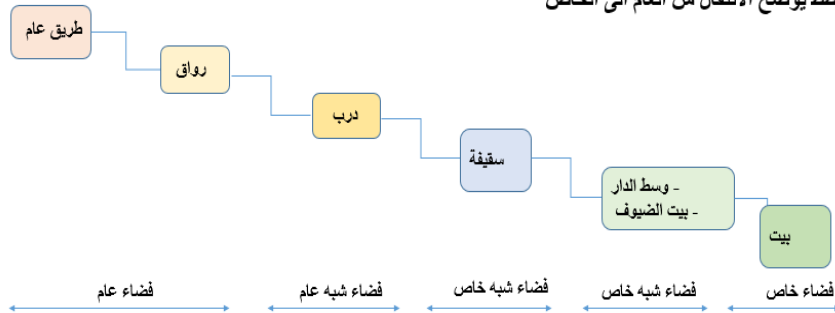
مخطط الطابق الأرضي (المصدر اطروحة دكتوراه هشام لعيد المبادئ والقيم الإسلامية في العمارة التقليدية)

يعتبر منزل عائلته بن شيكو واحد من البيوت القديمة التي بنيت في فترة الانتداب العثماني في مدينة قسنطينة ، الدرب يقودنا الى باب البيت الذي يحتوي على عتبة التحمي من تسرب مياه الدرب وتعتبر نقطة بداية حدود ملكيه البيت، وبدورها تقودنا الى السقيفة او المدخل المنكسر الذي يلعب دور ستار حاجب (لا يتيح رؤية المساحة الداخلية) وهذا يقودنا الى وسط الدار او الفناء الذي يعتبر فضاء متعدد استعمالات , بالإضافة الى دوره المعماري الذي يسمح بتنظيم الفضاء, وتوفير خصوصيه الأسرة من خلال فصله على المناطق العامة, كما يساهم في تعديل المناخ الداخلي ويضمن

نظافة المساحة من خلال ادخال الهواء الطبيعي والإضاءة الطبيعية , دوره في تحسين المناخ . يحيط بالفناء في الطابق الاول غرفه ضيوف مخصصه للرجال وغرفه الضيوف مخصصه للنساء , مطبخ , مساحة للتخزين وبيوت التي هي عبارة عن غرف.<sup>1</sup>

بعد أن قمنا بتقديم وصف لمسكن بيت عائلة بن شيكو ومكوناته التي تبرز ملامح الهوية التقليدية وتأثير العناصر الثقافية، نستهل الآن مرحلة التحليل لتقييم مدى تجسيد المقتضيات الإسلامية في تصميمه. في هذه المرحلة، سنقوم بفحص توزيع الفضاءات الداخلية، واستخدام المواد والتقنيات التقليدية، والعناصر الزخرفية والرمزية، بهدف تحديد مدى توافق التصميم مع المبادئ الإسلامية الأساسية. سيتيح لنا هذا التحليل الكشف عن نقاط القوة والقصور في التطبيق العملي لهذه المبادئ، وتقديم رؤية شاملة لتأثير الفكر الإسلامي على عمارة المسكن.

- مخطط يوضح الانتقال من العام الى الخاص



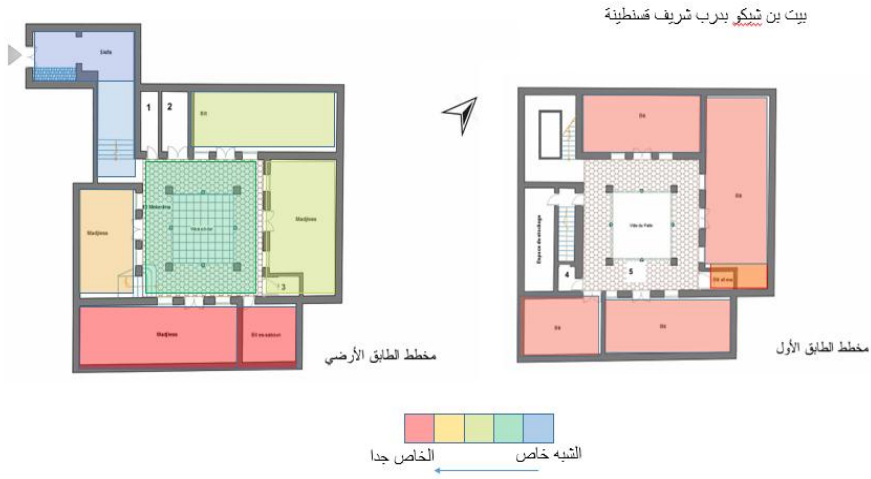
مخطط يوضح الانتقال من العام الى الخاص

المصدر إعداد الباحث

<sup>1</sup> العيد، هشام. (2021). المبادئ والقيم الإسلامية: عمارة التقليدية الجزائرية – دراسة حالة المدينة العتيقة بقسنطينة

مخطط التدرج الافقي الذي يسمح بالخصوصية التامة، حيث يبدأ من الشارع الى البيت ، نلاحظ ان التدرج يحتوي على انكسارات من الخارج الى الداخل عبر المدخل المنكسر ومن الطابق الاسفل الى الطابق العلوي الى البيت عبر السلالم .

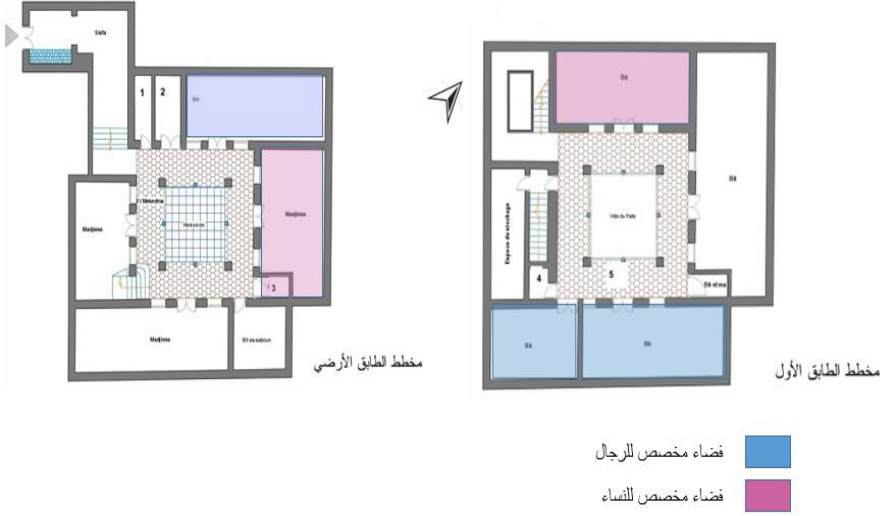
## - الخصوصية



## المصدر من اعداد الباحث

يوضح المخطط تدرج الخصوصية منزل عائلته بن شيكو الذي ينتقل من درجه خصوصيه لشبه خاص مثل العتبة والسقيفة الى درجه الخصوصية الخاصة جدا مثل البيت والذي يعتبر فضاء خاص بسكان المنزل فقط

## - الفصل بين الرجال والنساء

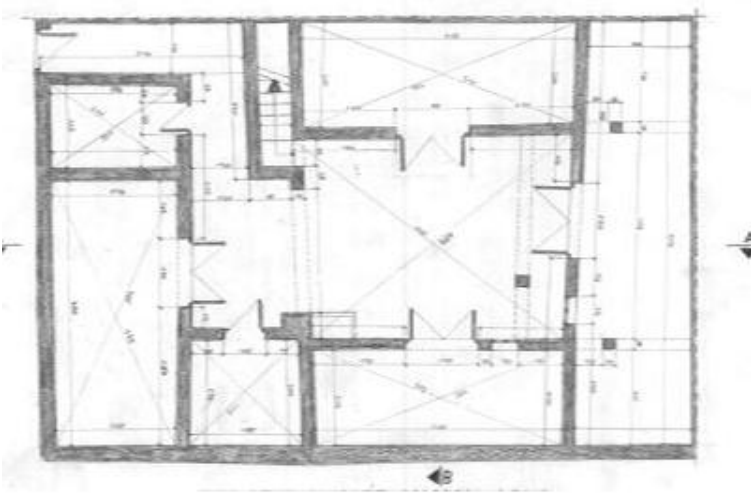


### المصدر اعداد الباحث

كما ذكرنا سابقا فان عنصر الفصل بين الفضاءات المخصصة بين النساء والرجال عنصر مهم ويلعب دور كبير في الفكر الاسلامي , يوضح المخطط الفضاءات المخصصة للنساء والفضاءات المخصصة للرجال في منزل عائلته بن شيكو حيث يوجد بيت الضياف خاص بالرجال وبيت ضياف خاص بالنساء

في الطابق الاول تتواجد غرف مخصصة للنساء وغرف مخصصة للرجال .

● منزل بيت لاغا عبد الحميد بتلمسان



مخطط منزل بيت لاغا بتلمسان المصدر مذكرة ماجستير تطور المسكن  
في مدينة تلمسان بريشي درويش







صور من داخل المنزل المصدر مذكرة ماجستير تطور المسكن في مدينة  
تلمسان بريشي درويش

تقع دار لها في حي الرحبية في درب سيدي الوزان ، والتي يذكر ان سكنتها  
بنيت في عهد السلطان يغمراسن ، والرحبية تشغيل للرحبة وتعني تجمع  
الخيول او الجياد نسبة الى الحي المجاور له باب الجياد<sup>1</sup> .  
بعد باب الدرب يأتي الباب الرئيسي للدار والذي يقود الى منكسر بدوره  
يقود الى الفناء الغرض من الباب المنكسر وتحقيق الخصوصية وستر اهل  
المسكن من اعين المارة ، يعتبر الفناء منزل بيت لاغا عبد الحميد بتلمسان

---

بريشي درويش. (2011). تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان: دراسة فنية أثرية<sup>1</sup>

فضاء محوري تدور حوله. الفضاءات الأخرى ويوفر لي ساكنين الهواء النقي والإضاءة الطبيعية وهو مكان الالتقاء العائلية، يحتوي المنزل على عناصر معمارية تعكس الهوية الفنية لعمارة المسكن بتلمسان نلاحظ الزليج الاقواس المدببة.

مسكن " بيت لاغا" في تلمسان، والذي يُبرز بوضوح السمات التقليدية والعناصر الثقافية الفريدة، ننتقل الآن إلى مرحلة التحليل لاستقصاء مدى تجسيد التصميم للمقتضيات الإسلامية. في هذه المرحلة، سنُقيّم توزيع الفضاءات الداخلية، كما سنستعرض العناصر الزخرفية والرمزية؛ بهدف الكشف عن مدى توافق التصميم مع المبادئ الإسلامية الأساسية.

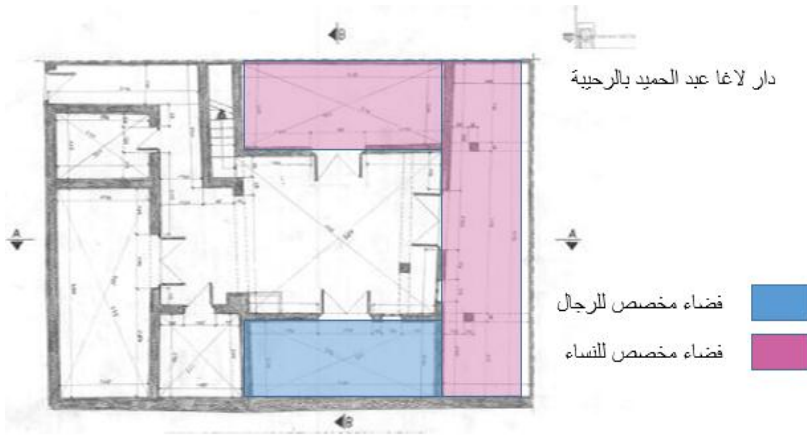
الخصوصية



المصدر إعداد الباحث

يوضح المخطط درجة الخصوصية في كل فضاء في البيت , حيث تنتقل من المكان الشبه عام الى المكان الخاص

## - الفصل بين النساء والرجال



المصدر إعداد الباحث

## الخلاصة

تظهر نتائج الدراسة على أن الفكر الإسلامي لم يكن مجرد إطار نظري بل تحول إلى معايير تصميمية ملموسة تسهم في تشكيل الهوية المعمارية للمسكن الجزائري التقليدي. فقد تجلّى ذلك في تنظيم الفضاءات الداخلية واستخدام المواد المحلية والحلول المعمارية المبتكرة التي تحقق التوازن بين الوظيفة والجمال، مع الحفاظ على الخصوصية الاجتماعية والدينية. وتبرز النتائج أن العناصر الزخرفية والرمزية، مثل الزليج والمشربيات، ليست مجرد تفاصيل جمالية، بل هي تعبير صادق عن التراث والقيم الإسلامية التي توحد المجتمع وتعيد ربطه بجذوره. إن هذا التفاعل بين الفكر الإسلامي والتصميم المعماري يوفر إطاراً مستداماً يُمكن استلهام مبادئه لتطوير نماذج معمارية حديثة تحافظ على الهوية الثقافية في ظل التحديات المعاصرة. في الختام، تؤكد الدراسة على ضرورة إعادة النظر في ممارسات التصميم لتكون أكثر انسجاماً مع القيم الدينية والاجتماعية، مما يفتح آفاقاً جديدة لبناء مستقبل معماري متجذر في تراث غني ويحافظ على روح الاستدامة والخصوصية.

## قائمة المراجع

- ② أحمد، السعد. (2004) ضوابط بناء المساكن في الفقه الإسلامي. مؤتة للبحوث والدراسات.
- ② بريشي، د. (2011) تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان: دراسة فنية أثرية [رسالة ماجستير غير منشورة].
- ② حريري، م. (1989) أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية (الطبعة الأولى). الشركة السعودية للنشر.
- ② خزان، ب. س. ب. س. الغامدي. (بدون تاريخ). السكن في القرآن: دراسة بلاغية.
- ② درويش، ه. ق. ش. (بدون تاريخ). القيم الثقافية في مسكن العمارة العربية الإسلامية.
- ② شريف، ف. ح. (بدون تاريخ). أحاديث نبوية متداولة في مصادر أتباع أهل البيت.
- ② الطبري، م. ب. ج. (بدون تاريخ). تفسير الطبري.
- ② كسوم، ك. (1999) الإسكان الصحراوي في توكرت: دراسة مقدمة لنيل شهادة مهندس دولة في الهندسة المعمارية [رسالة جامعية، قسنطينة].
- ② مشموش، م. (2015) الفكرة العمرانية الإسلامية وأثرها على تخطيط المدن وعمايتها: مدينتا تلمسان والجزائر نموذجًا [رسالة ماجستير، جامعة الجزائر].
- ② محمد، ع. (بدون تاريخ). دراسة تحليلية لتصميم المسكن في العمارة الإسلامية: مفاهيم التصميم الحديث. كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان.
- ② نوفل، إ. م. ح. (بدون تاريخ). القيم الإسلامية في عمران المدينة. جامعة أسيوط.
- ② ولي، ط. (1992) نهج البواطن في عمارة المساكن. مطبوعات مركز الهندسة، البحرين.
- ② وزيري، ي. (1992) التعمير في القرآن والسنة. مكتبة مدبولي.
- ② وزيري، ي. (2008) العمران والبنيان في منظور الإسلام. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

② George, P. (1958). *Notions générales sur l'habitat*.

② The Impact of Islamic Thought on Creating Space in the Residence: Case Study of Suhaimi's and Sibai's Houses , Duha Suliman alsarhan 2023

ابن القيم الجوزية. (بدون تاريخ). منازل السائرين. الرياض: دار الكتب العلمية.

**تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ**

ISBN: 978-9947-60-593-6



9

789947

605936